

علوم الأخوة

في هذا العدد :

- مفهوم المضاربة في الفكر النحوي عند سيديويه.
- الشاهد القرآني عند ابن هشام اللخمي.
- ألفاظ المأكَل والمشرب في العربية الأندلسية.
- الاعتراض في شعر شوقي.

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

١٩٩٨

مكتبة الاسكندرية الثالث

المجلد الأول

رئيس التحرير

أ. د. محمود فهمى حجازى (القاهرة)

مدير التحرير

د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

نائب رئيس التحرير

أ. د. سعيد حسن بحيرى (عين شمس)

أ. د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

المستشارون العلميون

أ. د. جوزيف ديشى (ليون ٢) أ. د. عبده على الراجحي (الاسكندرية)

أ. د. حسن حمزة (ليون ٢) أ. د. محمد بشير (القاهرة)

أ. د. حمزة المزيكى (البحرين) أ. د. عبد الرءوف (عين شمس)

أ. د. رليف جورج خورى (ميدلبرج) أ. د. محمد عوادى (القاهرة)

أ. د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة)

أ. د. فولفديترش فيشر (ارلانجن) أ. د. مصطفى مندور (بنها)

الناشر

دار غريب

القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة كتاب دورى

مج ١ ، ٣٤ ١٩٩٨

٥) حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختزانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابي من الناشر .

قيمة الاشتراك السنوى :

- ٨٠ جنيهاً مصرياً (داخل جمهورية مصر العربية)
- ٨٠ دولاراً أمريكياً (خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

سعر العدد :

- ٢٠ جنيهاً مصرياً (داخل جمهورية مصر العربية)
- ٢٠ دولاراً أمريكياً (خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ض ب (٥٨٠) الدواوين - القاهرة ١١٤٦٦ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث :	الصفحة
مفهوم المضارعة فى الفكر النحوى عند سيبويه	٩
د. عزة عبد الفتاح عبد الحكيم	
الشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمي	٤٨
د. مجدى إبراهيم يوسف	
ألفاظ المأكّل والمشرب فى العربية الأندلسية	١٠٥
د. رجب عبد الجواد	
الاعتراض فى شعر شوقى	٢٣٤
د. محمد عبد الوهاب شحاته	

تقديم

يطيب لى أن أقدم للقراء والباحثين هذا العدد الثالث من هذه السلسلة التى تنشر بحوثا متخصصة فى علوم اللغة ، تركز على اللغة العربية ، وتنشر الدراسات الجادة فى بنيتها وقضاياها ، وتهتم بالتراث اللغوى العربى ، وترحب بالاتجاهات المعاصرة .

هدف هذه السلسلة أن تشارك فى النهوض بالبحث العلمى فى اللغة العربية . تضم دراسات فى الأصوات والصرف والنحو والدلالة والمعجم ، وترحب ببحوث فى علم اللغة المقارن وفى علم اللغة التقابلى وفى القضايا اللغوية المعاصرة . تتلقى من الباحثين أعمالا جادة بوجهات نظر مبتكرة وتوثيق علمى دقيق . ولا تقبل الكتابات التى لا تدخل فى هذا النسق .

البحوث التى تنشر فى هذه السلسلة سيكون لها حيز مناسب ، حتى يتمكن الباحث من التوثيق التكاملى وتقديم الفكرة مدعمة ومدققة فيها . ولهذا نفضل أن يكون البحث الواحد بين خمسين صفحة ومائة صفحة ، وهو نمط جديد ثبت أنه يصل ببحوث علمية إلى مستوى طيب .

يخضع النشر فى هذه السلسلة لعملية تحكيم علمى دقيق ، اعتمادا على رأى كبار المتخصصين فى علوم اللغة فى الجامعات العربية والأجنبية . ونرجو أن يجد التحكيم العلمى مزيدا من القبول لدى الباحثين ، يتم التحكيم لصالح المستوى العلمى . ونجد ملاحظات المحكمين صدى طيبا عند أكثر الباحثين ، ويظل كل بحث منسوبا إلى صاحبه معبرا عن رأيه ودالا على جهده ، وهو وحده المسئول عن الدفاع عنه .

هذا النمط الجديد من السلاسل العلمية المحكمة يعد بداية مهمة فى مجال علوم اللغة، يدين بالفكرة - من حيث الشكل - إلى زملاء أعزاء سبقوا فأصدروا من قبل دراسات عربية وإسلامية، وزملاء بادروا إلى نشر كتب دورية تضم بحوثا علمية محكمة فى مجالات المكتبات والمعلومات . وهو نمط يجعل للناشرين الجادين مكانا فى النشر العلمى المتخصص على النحو المألوف فى أوروبا وأمريكا ، ويفتح للباحثين آفاقا جديدة. وكل ما ينفق فى هذه السلسلة من جهد أو مال هدفه خدمة البحث العلمى بشكل يصل بنا إلى العمل المعق الجاد الذى يقدم الجديد إلى المعرفة .

وتخطط السلسلة لإصدار أربعة أعداد فى كل سنة وقد اكتمل التخطيط للأعداد الأربعة الأولى لعام ١٩٩٨ . وتعهد إلى أحد كبار الأساتذة فى علوم اللغة بالإشراف على عدد أو أكثر ، حرصا على تنوع الاتجاهات وتكامل الخبرات ، مع الالتزام بالموضوعية والتحكيم العلمى .

ومن واجبى أن أعبر باسم أسرة التحرير والباحثين اللغويين والناشر عن خالص الشكر والاعتزاز بالدعم المعنوى الكبير الذى تلقتة هذه الدراسات ، ونخص بالشكر جامعات دول المغرب العربى إلى جانب جامعات دول الخليج. الدول العربية فى المشرق والمغرب تلتقى هنا فى مجال علوم اللغة. نشكر على وجه الخصوص جامعة أم القرى بمكة المكرمة والجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية بالجزائر ومكتبة الملك فهد الوطنية ومكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمملكة العربية السعودية والمجمع الثقافى فى أبو ظبى بدولة الإمارات العربية المتحدة والبنك الإسلامى للتنمية.

والأمل كبير أن تكون هذه السلسلة الفصلية محققة لجانب من أمل المتخصصين فى علوم اللغة وأداة للتواصل العلمى وتبادل الرأى من أجل مزيد من البحوث الجادة فى اللغة العربية.

أ. د. محمود فهمى حجازى

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث في علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى في الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

مفهوم المضارعة فى الفكر النحوى عند سيبويه

بقلم الدكتورة
عزة عبد الفتاح عبد الحكيم

موضوع هذا البحث «مفهوم المضارعة فى الفكر النحوى عند سيبويه» مع التركيز على المفهوم والمصطلح ومعروف أن «المصطلحات جزء من لغات التخصص وهى جزء أساسى فى كل لغات التخصص المختلفة سواء أكانت فى المجال العلمى أم فى المجال المهنى . إن لغات التخصص ليست مجرد مصطلحات ، فالمصطلحات وحدها لا تقيم لغة بل فيها أيضاً خصائص صرفية ونحوية محددة . لا شك أن السمة الجوهرية المميزة للعبارة المتخصصة تكمن فى مصطلحاتها»^(١) . ولأن علم المصطلح يعد من أهم مجالات علم اللغة التطبيقى بمعناه الشامل فقد آثرت أن يكون بحثى فى مجال المفاهيم والمصطلحات ، وقد اخترت المضارعة فى كتاب سيبويه لأن أحداً لم يتطرق إلى هذا الموضوع من قبل كما أنه أول كتاب لغوى يستخدم لفظ «المضارعة» .

مادة البحث :

المصدر الذى تستقى منه الدراسة مادتها هو كتاب سيبويه أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، وقد اعتمدت على طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م

ط ٢ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . وكنت إذا وجدت غموضاً في بعض النصوص أرجع إلى كتاب سيبويه الطبعة الأولى المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١٦ هـ للتأكد من صحة النص .

منهج البحث :

نقسم البحث إلى نقاط هي : ظاهرة المضارعة ، ثم المضارعة في النواحي الصوتية ، ثم المضارعة في النواحي الصرفية ، ثم المضارعة في النواحي التركيبية ، ثم أخيراً نتائج البحث . ولم أفرد جزءاً للحديث عن المضارعة في النواحي الدلالية لأن سيبويه لم يستخدم هذا المصطلح فيما يخص الدلالة .

المعنى العام لكلمة مضارعة يدل على المشابهة ، ورد في لسان العرب «المضارع : المِشْبَه . والمضارعة المشابهة . والمضارعة للشئ : أن يضارعه كأنه مثله أو شبهه» . . . المضارعة المشابهة والمقاربة . وأثبت بعض المفاجم دلالات اصطلاحية ولذلك ، قال الأزهري : «والنحويون يقولون الفعل المستقبل مضارعٌ لمشاكلة الأسماء فيما يلحقه من الإعراب . والمضارع من الأفعال ك ما أشبه الأسماء وهو الفعل الآتي والحاضر . والمضارع في العروض : مفاعيل فاعلاتن مفاعيل فاعلاتن . سمي بذلك لأنه ضارع المجتث»^(١) . إن المعنى الذي يقصده ابن منظور هو : أن يضارع الشئ الشئ كأنه مثله ، أن يضارع الشئ الشئ كأنه شبهه . وهو نفس المعنى الذي قصده سيبويه حين قال : فمن كلامهم أن يشبهوا الشئ بالشئ وإن كان ليس مثله في جميع الأشياء»^(٢) . ونجد هذا المعنى في مصطلح «شبه الجملة» الذي يطلق على الظرف والمضاف إليه وعلى الجار والمجرور كما في قولنا : في البيت أو بين الأشجار . فالجار والمجرور أشبه الجملة في كونهما أكثر من كلمة ،

ولكنهما خالفاهما من حيث عدم إفادتهما معنى ، وكذلك شبه الجملة «بين الأشجار» وهذا من باب المشابهة الناقصة .

ولكن مصطلح المضارعة يرد عند سيبويه فى تحليله لقضايا مختلفة ، صوتية وصرفية ودلالية .

والمضارعة التى يقصدها سيبويه فى كتابه هى ما يُعرف بظاهرة المماثلة فى علم اللغة الحديث حيث يميل العرب إلى تجانس الحركات المتجاورة وهو اقتصادٌ عضوى فى النطق يلجأ إليه المتكلم دون تعمد وهى ظاهرة الميل إلى الانسجام بين الحركات المتجاورة . ويطلق سيبويه على تلك الظاهرة فى مواضع أخرى من كتابه اسم التقريب^(٤) . وقد تناول مصطلح المضارعة فى أكثر من موضع وتحدث عما يحدث من تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، وتناول كذلك ما يطلق عليه أقصى درجات التأثير بين المتجاورين أى الإدغام .

ولكن مصطلح المضارعة لم يكن وحده ، فنجد المشابهة فى العمل النحوى يعبر عنها بكلمات أخرى ، مثل : لفظ «شبيه» ، فقد كان سيبويه يستخدمه فى موضع المضارعة كما فى باب مضارعة الاختصاص للنداء ، وفى باب مضارعة النكرة المعرفة .

ومع أن استخدامه لمصطلح المضارعة كان مقصوراً على أمثلة محدودة متناثرة ولمحات سريعة ، وأنه يطلق مصطلح المضارعة حين يضارع الشئ بالشئ سواء أكانت المضارعة تامة أم ناقصة ، فهذا ما يحاول أن يكشف عنه هذا البحث .

أولاً: المضارعة فى النواحي الصوتية :

ورد مصطلح المضارعة فى النواحي الصوتية فى كتاب سيويه فى عدة مواضع هى :

١ - مضارعة الصاد للزاي :

تحدث سيويه^(١) عن ذلك فى الباب الذى عقده تحت عنوان «هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع ذلك الحرف وليس من موضعه ، وفى ذلك يقول : فأما الذى يضارع به الحرف الذى من مُخْرِجِهِ فالصاد الساكنة إذا كان بعدها الدال . وذلك نحو : مَصْدَرٌ وَأَصْدَرٌ والتصدير لأنهما قد صارتا فى كلمة واحدة ، كما صارت مع التاء فى كلمة واحدة فى أَفْعَلْ فلم تدغم الصاد فى التاء ولم تدغم الدال فيها ولم تبدل لأنها ليست بمنزلة اصطرِبْ وهى من نفس الحرف . فلما كانتا من نفس الحرف أجرتيا مجرى المضاعف الذى هو من نفس الحرف من باب مددت ، فجعلوا الأول تابعا للآخر ، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهى الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة ، ولم يبدلوا رايها خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق» .

وفى هذا النص تتضح ظاهرة المماثلة الصوتية كما يراها سيويه فهو يرى أن إدغام الصاد فى الدال أو إبدال الدال حرفاً يناسب الصاد كإطاء فى نحو مصدر وأصدر^(٢) والتصدير غير ممكن ، ويفسر ما حدث فى هذه الأمثلة بأنه مضارعة للصاد بالزاي أى تقريبها منها لأن الزاي مجهورة كالدال وبذلك يتحقق الانسجام بين المتجاورين وهذا النوع من المماثلة هو الذى أطلق عليه المحذون من علماء الأصوات اللغوية التأثير الرجعى regressive وهو أن يتجاور صوتان لغويان ويتأثر الأول منهما بالثانى .

ونطق الصاد رايها كان مستحسنًا عند الأقدمين فقد تكلموا عن طبقتين لنطق

الصاد يصفون إحداهما بالحسن ويصفون الأخرى بأنها ضعيفة ومرذولة . أما الصورة المستحسنة فهي ما يعبرون عنها بالصاد التى كالزأى . أما الصورة الضعيفة المرذولة فيصفونها بأنها الصاد التى كالسين .

وإذا كان القدماء قد ذهبوا إلى أن الصاد حرف أسنانى رخو مهموس مطبق وأنه النظير المفخم للسين كما أنه أحد أصوات الصفير ، فإن المحدثين لم يختلفوا عنهم كثيراً فقد ذهبوا إلى أن الصاد حرف لغوى احتكاكى مهموس مفخم كما أنه أحد أصوات الصفير التى تضم معه السين والزأى^(٧) .

أما قول سيبويه «ولم يبدلوا رأيا خالصة كراهية الاجحاف بها للإطباق» فهو يشير إلى أن الصاد أبدلت إلى تلك الطاء العامة التى نسمعها فى نطق الناس فى لهجات الحديث لكلمة «ضابط» حين يقولون ظابط .

وذكر سيبويه فى النص السابق أنه سمع بعض العرف الفصحاء يجعلون هذه الصاد رأيا خالصة أى لا تنطق ظاءً ويشبه ذلك بذهاب الإطباق فى الإدغام حين نطقوا قولهم (افحس سالما) افحسالمًا ، وهو يعلل لذلك بعدم وصولهم إلى الإدغام وليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد وأنهم لم يبدلوا الدال صاداً لأنها ليست بزيادة كالتاء فى افتعل .

ويرى سيبويه أن الصاد إذا تحركت لم تبدل ويعلل لذلك بأن الحركة الفاصلة بين الحرفين لا تحقق المجاورة المباشرة ، ثم يقرر بعد ذلك أنهم ربما ضارعوا بها وهى بعيدة نحو مصادر والصراط لأن الطاء كالدال . والمضارعة هنا وإن بعدت الدال بمنزلة قولهم صويق ومصاليق فأبدلوا السين صاداً كما أبدلوا حين لم يكن بينهما شيء فى صُنّت ونحوه .

وتفسيره هذا يستقيم فى مجموعه مع البحث اللغوى الحديث حيث تحول الصوت المهموس إلى نظيره المجهور ، وهذا نوع من المماثلة الصوتية .

٢ - المضارعة بقلب السين صاذاً :

يرى سيبويه أن من المضارعة قلب السين صاذاً إذا كان بعدها حرف من حروف التفخيم كالفاء والحاء وحروف الإطباق نحو صَوِّق ومصاليق فأبدلوا السين صاذاً كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء فى صُنِّت ونحوه وهذا يستقيم أيضاً مع البحث اللغوى الحديث الذى يرى أن إبدال السين صاذاً لوقوع حرف من حروف التفخيم بعدها نوع من المماثلة الرجعية regressive Assimilation لان الصاد حرف مفخم مطبق يناسب حرف القاف فالصاد تشترك مع السين فى المخرج فى كونهما صوتين مهموسين عند سيبويه ، وتتميز الصاد عن السين بالتفخيم وإذا قلبت الصاد سيناً فقدت هذه الخاصية .

وقد ذهب علماء اللغة إلى أنه يجوز قلب السين صاذاً إذا وقع بعدها عين أو غين أو خاء أو قاف أو طاء ويشترط أن تكون السين أصلية لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى^(٨) .

ونقل السيوطى عن كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة لأبى محمد البطليوس قوله : من هذا الباب ما ينقاس ومنه ما هو موقوف على السماع فأما ما ينقاس فهو كل سين وقعت بعدها عين أو غين أو خاء أو قاف أو طاء جار قلبها صاذاً مثل يساقون يصاقون وصقر وسقر وصخر وسخر وشرط ذلك أن تكون السين متقدمة علم هذه الحروف لا متأخرة بعدها وأن تكون هذه الحروف مقاربة لها لا متباعدة عنها وأن تكون السين هى الأصل لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى .

٣ - مضارعة الشين والجيم للزاي :

تحدث^(٩) سيبويه عن الشين التى تشبه الجيم والجيم التى تشبه الشين حين قال : وأما الحرف الذى ليس من موضعه فالشين لأنها استطالت حتى خالطت

أعلى الشيتين ، وهى فى الهمس والرخاوة كالصاى والسین ، وإذا أجريت فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف لسانك وإنفراج أعلى الشيتين ، وذلك قولك : أشدق ، فتضارع بها الزاى .

وفى الحقيقة فإن سيبويه فى النص السابق يتحدث عن صورة صوتية واحدة ولكنه لم يكن يعرف الصوت المركب ويتضح هذا فى كلام ابن جنى عن الشين التى تشبه الجيم حين قال : وأما الشين التى كالجيم فهى الشين التى يقل نفشها واستطالتها وتراجع قليلاً متصعدة نحو الجيم^(١٠) .

وفى المثال الذى أورده سيبويه «أشدق» تماثلت الشين مع الدال التالية لها فى الجهر فصارت النظير المجهور للشين وفى هذه الحالة ستكون أمام صورة للجيم مشابهة لما نطلق عليه الجيم الشامية وهو صوت عن مقدم الحنك احتكاكى مجهور .

وكذلك الجيم جعلت بمنزلة الشين فى مثل قولنا الأجر : أشدر . يقول سيبويه وإنما حملهم على ذلك أنها من موضع حرف قد قرب من الزاى .

فالجيم فى المثال السابق فقدت جهرها ثم اردادت رخاوتها وبذلك تماثلت الشين فى المخرج والهمس والرخاوة ، والشين تماثلت مع الدال التالية لها فى الجهر فصارت النظير المجهور للشين وهى الجيم الشامية وهو نوع من المائلة الرجعية لأن الصوت الأول تأثر بالثانى . ثم يقول سيبويه : وقد قربوها منها منها فى افتعلوا حين قالوا أجدمعوا أى اجتمعوا وأجدرعوا يريد اجترعوا ، لما قربها منها فى الدال وكان حرفاً مجهوراً قربها منها فى افتعل لتبذل الدال مكان التاء ، وليكون العمل من وجه واحد ولا يجوز أن يجعلها رأياً خالصة ولا الشين لأنهما ليسا من مخرجها أجدرعوا حدث فيها نوع من المائلة الصرفية لأن الصوت الثانى تأثر بالاول .

أما مضارعة الجيم والشين بالزاي فقد حدث نتيجة التطور الصوتي أن تحولت الجيم من صوت خالٍ من التعطيش إلى صوت معطش لأن الحركة الأمامية قد جذبتها إلى الأمام وأصبح مخرجها أقرب إلى وسط الحنك بعد أن كان أقصى الفم .

ويرجح^(١١) د. إبراهيم أنيس أن تكون الجيم الحالية من التعطيش هي الأصل وأنها قد بقيت على هذا الأصل السامي في اللغات السامية الأخرى كالعبرية والسريانية ، أما في العربية فيبدو أنها تطورت إلى التعطيش ، ثم رادت نسبة التعطيش مع الزمن حتى صارت على النحو المألوف لنا في بلاد الشام وبلاد المغرب .

والكلمة العربية لا يتوالى فيها حرفان من مخرج واحد أو قريبان جداً في المخرج والصفة ويقضى هذا أنه لو كانت الجيم معطشة لكان نظيرها المهموس هو الشين ولقربت جداً في المخرج والصفة من الزاي . وهذا هو الذي قصده سيبويه في النص السابق .

ولذلك نلاحظ أن القراء حرصوا على نطق القرآن الكريم نطقاً سليماً بعيداً عن الزلل ولشدة حرصهم على الأصوات الشديدة المجهورة التي تعرضت للهمس في بعض اللهجات الكلامية سموها أصوات القلقة وقلقلوها في نطقهم ليأمنوا بهذا من همسها . فالقلقة مبالغة في الجهر بالصوت حتى لا تشوبه شائبة من همس كما شاع في لهجات الكلام ، وحروف القلقة هي القاف والطاء والباء والجيم والدال حين يقع حرف منها ساكناً في كلمة من كلمات مثل اجتمعوا ، فالجيم المشكلة بالسكون تميل إلى قلبها شيئاً إذا وليها حرف مهموس ، أما إذا قلقل حرف الجيم فإن صفته كحرف مجهور تظهر واضحة .

ثانياً: المضارعة فى النواحي الصرفية :

تحدث سيويوه فى مواضع كثيرة من كتابه عن المضارعة فى النواحي الصرفية ومن ذلك :

١ - مضارعة الاسماء المبنية لسوف وقد :

تحدث سيويوه^(١٢) عن ذلك تحت باب «مضارعة الاسماء غير المتمكنة . بما ليس باسم ولا فعل ، ويعنى بالاسماء غير المتمكنة الاسماء المبنية التى تضارع ما ليس باسم ولا فعل يعنى سوف (مبنية على الفتح) وقد (مبنية على السكون) . فالاسماء المبنية مثل هؤلاء (مبنية على الكسر) وهذا (مبنية على الوقف) ، والذين (مبنية على الفتح) وهى بذلك تضارع سوف وقد المبنيين أيضاً ؛ أى فى لزومهما حركة واحدة لا تتأثر بالعوامل الداخلة عليها ، وكلّ هذه الاسماء والأدوات تشترك فى أن معناها لا يتضح إلا من خلال الجملة فهى تفنقر إلى ما بعدها كى يتضح المعنى . ويمكن أن تدخل المضارعة هنا تحت باب المضارعة التامة .

٢ - مضارعة الاسماء المبنية للحروف :

تحدث سيويوه عن ذلك تحت باب مضارعة الاسماء غير المتمكنة الحروف التى ليست بأسماء ولا أفعال ، ويعنى بهذه الحروف مثلاً حروف الجر ، فحروف الجر ليست أسماء كما أنها ليست أفعالاً وهى مبنية كما أن الاسماء غير المتمكنة مبنية . يقول سيويوه : «واما الفتح والكسر والضم والوقف فللأسماء غير المتمكنة المضارعة عندهم ما ليس باسم ولا فعل مما جاء لمعنى ليس غير نحو سوف وقد ، وللأفعال التى لم تجر مجرى المضارعة ، والحروف التى ليست بأسماء ولا أفعال ولم تهجى إلا لمعنى» .

٣ - مضارعة الممنوع من الصرف للفعل :

ذهب سيبويه إلى أن الممنوع من الصرف يضارع الفعل من حيث عدم التمكن في الإسمية كالاسم المنصرف كما أن الفعل ليس له تمكن الاسم . وفي ذلك يقول^(١٣) : فجميع ما يترك صَرْفُهُ مضارعٌ به الفعل لأنه إنما فُعِلَ ذلك به لأنه ليس له تمكن غيره كما أن الفعل ليس له تمكن الاسم .

٤ - مضارعة الفعل المضارع للماضى المبدوء بهمزة وصل زائدة أو تاء زائدة :

تحدث سيبويه عن ذلك تحت باب « ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كَسَرَتْ ثانى الحرف حين قلت فَعِلَ » ونحن نعرف أن جميع العرب ما عدا أهل الحجاز يَجُورُونَ^(١٤) كسر حرف المضارعة ما عدا حرف الياء في الثلاثى المبني للفاعل ، إذا كان الماضى على فَعِلَ بكسر العين مثل قولنا : أنا اعْلَمْ ونحن نَعْلَمُ وأنت تَعْلَمُ وكذلك فى المثال والأجوف والناقص والمضاعف كما فى إيجَلْ وإِخَالَ وإِشْقَى وإِعْضُ .

ويرى سيبويه أنهم كسروا حروف المضارعة لكى ينهوا على أن عين الماضى مكسورة ، ويعلّل سيبويه بعد ذلك لعدم كسر الفاء بأن أصلها فى المضارع السكون ، ولعدم كسر العين حتى لا يلتبس يَفْعَلُ المفتوح بيفعل المكسور ، ويرى سيبويه أنهم كسروا غير الياء من حروف المضارعة فيما أوله همزة وصل مكسورة نحو : أنت تَسْتَغْفِرُ وتَحْرِكُهُم التنبيه على أن الماضى مكسور الأول وهو همزة ، وذهب إلى أنهم لم يضموا حرف المضارعة فيما ماضيه فَعِلَ مضموم العين متبّهين به على ضمة عين الماضى لاستئصال الضميتين لو قالوا مثلاً تُظَرَفُ ،

وهذا الذى ذهب إليه سيبويه هو ما يطلق عليه عند علماء اللغة المحدثين اسم المماثلة فى الحركات لأن الكسر مع الفتح أخف من اجتماع ضميتين لثقلهما .

وقد اشترط سيبويه لتغيير الحركات واللجوء إلى الاختف إذا أمن اللبس ، فإن لم يؤمن اللبس فلا يجوز لأن التغيير الصوتي في الحركات قد يؤدي إلى تغيير المعنى المقصود فيتوهم السامع أن المقصود شيء آخر مختلف تماماً ، ونحن لا ننسى قصة الأعرابي الذي سمع إماماً يقرأ ك ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بفتح التاء ، فقال : سبحان الله ! هذا قبل الإسلام فيصح فكيف بعده ؟ ! فقيل له : إنه لحن والقراءة ولا تُنكحوا بضم التاء فقال : قبّحه الله لا تجعلوه إماماً فإنه يُحلّ ما حرّم الله .

يقول^(١٥) سيبويه : واعلم أن كلّ شيء كانت ألفه موصولة بما جاور ثلاثة أحرف في فَعَلَ فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء وذلك لأنهم أرادوا أن يكسروا أوائلها كما كسروا أوائل فَعَلَ فلما أرادوا الأفعال المضارعة على هذا المعنى كسروا أوائلها كأنهم شبهوا هذا بذلك . وإنما منعهم أن يكسروا الثواني في باب فعل أنها لم تكن تحرك فوضعوا ذلك في الأوائل ولم يكونوا ليكسروا الثالث فلبس يَفْعَلُ يَفْعَلُ وذلك قولك استغفر فأنْتَ تَسْتَغْفِرُ وأحرّجهم فأنْتَ تَحْرِجُهم وإِعْدَدُونَ فأنْتَ تَعْدُونَ إقْعَنْسَ فأنّا إقْعَنْسَ وكذلك كلّ شيء من تَفَعَّلْتَ أو تَفَاعَلْتَ أو تَفَعَّلْتَ يجرى هذا المجرى لأنه كان عندهم في الأصل مما ينبغي أن تكون أوله ألف موصولة لأن معناه معنى الإنفعال وهو بمنزلة انفتح وانطلق ولكنهم لم يستعملوه استخفافاً في هذا القيل .

وسيبويه يعنى أنهم شبهوا ما في أوله تاء رائدة من ذوات الزوائد نحو: تكلم وتغافل تدحرج بباب انفعال ، وذلك لكون ذى التاء مطاوعاً في الأغلب كما أن انفعال كذلك ، فتفعل وتفاعل وتفعّل مطاوع فَعَلَ وفاعل وفَعَّلَ فكسروا غير الياء من حروف مضارعاتها وكلّ ما أول ماضيه همزة وصل مكسورة أو تاء رائدة يجوز فيه ذلك :

٥ - مضارعة فعلان فعلاء :

ذكر^(١٦) سيبويه ذلك تحت باب ما لحقته نونٌ بعد ألف فلم ينصرف في معرفة ولا نكرة ويمثل لذلك بمطشان وسكران وعجلان ، ويرى أنَّ فعَّلان يضارع فعَّلاء لأنها على مثالها في عدد الحروف والتحريك والسكون كما أنَّ البناء الأول «فعلان» به بالالف والنون الزائدتان للمذكر فقط ولا نقول في المؤنث عن عطشان عطشانة ، فلا نلحقه التاء وإنما مؤنثة عطشى ، وكذلك لفظ «حمراء» الدال على المؤنث لم يؤنث على بناء المذكر لأن مذكره أحمر ، فلمؤنث سكران بناءً على حدة وكذلك للمذكر حمراء بناءً على حدة فلما ضارع فعلاء هذه وأشبهها أجرى مجراها .

يقول سيبويه : وذلك نحو عطشان وسكران وعجلان وأشباهها وذلك أنهم جعلوا النون حيث جاءت بعد ألف كالف حمراء لأنها على مثالها في عدة الحروف والتحريك والسكون ، وهاتان الزائدتان قد اختص بهما المذكر ولا تلحقه علامة التأنيث كما أنَّ حمراء لم تؤنث على بناء المذكر ، ولمؤنث سكران بناءً على حدة كما كان للمذكر حمراء بناءً إلى حدة فلما ضارع فعلاء هذه المضارعة وأشبهها فيما ذكرت لك أجرى مجراها .

٦ - مضارعة ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل للواحد :

وذلك نحو مساجد ومفاتيح ، وكلّ جمع يأتي بعد ألفه حرفان أو ثلاثة الأوسط منها حرف لين نحو خواتيم ودوائيق وكواهل وجواهر ودرهم ودنانير ، وما كان على مثال ما سبق ذهب النحويون إلى أنه لا ينصرف لأنه جمع وليس له مثال في الواحد .

يقول^(١٧) سيبويه : «وأما مفاعل ومفاعيل فلا يكسر فيُخرج الجمع إلى بناء غير هذا لأن هذا البناء هو الغاية ، فلما ضارعت الواحد صرفت ، كما أدخلوا

الرفع والنصب فى يفعل حين ضارع فاعلاً ، وكما ترك صرف أفعل حين ضارع الفعل ، وكذلك وكذلك الفعل لو كسرت مثل الفلوس ، لأنه تجمع جمعاً لأخرج إلى فعائل كما تقول : جَدودٌ وجدائدٌ وركوبٌ وركائبٌ . ولو فعلت ذلك بمفاعيل ومفاعيل لم تجاوز هذا . ويقوى ذلك أن بعض العرب يقول : أتى للسواحد فيضسم الألف . وأما أفعالٌ فقد يقع الواحد ، من العرب من يقول : هو الأنعام ، وقال الله عز وجل ﴿ نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بَطُونِهِ ﴾ (١٨) ومعنى ذلك أن الجمع لو كان له نظير فى الواحد يصرف نحو قلوبٌ وفلوس ؛ نظيره الواحد : السدوس ؛ يقال لضربٍ من الثياب وهى : الطيالة الحضر والأتى : لمجرى السيل والقعود والجلوس .

ومثال أجمال وإحمال قولهم : بُرمة أعشار وثوبٌ أكياش : يقال لضرب من الثياب وكذلك سائر أنحاء الجمع له فى الواحد نظير نحو أحمرة وأخونة ونحو الغزلان نظيرها فى الواحد العرفان والحِرمان ، وكذلك «فعلان» نحو : السكران والكفران وكذلك أفعل نحو : اكلبَ نظيرها : انملأ لأن الهاء لا تُحتسب بها (١٩) .

ويقول سيبويه : فأما عواديّ وعواريّ وحواليّ فغير مصروفات لأن هذه الباء كانت فى الواحد نحو عادِيّة وعاريّة وحوَلِيّ ، فأما ما كان نحو صياقلة وبياطرة وأساوره فمصروف فى النكرة ، وإنما صُرِفَ لأنك صممت الآخر إلى الأول كما صممت «حضر» إلى «موت» ومع هذا أنه مثال يكون الواحد نحو قولهم : علانية .

قال ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة لأنه ليس له مثال فى الواحد والواحد أشد تمكناً وهو الأول فلما لم يكن هذا من بناء الواحد وتركوا صرفه .

٧ - مضارعة صيغة فواعل الدالة على المذكر لفواعل الدالة على المؤنث :

ذهب سيبويه إلى أن ما كان على فاعل لغير الآدميين وإن كان لمذكر فإنه يجمع على (فواعل) مثل جمال بوارل وفى ذلك يقول : «وإن كان^(٢٠) فاعل لغير الآدميين كُسِّرَ على (فواعل) وإن كان لمذكر أيضاً لأنه لا يجوز فيه ما جار فى الآدميين وذلك قولك جمال بوارل وجمال عواضيه» .

ومذهب السلفويين القدماء أن ما كان على وزن فاعل اسماً مجمعه على «فواعل» نحو قادم وقوادم وتابل وتوابل وحاجب وحواجب . وأما ما كان نعتاً للمذكر فتكسیره على فُعَلْ وفُعَالْ نحو ضارب وضرب وضرب وكاتب وكتب وكتّاب وأما ما كان لمؤنث فجمعه على فواعل فرقاً بين المؤنث والمذكر وذلك مثل ضاربٍ وضوارب وذاهبة وذواهب ، وأما جمعهم فارساً على فوارس فلأنه شئ لا يكون فى المؤنث ، فلم يخافوا لبساً فأخرجوه على الأصل وقالوا : «هالك فى الهوالك» لأنه مثْلُ فجرى على الأصل .

ويستشهد سيبويه ببيت شعري لسفر ردد اضطر فيه إلى جمع ناكس على نواكس صفة للرجال فى قوله :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

يقول سيبويه : لأنك تقول هى للرجال كما تقول هى الجمال فشبّه بالجمال .

٨ - مضارعة عدو للاسم :

ذهب سيبويه إلى أن لفظ «عدو» على الرغم من كونه وصفاً إلا أنه يضارع الاسم ولذلك جمع على أعداء .

يقول^(١١) سيويه : «وقد كسروا شيئاً منه من بنات الواو على أفعال قالوا : أفلاء وأعداء والواحد قَلَوْ وعلَوْ كَرِهُوا فُعَلُاً كما كَرِهُوا فِى فَعْلَلٍ وكَرِهُوا فِعْلَانَا للكسرة التى قبل الواو وإن كان بينهما حرف ساكن لأنه ليس حاجزاً حصيناً وعلو وصف ولكنه ضارع للاسم» .

وجمع لفظ «عدو» على أعداء نوع من الماثلة فى الحركات للتخفيف على جهاز النطق فالهمزة مفتوحة والدال مفتوحة ، ونحن نعرف أن الفتحة هى أخف الحركات .

ثالثاً : المضارعة فى النواحي التركيبية :

١ - مضارعة الفعل المضارع لاسم الفاعل :

تحدث سيويه^(١٢) فى الجزء الأول من كتابه عن الفعل المضارع لأسماء الفاعلين فى قوله : إن يفعل إنما أعرب لمضارعة لفاعل ، ووضح أوجه الشبه والاختلاف بين الفعل المضارع واسم الفاعل فيقول : «وإنما ضارعتُ أسماء الفاعلين أنك تقول : إن عبد الله ليفعل ، فيوافق قولك : لفاعلٌ ، حتى كأنك قلت : إن ريداً لفاعلٌ فيما تريد من المعنى وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم ، ولا تلحق فَعَلَ اللام ، وتقول . سيفعل ذلك وسوف يفعل ذلك فنلحقها هذين الحرفين معنى كما تلحق الألف واللام للأسماء للمعرفة فوجه الشبه بين الفعل المضارع واسم الفاعل هو دخول اللام التى نطلق عليها لام التوكيد على كل منهما دون أن يحدث تغير فى المعنى أى أنه تغير فى الصيغة لا يعقبه تغير فى المعنى ، فليس هناك فرق فى المعنى بين قولنا : إن محمداً ليذاكر دروسه وإن ربك ليحكم بينهم وإن محمداً لمذاكر دروسه وإن ربك لحاكم بينهم ، وهذه اللام التى يصح دخولها على الفعل المضارع واسم الفاعل لا يصح دخولها على الفعل الماضى فلا نقول : إن محمداً لذاكر دروسه .

يقول السيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه^(٢٣) : فاجتمع الفعل المضارع
مشابهة الاسم من هذه الوجوه دون غيره من الأفعال ففُصل على سائر الأفعال
بأن أعرب لما بان به عن هذه المشاركة واختص به دون نظائره .

ويضيف السيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه عدة أوجه أخرى لمشابهة الفعل
المضارع اسم الفاعل مثل المساواة فى العدة والرتبة ، وأن ألف الوصل لا تدخل
على المضارع كما دخلت على الماضى والأمر ، كما أن الفعل توصف به
النكرات كما فى قولنا : مررتُ برجلٍ يقوم . ويكون خبراً كقولنا : إن زيداً
يقوم ، وكان زيد ينطلق . كما كان ذلك فى الاسم إذا قلنا : مررت برجلٍ
قائم وكان زيد منطلقاً ، فلما وقع موقعه صار مثله فى هذا الوجه .

أما وجه الاختلاف بين الفعل المضارع واسم الفاعل فهو أن حرفى
التسوية السين وسوف يدخلان على الفعل المضارع ولا يدخلان على اسم
الفاعل فى مثل قولنا : محمد سيذاكر وسوف يذاكر للدلالة على المستقبل كما
تدخل الألف واللام على الأسماء لتخرجها من دائرة التنكير إلى دائرة
التعريف .

وإذا كانت السين وسوف تدخلان على الفعل المضارع للدلالة على المستقبل
فإن التنوين حين يدخل على اسم الفاعل قد يجعله دالاً على المستقبل فى مثل
قولنا :

هذا قاتلٌ محمدًا

وهذا قاتلٌ محمدٍ

فالتنوين فى المثال الأول أخرج الجملة إلى معنى المستقبلية ، أما المثال
الثانى فقد دلّ على إنتهاء القتل وتحديد القاتل .

ومعروفٌ أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضى كان مضافاً إلى ما بعده

وعومل معاملة الأسماء فى الإضافة مثل قولنا . هذا ضاربٌ ريدٌ أمس ، ولو قلنا : هذا ضاربٌ ريداً أمس لم يجوز عند أحدٍ من البصريين والكوفيين إلا الكسائى فإنه كان يجيزه ، وإنما يم يجوز ذلك لأن اسم الفاعل إنما يعمل عمل الفاعل الذى ضارعه وهو المستقبل كما أن المستقبل أُعْرِبَ لمضارعه اسم الفاعل وكلّ واحدٍ منهما محمول على صاحبه وليس بين اسم الفاعل والفعل الماضى مضارعه ، فلذلك لم يُعْرَبَ الماضى ولا عَمِلَ اسم الفاعل عمله^(٢٤) .

أما المحدثون فقد ذهب بعضهم^(٢٥) إلى أنه لا يوجد فرق فى المعنى على الإطلاق بين اسم الفاعل والفاعل المضارع فى مثل قولنا : والله يدعو إلى دار السلام أو الله الداعى إلى دار السلام لأن المضارع فى الجملة الأولى ليس فعلاً وإنما هو وصف يجوز عليه ما يجوز على الوصف عن وجوب مطابقتها لموصوفه فى كلِّ شىء فالفرق بين المضارع واسم الفاعل فى الجملتين السابقتين حين يتقدم المسند إليه لا فى معناهما ولا فيما يصيب كلاً منهما من تغيير مع التثنية أو الجمع أو التأنيث ، ولم يكن عبد القاهر الجرجاني مصيباً حين حاول أن يتلَمَّس فروقاً بين استعمال الفعل المضارع واستعمال وما اشتق منه فذهب إلى أن الفعل المضارع يفيد التجدد ووقوع الحدث شيئاً فشيئاً فى حين أنه مع الشق لا يكاد يعدو ثبوت الصفة وحصولها .

وقد أشار النحاة^(٢٦) فى كتبهم إلى أن المضارع للحال والاستقبال وذهب بعض المحدثين إلى أنه قد يتناول الماضى أيضاً ، وكل ذلك مرجعه حين يسبق المضارع المسند إليه وخلاصة القول أن الفعل المضارع يضارع اسم الفاعل مضارعه ناقصة أى أنه يشبهه فى نواحٍ ويخالفه فى نواحٍ أخرى .

٢ - مضارعة الأسماء المبنيّة للفعلين الماضى والأمر :

ذكر سيبويه ذلك تحت باب مضارعة الأسماء غير المتمكنة للأفعال التى لم يجز مجرى المضارعة ويعنى بها الأفعال الماضية والفعل الأمر لأن الفعل الماضى

والفعل الأمر مبنيان كما أن الأسماء غير المتمكنة مبنية ، ويعنى بالأسماء غير المتمكنة الأسماء المبنية .

وقد ذهب^(٢٧) علماء اللغة إلى أن الفعل الماضي مبنى لأن الأصل في الأفعال البناء ويبنى على حركة تفضيلاً له على فعل الأمر لأن الفعل الماضي أشبه الأسماء في الصيغة نحو قولك :

مررت برجلٍ ضارب

كما تقول مررت برجلٍ ضارب

فأشبه أيضاً ما أشبه للأسماء في الشرط والجزاء ، فإنك تقول : إن فعلتُ وفعلتُ والمعنى فيه إن تفعلْ أفعَلْ فلما قام الماضي مقام المستقبل والمستقبل قد أشبه الأسماء وجب أن يبنى على حركة تفضيلاً له على فعل الأمر الذي ما أشبه الأسماء ولا أشبه ما أشبهها .

وينى الفعل الماضي على الفتحة لأنها أخف الحركات .

أما الفعل الأمر فقد بنى على الوقف لأن الأصل في الأفعال البناء والأصل في البناء أن يكون على الوقف فبنى على الوقف لأنه الأصل .

يقول سيبويه^(٢٨) إنهم لم يسكنوا آخر فَعَلْ لأن فيها بعض ما في المضارعة . تقول : هذا رجل ضاربنا فتصف بها النكرة ، وتكون في موضع ضارب إذا قلت هذا رجل ضارب وتقول : إن فَعُلْ فَعَلْتُ فيكون في معنى إن يفعلْ أفعَلْ فهي فعلٌ كما أن المضارع فعل وقد وقعت موقعها في إن ووقعت موقع الأسماء في الوصف كما تقع المضارعة في الوصف .

ثم يذكر سيبويه بعد ذلك السبب في عدم تسكين الأفعال الماضية بقوله : « فلم يسكنوها كما لم يسكنوا من الأسماء ما ضارع المتمكن » .

٣ - مضارعة الأسماء التي على وزن الفعل المضارع :

ذهب سيويه^(٢٩) إلى أن الأسماء التي على وزن أفعال تضارع الفعل المضارع وفي ذلك يقول وأعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام ووافقه في البناء أجرى لفظه مُجَرَّى ما يستقلون ومنعوه ما يكون كما يستخفون وذلك نحو أبيض وأسود وأحمر وأصفر فهذا بناء أذهب وأعلم فيكون في موضع الجر مفتوحاً استقلوه حين قارب في الكلام ووافق في البناء .

ثم تحدث عن مضارعة أفعال الذي يكون صفة للاسم فيرى أنه يكون وهو اسم صفة كما يكون الفعل صفة ، وأما شكر فإنه لا يكون صفة وهو اسم وإنما يكون صفة وهو فعل وتفسير ذلك أن باب أفعال وهو اسم مضارع الفعل، ومضارعة الفعل أنه صفة والفعل يوصف به أيضاً مثل قولنا :

مررتُ برجلٍ أحمر

ومررتُ برجلٍ يأكل

ويضارعه أيضاً في أن الفعل لا يكون إلا بفاعل والنعت لا يحسن إلا بمنعوت ومشاركته له في البناء أن «أحمر» الهمزة فيه رائدة كما هي رائدة في «أذهب» ووزنها أفعال^(٣٠) .

وفي موضع آخر يقول سيويه «وإنما صارت أفعال في الصفات أكثر لمضارعة الصفة الفعل»^(٣١) .

وفي موضع آخر : «فما بالك تصرف في النكرة وإنما منعك من صرف أحمر في النكرة وهو اسم أنه ضارع الفعل .

٤ - مضارعة المصادر للأفعال :

ذكر سيويه^(٣٢) أن المصادر تضارع الأفعال من عدة أوجه منها أن ما كان

على وزن فَعْلَة مصدرأ وكان فَعْلُهُ معتل الفاء بالواو فإن هذه الواو تحذف عندما نأتى منه بالمصدر ومثال ذلك «وعد» الاسم منه وَعَدَ والمصدر عدة ويعمل سبويه لحذف الواو من المصدر بقوله : «فإنهم يحذفون الواو منها كما يحذفونها من فعلها (يعنى يعد) لأن الكسر يستثقل فى الواو فاطرد ذلك فى المصدر وشبهه بالفعل لأن الفعل تذهب الواو منه ولأن المصادر تضارع الفعل كثيراً فى قبلك : سَقِيَا وأشياء ذلك .

والمصادر تضارع الفعل فى العمل لأن المصدر يعمل عمل الفعل المشتق منه مثل قولنا :

أعجبنى ضرب زيد عمرًا وإعطاء عمرو زيداً درهماً .

فهذه المصادر ضربٌ ، إعطاء ، تعمل عمل أفعالها فتصير بمزلة قولنا :

أعجبنى أن ضربَ زيدَ عمرًا وأن أعطى عمروُ زيداً درهماً

ويمكن إضافتها فتجر ما نضيفها إليه مثل قولنا :

أعجبنى ضربَ زيدٍ عمرًا وإعطاء عمروٍ زيداً درهماً

ودخول الألف واللام على المصدر مثل تنوينه

أما ما ذكره سبويه أن المصادر تضارع الفعل كثيراً فى قولنا : سَقِيَا وأشياء ذلك فهو على نحو استعمال العرب لها ، ولا يجوز (سقيك) لأن العرب لم تدع به ، وإنما^(٣٣) وجب لزوم العرب إياها لأنها أشياء قد حذفت منها ألف الفعل وجعلت بدلاً من اللفظ به على مذهب أرادوه من الدعاء فلا يجوز تجاوزه لأن الإضمار والحذف وإقامة المصادر مقام الأفعال ليس بقياس مستمر فيتجاوز فيه الموضع الذى لزموه .

ثم يقول سبويه : «فأما فى الأسماء فتثبت» يقصد الواو ويأتى بمثال هو : ولدة ، وقالها : لِدَة كما حذفوا عِدَة ، ثم يعمل بقوله : «وإنما جار فيما كان

من المصادر مكسور الواو إذا كان فعله لأنه بعدد يفعل ووزنه ، فيلقون حركة الفاء على العين كما يفعلون ذلك ففى الهمزة إذا حذفت بعد ساكن . فإن بنيت اسماً من وَعَدَ على فعله : قلت وعدة وإن بنيت مصدرأ قلت عدة .

٥ - مضارعة اسم الفاعل والصفة المشبهة بالفعل منه وغيره :

نحدث سيبويه عن ذلك^(٣٤) تحت باب « هذا ما جرى من الأسماء التى تكون صفة مجرى الأسماء التى لا تكون صفة » ، ويمثل للأسماء التى لا تكون صفة بقوله : « وذلك أفعَل منه ومثال وإخواتها ، وحسبك من رجل ، وسواء عليه الخبير والشر ، وأيما رجل ، وأبو عَشْرَةٍ وأبٌ لك وأخ لك وصاحبٌ لك ، وكل رجل ، وأفعَلُ شئٍ نحو خيرُ شئٍ وأفضلُ شئٍ ، وأفعَلُ ما يكون وأفعَلُ منك .

ثم يذكر سيبويه أن تلك الأسماء السابقة بمنزلة الأسماء التى لا تكون صفة لأنها ليست بفاعلة وليست كالصفات غير الفاعلة أى التى لم تبلغ قوة أسماء الفاعلين ويريد بها الصفة المشبهة مثل حسنٍ وطويلٍ وكريمٍ لأن هذه تفرد وتؤنث بالهاء كما يؤنث فاعل ، ويدخلها الألف واللام ، وتضاف إلى ما فيه الألف واللام وتكون نكرة بمنزلة الاسم الذى يكون فاعلا حين نقول هذا رجلٌ ملارمُ الرجلِ وذلك قولك : هذا حسنُ الوجه ، ومع ذلك فإن الألف واللام تدخلان على حسن الوجه فنقول : الحسن الوجه كما نقول الملارمُ الرجلِ .

ثم يقول : فَحَسَنٌ وما أشبهه يتصرف هذا التصرف^(٣٥) .

أما الأسماء التى لا تكون صفة مثل حسبك من رجلٍ وخيرُ شئٍ وأفضلُ شئٍ فلا يستطيع أن نفرد شيئا منها لو قلنا : هذا رجلٌ خيرٌ وهذا رجلٌ أفضلٌ وهذا رجلٌ أبٌ . . . لم يستقم ولم يكن حسناً .

والمعروف أن اسمَ الفاعل إذا كان بمعنى المضى فاضفته إلى نكرة تَنَكَّرَ وإن أضفته إلى معرفة تَعَرَّفَ ، وإذا كان اسمُ الفاعل بمعنى الحال والاستقبال كان

نكرةً على كلِّ حال فإن أضفته إلى معرفة لم يتعرف بالإضافة لأن إضافته غير محضة ، وكذلك : «غيرك وشبهك ومثلك ونحوك وضربك» وما أشبه هذا هو نكرة وإن كان بلفظ المعرفة والدليل على ذلك أنك تثبت به النكرات فتقول: مررت برجلٍ مثلك وشبهك وغيرك^(٣٦) .

ويضرب سيبويه مثلاً آخر هو (أى) التى لا يمكن أن تفرد فنحن لا نستطيع أن نقول : هذا رجلٌ أى ، فاللواحق تحسّن هذا النوع من الأسماء ولا تدخل الألف واللام عليها كما دخلت على الحسن الوجه ولا ينون ولا يؤنث كما ينون الفاعل ويؤنث ولذلك لم يكن هذا النوع من الأسماء قوياً كالصفر المشبهة التى يمكن قطعها عما بعدها .

يقول سيبويه^(٣٧) فلما جاءت مضارعة للاسم الذى لا يكون صفة البتة إلا مستكرها كان الوجه عندهم فيه الرفع إذا كان التعت فيه للآخر وذلك قولك : مررتُ برجلٍ حسنٍ أبوه» ومع ذلك أيضاً أن الابتداء يحسن فيهنّ ، تقول : خيرٌ منك زيد ، وأبو عشرة زيدٌ ومواء عليه الخير والشر ، ولا يحسن الابتداء فى قولك : حسنٌ زيدٌ . . فلما جاءت مضارعة للأسماء التى لا تكون صفة وقويت فى الابتداء كان الوجه عندهم الرفع إذا كان التعت للآخر وذلك قولك : مررت برجلٍ خيرٍ منه أبوه ومررت برجلٍ سواءٌ عليه الخير والشر ومررت برجلٍ أبٌ لك صاحبه ومررت برجلٍ حسبك من رجلٍ هو ومررت برجلٍ أيما رجلٍ هو .

٦ - مضارعة المنصوب على الاختصاص للنداء :

يرى سيبويه أن الاسم المنصوب على الاختصاص يضارع النداء حيث ذكر تحت باب ما ينتصب على التعظيم أن^(٣٨) «هذا شبيه بقوله : إنا بنى فلان نفعل كذا لأنه لا يريد أن يُخبر من لا يدرى أنه من بنى فلان ولكنه ذكر ذلك افتخاراً

وَأَبْتَهَاءٌ إِلَّا أَنْ هَذَا يَجْرَى عَلَى حَرْفِ النَّدَاءِ . . . ٤٠٠ .

ووجه المضارعة كما يرى سيبويه هو أن الاسم المنصوب على الاختصاص قد نصب بفعل محذوف تقديره اختص أو أعنى وكذلك المنادى بعد حرف النداء منصوب بفعل تقديره أَدْعُو أو أَنَادِي ، وفي ذلك يقول : وَتَرَكَ إِظْهَارَ الْفِعْلِ فِيهِ حَيْثُ ضَارَعَ هَذَا وَاشْبَاهَهُ لِأَنَّا بَنَى فَلَانَ وَنَحْوَهُ بِمَنْزِلَةِ النَّدَاءِ وَقَدْ ضَارَعَهُ هَذَا الْبَابُ .

وقد أجرت العرب أشياء اختصوها على طريقة النداء لاشتراكهما في الاختصاص واستعير لفظ أحدهما للآخر من حيث شاركة في الاختصاص كما أجروا التسوية مجرى الاستفهام إذ كانت التسوية موجودة في الاستفهام مثل أَرِيدُ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرُو وَأَرِيدُ أَفْضَلَ أَمْ خَالِدٌ فَالْشِّيشَانُ اللَّذَانِ تَسْأَلُ عَنْهُمَا قَدْ اسْتَوَى عِلْمُكَ فِيهِمَا . . . كذلك جاء للاختصاص بلفظ النداء لاشتراكهما في معنى الاختصاص وإن لم يكن منادى (٣٩) .

والذي يدل على أنه غير منادى أنه لا يجوز دخول حرف النداء عليه فلا تقول أنا أفعل كذا يا أيهذا الرجل إذا عنيت نفسك ولا نحن نفعل كذا يا أيها القوم إذا عنيت أنفسكم لأنك لا تنبه غيرك . وهذا الاختصاص يقع للمتكلم نحو نحن نفعل أيها العصاة وتعنى بالعصاة أنفسكم . . . كما يقع للمخاطب ولا يجوز للغائب .

وذكر ابن يعيش (٤٠) أن الاختصاص يجري على مذهب النداء من النصب بفعل مضمّر غير مستعمل إظهاره وليس بنداء على الحقيقة بدليل أن الاسم المفرد الذي يقع فيه لا يبنى على الضم كما يبنى الاسم المفرد في النداء على الضم في نحو يا رَيْدُ ويا بَكْرُ ولم يقولوا في «بنا تيمما يكشف الضباب» «بنا تميم» بالضم كما فعلوا في النداء ، ولأنه أيضاً يدخل عليه الألف واللام نحو نحن العرب أقرى الناس الضيف .

وخلاصة القول أن الإختصاص يضارع النداء من حيث إنه منصوب بفعل مضمر غير مستعمل إظهاره ولا يكون إلا للمتكلم والمخاطب وهما حاضران ولا يكون لغائب .

٧ - النكرة المضارعة للمعرفة :

تحدث سيبويه عن مضارعة النكرة لمعرفة عند حديثه عن ضمير الفصل وشروطه وهو بذلك يشير إلى باب «أفعل من كذا» الذى يشبه المعرفة من حيث إنه غير مضاف ويمتنع دخول الألف واللام عليه لأن الألف واللام تعاقب من فلا تجامعها فجرى مجرى العلم نحو زيد وعمرو فى إمتناعه من الألف واللام ، وليس بمضاف مع أن من تخصصه لأنها من صلته فطال الاسم فصارت كالصلة للموصول .

وفى ذلك يقول سيبويه^(١١) : «واعلم أن هو لا يحسن أن يكون فصلاً حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الألف واللام فضارع زيدا وعمراً نحو خير منك ومثلك ، وأفضل منك وشر منك ، كما أنها لا تكون فى الفصل إلا قبلها معرفة أو ما ضارعا ، كذلك لا يكون ما بعدها إلا معرفة أو ما ضارعا . لو قلت : كان زيد هو منطلقاً ، كان قبيحاً حتى تذكر الأسماء التى ذكرت لك من المعروفة أو ما ضارعا من النكرة مما لا يدخله الألف واللام» .

ثم يستشهد بأمثلة منها قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَرَنِى أَنَا أَقَلُّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ وكذلك ﴿ وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ﴾ .

فقد تكون «أنا» فصلاً فى الآية الأولى وقد تكون صفة^(١٢) أى تأكيداً كما يرى سيبويه ، فإن كانت فصلاً نصبت كلمة أقل على أنها مفعول به ثانٍ وكذلك كلمة خيراً ، ومثلاً قوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم .

وقد وقع الضمير فى الآيات السابقة بين معرفة وما قاربها من النكرات ويسمى هذا الضمير ضمير الفصل والعماد ، والفصل من عبارات البصريين كانه فصل الاسم الاول عما بعده وأذن بتمامه وإن لم يبق منه بقية من نعت ولا بدل إلا الخير لا غير والعماد من عبارات الكوفيين .

فإذا قلنا كان^(١٣) زيد هو القائم عرف أن هو ضمير فصل ينصب ما بعده ، ووجب أن يكون بعد معرفة لأن فيه ضرباً من التأكيد ولفظه لفظ المعرفة فوجب أن يكون الاسم الجارى عليه معرفة كما أن التأكيد كذلك ، ووجب أن يكون ما بعده معرفة أيضاً لأنه لا يكون ما بعده إلا ما يجوز أن يكون نعتاً لما قبله ونعت المعرفة معرفة فلذلك وجب أن يكون بين معرفتين ،

٨ - مضارعة حروف الجزاء باب إن وكان :

تحدث سيبويه^(١٤) عن مضارعة حروف الجزاء باب إن وكان تحت باب «هذا باب يذهب فيه الجزاء عن الأسماء كما ذهب فى إنّ وكان وأتباعهما غير أن إنّ وكان عواملٌ فيما بعدهن والحروف فى هذا الباب لا يحدثن فيما بعدهن من الأسماء شيئاً كما أحدثت إنّ وكان وأشباههما ، لأنها من الحروف التى تدخل على المبتدأ أو المبنى عليه فلا يغير الكلام عن حالة» .

ويشير سيبويه بقوله «باب يذهب فيه الجزاء من الأسماء» إلى ما لا يجوز فيه الجزاء ومن أمثله فى ذلك .

أتذكر إذ من يأتينا تأتية

وما من يأتينا تأتية

وأما من يأتينا تأتية

ثم يعلق على ذلك بقوله «وإنما كرهوا الجزاء ها هنا لأنه ليس من مواضعه. ألا ترى أنه لا يحسن أن تقول : أتذكر إذ إن تأتينا نأتك ولا يجوز أن نقول : إن إن تأتينا نأتك فلما ضارع هذا الباب الباب «إن» وكأن كرهوا الجزاء فيه .

ثم يذكر سيبويه أنه يجوز في الشعر أن يُجَارَى بعد هذه الحروف فتقول : أتذكر إذ من يأتنا نأته وإنما أجاروه لأن إذ وهذه الحروف لا تغير ما دَخَلَتْ عليه عن حالة قبل أن تحيىء بها فقالوا ندخلها على من يأتنا نأته ولا تغير الكلام .

٩ - مضارعة حروف الجزاء لما يجز من الأسماء :

ذهب سيبويه^(١٠) إلى أن بعض حروف الجزاء لا يلتزم جزم الفعل الواقع بعدها ولكن يكون فيها الاستفهام فترفع فيها الأسماء وتكون بمنزلة الذي ، وهى بذلك تضارع اسم الفاعل الذى يمكن أن يجز ما بعده أو أن ينصبه فى مثل قولنا .

ضارب عبد الله وضارب عبد الله

يقول سيبويه «واعلم أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل للأفعال وذلك لأنهم شبهوها بما يجزم مما ذكرنا ، إلا أن حروف الجزاء يدخلها فَعْلٌ ويفعل ، ويكون فيها الاستفهام فترفع فيها الأسماء وتكون بمنزلة الذى ، فلما كانت تصرف هذا التصرف وتنفارق الجزم ضارعت ما يُجَزَّ من الأسماء التى إن شئت استعملتها غير مضافة نحو : ضارب عبد الله ، فلذلك لم تكن مثل لَمْ ولا فى النص واللام فى الأمر لأنهن لا يفارقن الجزم .

ثم يقول سيبويه : ويجوز الفرق فى الكلام فى إن إذا لم تجزم فى اللفظ ، نحو قوله : عاود هراة وإن معمورها حرباً .

فإن جزمت ففى الشعر ، لأنه لم يشبه بَلَمْ وإنما جار فى الفصل ولم يشبه لَمْ لأن لَمْ لا يقع بعدها فَعَلْ ، وإنما جار هذا فى إن لأنها أصل الجزاء ولا تفارقه فجاء هذا كما جار إضمار الفعل فيها حين قالوا : إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وأما سائر حروف الجزاء فهذا فيه ضعف فى الكلام لأنها ليست كأن فلو جار فى إن وقد جزمت كان أقوى إذ جار فيها فَعَلْ .

وقد ذكر^(١٦) اللغويون القدماء أن إن لقوتها فى بابها وعدم خروجها عن الشرط إلى غيره توسعوا فيها فأجازوا فيها الفصل بالاسم ولم يكن ذلك بأبعد من حذف فعل الشرط فى قولهم المراء مقتول بما قتل به إن خنجر فخنجر ، فإن كان بعدها فعل ماضٍ فى اللفظ لا تأثير لها فيه فالفصل حسن وجار فى الكلام . وشبهت بما ليس بعامل من الحروف نحو همزة الاستفهام وإن كان بعدها مضارع مجزوم فبح تقدم الاسم إلا فى الشعر لأنها قد جرت بعد الإعمال وظهوره مجرى لم ولما ونحوهما من الجوارم فكما لا تقول لم ريد يقم ولم ريدا أضرب إلا فى ضرورة الشعر كذلك لا تقول إن ريد يقم أقم إلا فى ضرورة الشعر فعلى هذا تقول إذا وليها الفعل الماضى إن ريد ركب ركبت ، ومن كلامهم إن الله أمكننى من فلان فعلت وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن امرؤ هاك ﴾ و ﴿ إن أحد من المشركين استجارك ﴾ .

١٠ - مضارعة نعم وبش للفعل :

ذهب سيوريه إلى أن نعم وبش تضارعان الفعل فنعم للمدح وبش للذم ، وبما يدل على أنهما فعلان أننا نضمّر فيهما إذا قلنا : نعم رجلاً ريد لا نضمّر إلا فى الفعل ، ويمكن أن يبرز الضمير . ويتصل بالفعل على حد اتصاله بالأفعال فى مثل نعمنا رجلين ونعموا رجلاً كما نقول ضربا وضربوا ، كما تلحقها ثاء التأنيث الساكنة فى الوصل وفى الوقف كما تلحق الأفعال نحو : نعمت الجارية هند وبشت الجارية جاريتك كما نقول : قامت هند وقعدت وهما مبنيان على

الفتح كالأفعال الماضية ولكنهما تختلفان في أنهما لا تتصرفان فلا يأتى منهما مضارع ولا اسم فاعل وسبب ذلك كما ذكر اللخويون^(٤٧) أنهما تضمنا ما ليس لهما في الأصل وذلك أنهما نقلتا من الخبر إلى نفس المدح والذم والأصل في إفادة المعاني إنما هي الحروف فلما أفادت فائدة الحروف خرجت عن بابها ومنعت التصرف كليس وعسى .

يقول سيبويه^(٤٨) : «وأما نعم وبئس ونحوهما فليس فيهما كلام لأنهما لا تغيران لأن عامة الأسماء على ثلاثة أحرف . ولا تجرهن إذا كنَّ أسماء للكلمة لأنهن أفعال والأفعال علم التذكير لأنها تضارع فاعلاً . ويمكن اعتبار هذا النوع من المماثلة مماثلة تامة .

١١ - مضارعة حيث وحيثنذ والآن لاين :

ذهب سيبويه^(٤٩) إلى أن حيث وحيثنذ والآن تضارعر أين فى قوله : «كما جعلوا حيث فى بعض اللغات كآين وكذلك حيثنذ فى بعض اللغات لأنه مضاف إلى غير متمكن ، وليس كآين فى كل شئ ، كما جعلوا الآن كآين وليس مثله فى كل شئ ولكنه يضارعه فى أنه ظرف وكثرته فى الكلام كما ضارع حيثنذ أين فى أنه أضيف إلى اسم غير متمكن فكذلك ضار هذا : ضارع خمسة عشر فى البناء وأنه غير علم» .

وقد أشار اللخويون القدماء إلى أن فى حيث أربع لغات : «حيث بالضم وحيث بالفتح وحوث وحوث وهى مبنية فى جميع لغاتها وذهبوا إلى أن الذى أوجب بناءها أنها تقع على الجهات الست وهى خلف وقدام ويمين وشمال وفوق وتحت وعلى كل مكان فأبهمت حيث ووقعت عليها جميعاً فضاهت بإيهامها فى الامكنة إذا المبهمة فى الارمنة الماضية كلها فلما كانت إذ مضافة إلى جملة توضيحها أوضحت حيث بالجملة التى توضح بها إذ من ابتداء وخير وفعل وفاعل ، ولأنها نفتقر إلى الجملة بعدها أشبهت الذى ونحوها من الموصولات .

أما حيث فكانت ساكنة الآخر إلا أنه التقى في آخرها ساكنان هما الياء والثاء فممنهم من فتح طلباً للخفة لثقل الكسرة بعد الياء كآين وكيف ومنهم من شبهها بالغايات فضمها كقبل ويعد .

أما الآن فهي ظرف من ظروف الزمان مبنى على الفتح وذكر اللغويون أن سبب بنائها أنها وقعت في أول أحوالها معرفة بالالف واللام ، وحكم الأسماء أن تكون متكورة شائعة في الجنس ثم يدخل عليها ما يعرفها من إضافة ألف ولام فلما خالفت أخواتها من الأسماء بنيت لأنها ألحقت بشبه الحروف .

أما أين^(٥٠) فظرف من ظروف الامكنة مبنى لتضمنه همزة الاستفهام ووجب أن تبنى على السكون كما ذكر القدماء لوقوعها موقع همزة الاستفهام إلا أنه التقى في آخره ساكنان فحركات النون لاجتماعهما وفتحت طلباً للخفة واستثقالاً للكسرة بعد الياء فاثروا تخفيفها لكثرة دورها وسعة استعمالها وفيها معنى المجازاة لإبهامها ووقوعها على كل اسم يقع بعد حرف الجزاء .

١٢ - مضارعة حروف النفي لحروف الاستفهام وحروف الأمر والنهي :

ذهب سيبويه^(٥١) إلى أن حروف النفي تضارع حروف الاستفهام حيث قُدّم الاسم قبل الفعل ويعلل لذلك بقوله : لأنهنَّ واجبات كما أن الألف وحروف الجزاء غير واجبة وكما أن الأمر والنهي غير واجبين .

وسهل تقديم الأسماء فيها لأنها نفى واجب وليست كحروف الاستفهام والجزاء وإنما هي مضارعة ، وإنما تحيى لخلاف قوله : قد كان .

ويستشهد سيبويه على ذلك بأمثلة منها : ما زيدا ضربته ولا زيدا قتلته وما ثمرأ لقيت أباء ولا ثمرأ مررى به ولا بشراً اشتريت له ثوباً . وكذلك إذا قلت : ما زيدا أنا ضاربة إذا لم يكن اسماً معروفاً .

خامساً: نتائج البحث :

استطاعت الباحثة أن تصل إلى النتائج الآتية :

- ١ - أن مصطلح المضارعة الذى أطلقه سيويه فى أكثر من موضع من كتابه هو ما يعرف فى حالات كثيرة فى علم اللغة الحديث الحديث باسم الماثلة.
- ٢ - استخدم سيويه أكثر من مصطلح للتعبير عن معنى الماثلة مثل المضارعة والمشابهة والمناظرة والتقريب ، وأكثر هذه المصطلحات وروداً فى كتابه هو مصطلح المشابهة حيث استخدمه كثيراً حتى وصل عدد مرات وروده فى جزء واحد إلى مائة وست وأربعين مرة تقريباً .
- أما مصطلح التقريب فكان وروده نادراً فى صفحات كتابه وكذلك مصطلح المناظرة الذى ورد بلفظ نظير ونظائر ونماظر مثل قوله «أجرى مجرى نظائره» أو «هذا نظير ذلك» .
- ٣ - أن استخدام سيويه لمصطلح المضارعة لا يختلف على الإطلاق عن استخدامه لمصطلح المشابهة ، فالمضارعة والمشابهة أن يشبه الشيء بالشيء وإن كان ليس مثله فى جميع الأشياء ، فقد يكون الشيء مشبهاً للشيء الآخر تماماً وقد يشبهه فى نواحٍ ويخالفه فى أخرى ، وفى كلتا الحالتين يطلق سيويه على الماثلة المضارعة أو المشابهة .
- ٤ - أن سيويه لم يتحدث عن المضارعة كظاهرة لغوية وإنما ورد هذا المصطلح فى الأمثلة المتناثرة فى بعض أبواب كتابه .
- ٥ - أن مصطلح الماثلة له أصل تراثى، ورد الفعل مثل قوله ^(٢١) : «كما قول قلت : هذا رجل أقفل لم ينصرف لأنك مثله بما لا ينصرف وهى الصفة فافعل صفة كفعلاء» .

٦ - أن سيبويه قد تحدث عن المضارعة فى الحركات عند حديثه عن عدم جواز ضم حرف المضارعة فيما ماضيه فَعَلْ مضموم العين للتنبيه على ضمة عين الماضى لاستشغال الضمتين فى تُظَرَّفُ كما تحدث سيبويه عن المماثلة الصوتية فى الصوامت عند حديثه عن مضارعة الصاد بالزاي والمضارعة بقلب السين صاداً ومضارعة الشين والجيم بالزاي .

٧ - أن سيبويه قد توصل بفطنته وذكائه إلى معرفة صفات الحروف ولكنه لم يكن يعرف الحرف المركب ، وظهر ذلك عند حديثه عن الشين التى تشبه الجيم والجيم التى تشبه الشين ، وهما فى حقيقة الأمر صورة صوتية واحدة .

٨ - ذهب سيبويه إلى أن بعض الأسماء المبنية تضارع سوف وقد من حيث لزومها حركة واحدة لا تتأثر بالعوامل الداخلة عليها ومن حيث افتقارها إلى ما بعدها كى يتضح المعنى .

٩ - أن الأسماء غير المتمكنة (المبنية) تضارع الحروف من حيث كونها مبنية .

١٠ - أن الممنوع من الصرف يضارع الفعل من حيث عدم التمكن فى الاسمية .

١١ - أن بناء «فَعْلَان» يضارع بناء «فَعْلَاء» لأنه على مثاله فى عدد الحروف والتحريك والسكون ، كما أن مؤنث فعلان له بناء على حدة وكذلك مذكر فعلاء له بناء على حدة ولذلك أجرى فَعْلَاء مجرى فَعْلَان .

١٢ - أن ما كان مثال مفاعل ومفاعيل وله مثال فى الواحد يصرف ، أما ما كان على مثال هذين البناءين وليس له نظير فى الواحد ترك صرفه .

١٣ - أن صيغة فواعل صفة الدالة على المذكر غير العاقل تضارع صيغة فواعل صفة الدالة على المؤنث مثل جمال بوارل ، وضاربه وضوارب ١٤ - أن

لفظ «عدو» على الرغم من كونه وصفاً إلا أنه يضارع الاسم ولذلك جمع على أعداء .

١٥- أن الفعل المضارع يضارع اسم الفاعل حيث إن كلاهما يقبل دخول لام التوكيد عليه مثل : إن عبد الله ليفعل وإن عبد الله لفاعلٌ .

١٦- أن السين وسوف تدخلان على الفعل المضارع للدلالة على المستقبل ، وكذلك التنوين حين يدخل على اسم الفاعل قد يجعله دالاً على المستقبل فى مثل قولنا : هذا قاتلٌ محمداً وهذا قاتلٌ محمدٍ .

١٧- أن الأسماء المبنية تضارع الفعلين الماضى والأمر لأن كلاهما مبنى كما أن الفعل الماضى يضارع الأسماء فى الصيغة مثل : مررت برجلٍ ضَرَبَ ، ومررت برجلٍ ضاربٍ

١٨- أن الأسماء التى على وزن أفعال تضارع الفعل المضارع مثل أبيض وأسود وأذهب وأعلم من حيث كونها صفة ، لأن الفعل يوصف به أيضاً مثل : مررت برجلٍ أحمر ، ومررت برجلٍ يأكل ، كما أنَّ الفعل لا يكون إلا بفاعل والنعت لا يحسن إلا بمنعوت .

١٩ - أن المصادر تضارع الفعل فى العمل لأن المصدر يعمل عمل الفعل المشتق منه .

٢٠- أن اسم الفاعل والصفة المشبهة يضارعان أفعال منه ومثلك وأخواتها وحسبك من رجل وغيرها (أى الأسماء التى لا تكون صفة) .

٢١- أن المنصوب على الاختصاص يضارع النداء لأن كلاهما منصوب بفعل محذوف .

٢٢- أن النكرة فى مثل قولنا «أفعل من كذا» تضارع المعرفة من حيث إنها غير مضافة ويمتنع دخول الألف واللام عليها فجبرت مجرى العلم مثل ريد وعمر و لذلك رأى سيوييه أن الضمير (هو) مثلاً لا يحسن أن يكون فضلاً حتى يكون ما بعده معرفة أو ما أشبه المعرفة .

٢٣- أن بعض حروف الجزاء تضارع اسم الفاعل حيث إنها لا تلزم جزم الفعل الواقع بعدها ، كما أن اسم الفاعل يمكن أن يعجز ما بعده أو أن ينصبه .

٢٤- أن نعم وبئس تضارعان الفعل لأننا نضمّر فيهما ، كما يمكن أن يبرز الضمير ويتصل بالفعل (نعم) على حد اتصاله بالأفعال فى مثل نعماً رجلين ونعموا رجالاً كما تقول ضرباً وضربوا ، كما أن تاء التانيث تلحق بهما كما تلحق بالأفعال ، وهما مبنيتان على الفتح كالأفعال الماضية .

٢٥- أن حيثل تضارع أين لأنها مضافة إلى غير متمكن .

٢٦- أن حروف النفى تضارع حروف الاستفهام وحروف الأمر والنهى حيث يقدم الاسم قبل الفعل كما فى «ما ريدا ضربته ولا ريدا قتلته» .

الهوامش

- ١ - الأسس اللغوية ص ١٤ .
- ٢ - لسان العرب ٢٩ / ٢٥٨٠ .
- ٣ - الكتاب ٣ / ٣٠٢ .
- ٤ - الكتاب ٤ / ٤٧٨ .
- ٥ - الكتاب ٤ / ٤٧٧ .
- ٦ - الأصوات اللغوية ص (١٤٨) حيث يتحدث د. إبراهيم أنيس عن السين الزائفة والزاي السينية والزاي الطائية ويرى أن الزاي الطائية هو نطق الفرس للظاء العربية وهي نفس الظاء العامية التي تجرى على الستتنا الآن أى لا تخرج معها طرف اللسان فإذا جهر بالصاد أصبحت تلك الظاء العامية فلا فرق بين الصاد وهذه الظاء إلا فى صفة الجهر والهمس .
- ٧ - أصوات العربية ص (١٣٧) .
- ٨ - أصوات العربية ص (٥٣) .
- ٩ - الكتاب ٤ / ٤٧٨ .
- ١٠ - أصوات العربية ص ١١٢ وانظر ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ يفرق بين الجيم قديماً وحديثاً .
- ١١ - الأصوات اللغوية ص ٨٣ .
- ١٢ - الكتاب ١ / ١٥ .
- ١٣ - الكتاب ١ / ٢٣ .
- ١٤ - شرح الشافية ١ / ١٤١ .

- ١٥- الكتاب ١١٢/٤ .
- ١٦- الكتاب ٢١٥/٣ .
- ١٧- الكتاب ٢٢٩/٣ .
- ١٨- التطبيق الصرفى ص ١٢٧ .
- ١٩- ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٦٣ .
- ٢٠- الكتاب ٦٣٣/٣ .
- ٢١- الكتاب ٦٠٨/٣ .
- ٢٢- الكتاب ١٤/١ .
- ٢٣- شرح السيرافى ٧٣/١ .
- ٢٤- الجمل فى النحو ص ٨٤ .
- ٢٥- من أسرار اللغة ص ٣١٤ .
- ٢٦- الإيضاح فى علل النحو ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .
- ٢٧- من أسرار العربية ص ٣١٥ .
- ٢٨- الكتاب ١٥/١ .
- ٢٩- الكتاب ٢١/١ .
- ٣٠- شرح السيرافى ٣٩/٢ .
- ٣١- الكتاب ١٩٧/٣ .
- ٣٢- الكتاب ٣٣٦/٤ .
- ٣٣- التراكيب غير الصحيحة فى كتاب سيويه ص ٢٤٩ .

٣٤- الكتاب ٢/٢٤ .

٣٥- الجمل فى النحو ص ٩٤ . يقول المؤلف : وإنما جار أن تنعت رجلاً وهو نكرة فى قولنا (مررت برجلٍ حسن الوجه) بقولك «حسن الوجه» فإنه نكرة مثله وإن كان بلفظ المعرفة لأن إضافته ليست محضة وتقديره الانفصال ، لأن الاصل هو قولك : مررت برجلٍ حسنٍ ، وهذا موضوع مكانه .

٣٦- المرجع السابق ص ٩٠ .

٣٧- الكتاب ٢/٢٦ .

٣٨- الكتاب ٢/٦٢ .

٣٩- شرح المفصل ١٧/٢ .

٤٠- المرجع السابق ١٨/٢ .

٤١- الكتاب ٢/٣٩٢ .

٤٢- أطلق سيبويه على التأكيد الوصفى لأن التأكيد هو المؤكد فى المعنى كما يسميه المحض ولذلك لا يجوز كان زيد أنت خيراً منه لأن الفصل ههنا ليس الأول فلا يكون فيه تأكيد له .

٤٣- شرح المفصل ١١١/٣ .

٤٤- الكتاب ٣/٧٤ .

٤٥- الكتاب ٢/١١٢ .

٤٦- شرح المفصل ٩/٩ .

٤٧- المفصل ٧/١٢٧ .

- ٤٨- الكتاب ٢٦٦/٣ .
- ٤٩- الكتاب ٢٩٩/٣ .
- ٥٠- شرح المفصل ١٠٤/٤ .
- ٥١- الكتاب ١٤٥/١ .
- ٥٢- الكتاب ٢٠٦/٣ .

المصادر والمراجع

١ - المصادر

سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان .

كتاب سيبويه - تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م

ب - المراجع :

* الاسترأبادي - رضى الدين محمد بن الحسن :

شرح الشافية لابن الحاجب ، دار الكتب بيروت لبنان ، سنة ١٩٧٥ م

* ابن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد :

من أسرار العربية - تحقيق محمد البيطار - دمشق ١٩٥٧ م .

* أنيس : د. إبراهيم أنيس :

الاصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو - ط ٣ ، القاهرة ، سنة ١٩٩٥ م .

من أسرار اللغة - الطبعة السابعة ١٩٩٤ م - مكتبة الأنجلو المصرية .

* حجازي : د. محمود فهمى حجازي :

الأسس اللغوية لعلم المصطلح - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع -

القاهرة ، د. ت .

* الراجحي : د. عبده الراجحي :

التطبيق الصرفي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ، سنة

١٩٧٣ .

* الزجاج : أبو اسحق الزجاج

ما ينصرف وما ينصرف - تحقيق د. هدى محمود قراة ، مكتبة الخانجي ،

١٩٩٤ م .

- * الزجاجي - أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق .
الإيضاح في علل النحو - تحقيق د. مازن المبارك - دار النفائس ، ط ٥ ،
بيروت ، ١٩٨٦ م .
- الجميل في النحو - تحقيق على توفيق الحمد ، اليرموك الأردن ، دار
الأمّل - ط ٣ ، الأردن ، سنة ١٩٨٦ م .
- * السيرافي : أبو سعيد :
شرح كتاب سيبويه الجزء الأول تحقيق د. رمضان عبد التواب - ودكتور
محمود فهمي حجارى ود. محمد هاشم عبد الدايم - الجزء الأول ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .
شرح كتاب سيبويه تحقيق د. رمضان عبد التواب ، الجزء الثانى ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م .
- * الفرنوانى : رفعت :
أصوات العربية فى ضوء المنهج المقارن - الطبعة الثانية ١٩٩٣ .
- * ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل :
لسان العرب - دار المعارف تحقيق عبد الله على الكبير - محمد أحمد
حسب الله - هاشم محمد الشاذلى - دار المعارف - القاهرة ، د.ت .
- * ياقوت : محمود سليمان ياقوت :
التراكيب غير الصحيحة نحويّاً فى «الكتاب لسيبويه» - دار المعرفة -
الاسكندرية ، سنة ١٩٨٥ م .
- * ابن يعيش : موفق الدين يعيش بن على :
شرح المفصل - عالم الكتب بيروت - مكتبة المتنبي ، القاهرة .

الشاهد القرآني عند ابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ

بقلم الدكتور
مجدى إبراهيم يوسف

أولاً: المقدمة :

موضوع هذه الدراسة : الشاهد القرآني عند ابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ ، وتعتمد هذه الدراسة على كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان) ، بتحقيق الباحث الأسباني خوسيه بيريث لاثارو .

وابن هشام اللخمي^(١) هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام ابن إبراهيم بن خلف اللخمي ، نحوي لغوي ، ولد في إشبيلية ، وأقام في سبته ، وتوفي سنة ٥٧٧ هـ ، وكانت له مناظرات مع أبي بكر محمد بن طاهر

تاريخ استلام البحث ١٩٩٧/٤/٥ م، وتاريخ قبوله ١٩٩٧/٧/٧ م.

(١) انظر في ترجمته: إشارة التبيين في تراجم النحاة واللغويين للإماني ٢٩٨، التكملة لكتاب الصلة ٦٧٥/٢، الدليل والتكملة ٧٠/٦، الوافي بالوفيات ١٣١/٢، البلغة في أمة اللغة ٢٠٩، بغية الوعاة ٤٨/١، كشف الظنون ١٨١٧/٢، هدية المعارفين ٩٧/٢، الأعلام للزركلي ٣١٨/٥. وانظر أيضاً ما كتبه المحدثون في بحولهم.

د. عبد الميز الأهوائي - ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الثالث سنة ١٩٥٧ ص ١٢٧ : ١٥٧، ومن ص ٢٨٥ : ٣٢١.

د. عبد الكريم عوفى - ابن هشام اللخمي وأقاربه مع العناية بكتابه شرح الفصيح - مجلة اللسان العربي - العدد ٣٨ سنة ١٩٩٤ ص ١٠٢ : ١١٢.

الإشبيلى ت ٥٨٠ هـ . أخذ العلم عن أبى بكر بن العربى ت ٥٤٣ هـ ، وأبى طاهر السلفى ت ٥٧٦ هـ ، وابن مضاء اللخمي القرطبي ت ٥٩٢ هـ .

لقد كان العلماء يحتجون فى مؤلفاتهم فى لحن الغامة بآيات من القرآن الكريم لتصحيح اللحن أو الخطأ فى الكلام ، ومن ثم فقد اتخذوا من آيات القرآن إلكريم معياراً لتحديد الخطأ والصواب فى الكلام ، فما وافق القرآن يعد فصيحاً ، وما خالفه يدخل فى دائرة اللحن والخطأ فى الكلام . وابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ واحد من علماء التأليف فى لحن العامة ، فكتابه يصور لغة أهل الأندلس وما طرأ عليها من تغيرات فى القرن السادس الهجرى .

لقد كان ابن هشام يحتج فى كتابه بالشعر والقرآن وأقوال العرب والأحاديث النبوية ، ولكن هذه الدراسة تقتصر على دراسة الشاهد القرآنى ، وذلك لبيان أهميته ودراسة الظواهر اللغوية ، ومن هنا كانت أهمية هذه الدراسة .

وتهدف هذه الدراسة إلى :

- ١ - التعرف على خصائص اللهجات العربية فى الأندلس فى القرن السادس الهجرى ؛ فقد كان ابن هشام اللخمي يعرض فى كتابه اللهجات المستخدمة فى عصره ، ثم يذكر اللغة الفصيحة فيها اعتماداً على الشاهد القرآنى .
- ٢ - دراسة القضايا اللغوية فى الشاهد القرآنى فى ضوء مجالات البحث اللغوى الحديث .
- ٣ - محاولة تفسير الظواهر اللغوية فى ضوء البحث اللغوى الحديث .
- ٤ - دراسة القراءات القرآنية التى تناولها ابن هشام اللخمي ، فقد اتخذ من قراءة بعض القراء معياراً للفصاحة .
- ٥ - الكشف عن أهمية الشاهد القرآنى بوصفه معياراً للفصاحة فى كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ .

تعتمد مادة هذه الدراسة على الشواهد القرآنية التي احتج بها ابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ في كتابه ، لتصحيح ظاهرة من الظواهر اللغوية ، وقد بلغ عدد هذه الآيات : سبعا وخمسين آية وجزء من آية .

ولكتاب ابن هشام أهمية كبرى في تاريخ التأليف في لحن العامة ، فقد ألفه ليرد به على كل من الزبيدي ت ٣٧٩ هـ في كتابه لحن العامة ، وابن مكى الصقلی ت ٥٠١ هـ ، في كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، ثم أورد بعد ذلك مباحث تمثل ما آلت إليه العربية في الأندلس في القرن السادس الهجري ، والكتاب قام بنشره وتحقيقه خوسيه بيريث لاثارو بمدير في أسبانيا سنة ١٩٩٢ م . ويمكن أن ننظر إلى هذا الكتاب على أنه مكون من ثلاثة أقسام .

القسم الأول : جعله ابن هشام اللخمي في الرد على كل من : الزبيدي ت ٣٧٩ هـ ، وابن مكى الصقلی ت ٥٠١ هـ ، وقد صرح المؤلف نفسه بذلك ، يقول (وَأَلَّفَ الزُّبَيْدِيُّ - رحمه الله - في لحن عامة زمانه وما تكلمت به في أوانه فتعسف عليهم في بعض الألفاظ وأنحى عليهم بالإغلاط وخطأهم فيما استعمل فيه وجهان وللعرب فيه لفتان . فأوردتُ في هذا الكتاب جميع ذلك وما تعسف عليهم هنالك ، وبيّنت ما وقع في كلامه من السهو والغلط والتعنيث والشطط . وأردفته بذكر أوهام ابن مكى في كتابه المسمى بتثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، وابتدأت بالرد عليهما فيما أنكراه .^(١) .

القسم الثاني : أفرده ابن هشام ليذكر فيه أخطاء عامة زمانه في الأندلس ، يقول (. . . وأضفتُ إلى ذلك كثيراً مما لم يذكره - يقصد الزبيدي ، وابن مكى - مما غيّر في زماننا وَلَحَنَتْ فيه عوامنا)^(٢) ، ويضم هذا القسم ثلاثة أبواب^(٣) .

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ص ١٢ تحقيق خوسيه بيريث لاثارو - مدريد ١٩٩٠ م .

(٢) نفسه . (٣) يقع هذا القسم في الصفحات من ٩٩ : ٣٧٧ من المطبع .

١ - باب ما جاء عن العرب فيه لغتان فأكثر ، استعملت العامة منها أضعفها ، وربما استعملت أقواها ، وربما عدلت عن الصواب في ذلك ونطقت باللحن .

ب - باب ما تلحن فيه العامة مما لا يحتمل التأويل ، ولا عليه من لسان العرب دليل .

ج - باب ما جاء لشيثين أو لأشياء ، فقصروه على واحد .

وأما القسم الثالث من الكتاب فقد ذكر فيه ابن هشام اللخمي ما تمثلت به العامة في أقوالهم ، ثم رده إلى ما أخذ منه من أقوال الشعراء ، وقد جاء هذا القسم تحت عنوان «مما تمثلت به العامة» ، مما وقع في أشعار المتقدمين والمحدثين ، تَلَقَّنوها من الفصحاء ، وهم لا يعرفون الأشعار التي أخذت منها ، وربما حرّفوها بعض الفاظها»^(١) .

ومن أمثلة ذلك :

١ - قولهم : «الْحَرْحَرُ وَإِنْ مَسَّ الضُّرُّ» ، وإنما وقع : «وإنَّ أَلَمَ بِهِ الضُّرُّ» ، قال الشاعر :

وَالْحَرُّ حَرٌّ وَإِنْ أَلَمَ بِهِ الضُّرُّ رَفَفَ فِيهِ الْعَقَافُ وَالْأَنْفُ

ب - وقولهم^(٢) : «أضعف من حُجَّةٍ نَحْوِي» ، وهو عجز بيت لأبي الحسين أحمد بن فارس صاحب مُجْمَل اللغة ، وقبله :

مَرَّتْ بِـ____ هَيَّاءُ مَقْدُورَةٍ تَرْكِيَّةٌ تُعْزَى لِشُرْكِيٍّ
تَرْنُو بِطَرْفٍ فَاتِرٍ فَأَيْرٍ أَضْعَفَ مِنْ حُجَّةٍ نَحْوِيٍّ

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٨١ .

(٢) نفسه : ٢٨٧ .

ج - وقولهم^(١) : « لا ناقة لي في هذا ولا جمل » ، هو عجز بيت للرأعي ،
وصدره :

وماصرمتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي فسي هذا ولا جمل
د - وقولهم^(٢) : « لكل جديد لذة » مأخوذ من بيت ضابيء البرجمي :

لكل جديد لذة غير أنسى وجدتُ جديد الموت غير الجديد
هـ - وقولهم^(٣) : « ما الحب إلا للحبيب الأول » ، وهو عجز بيت لأبي تمام ،
وصدره :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

وبهذا القسم الثالث يكتمل كتاب ابن هشام اللخمي ، الذي جعله كما قال
(...) مدخلاً إلى تقويم اللسان وتعليم الفصاحة ، التي هي جمال
الإنسان^(٤) .

ويرجع السبب في اختيار هذا الكتاب إلى عدة أمور ، وهي :

أولاً : أن هذا الكتاب يصور حال العربية في الأندلس في القرن السادس الهجري
وما آلت عليه على السنة الخاصة ، وذلك أن اللحن كان قد تجاوز العامة إلى
الخاصة من الكتاب والأدباء . وقد صرح ابن هشام بأن الخاصة هم الكتاب
والأدباء ، في عدة مواضع منها :

أ - يقول في مقدمة كتابه (...) ولقد شهدت بعض من ينتمى بزعمه إلى
الأدب وينسل إليه من كل حدب ، وقد استعمل في كلامه الخريز ، فسأله
بعض الحاضرين عنه ، فقال : هو البطيخ بفتح الباء ، وهذا من أقبح

(١) المدخل : ٣٨٨ . (٢) نفسه : ٣٩١ .

(٣) نفسه : ٤٠٨ . (٤) نفسه : ١٢ .

القبیح ، أن يستعمل اللغة الغريبة ، وقد قَصَرَ عن تصحيح المستعملة القريبة^(١) .

ب - ويقول فى موضوع آخر (فأما قول بعض الخاصة من الكتاب الأدباء «سِما» بغير «لا» فذكر الزيدى أنه لا يجوز حذف «لا» البتة)^(٢) .

ج - ويقول ابن هشام فى موضع ثالث (وقول الخاصة فى المثل : يا حَامِلُ أَذْكَرُ حَلًا ، قال ابن جنى هذا تصحيف ، وإنما الصواب : يا حَاحِلُ بالياء ، أى يا مَنْ يَشُدُّ الحَبْلَ)^(٣) .

ويفهم من هذه النصوص أن اللحن كان قد تجاوز عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، حتى أصاب الخاصة من الكتاب والأدباء .

ثانياً: أن هذا الكتاب رد فيه ابن هشام اللخمى على كل من الزبيدى ، وابن مكى الصقلى ، وهذا معناه أن بعض الظواهر اللغوية كانت موجودة حتى عصر ابن هشام ، ومن ثم فقد أيد بعضها وخالف الآخر .

ثالثاً: أن ابن هشام كان يتخذ من الشاهد القرآنى والقراءات القرآنية معياراً لتحديد الخطأ والصواب فى الكلام .

أما الدراسات السابقة الدراسة فإنها لم تتناول الشاهد القرآنى فى كتب لحر العامة بصفة عامة أو كتاب ابن هشام اللخمى ت ٥٧٧ هـ ، «المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان» بصفة خاصة ، ومن هنا كانت أهمية هذه الدراسة ، فهى أول دراسة فى هذا المجال ، وأما دراسة الدكتور عبد العزيز مطر فقد تناولت ثلاثة كتب بالتحقيق والدراسة ، ولم يكن كتاب ابن هشام واحداً منها ، فضلاً عن أنه لم يتعرض لدراسة الشاهد القرآنى فى تلك الكتب ، وأما الكتب التى تناولها الدكتور مطر بالدراسة فهى :

(٣) نفسه ٤٠٣ .

(٢) نفسه : ١٥٥ .

(١) المدخل : ١٢ .

أ - كتاب لحن العامة للزبيدي ت ٣٧٩ هـ .

ب - كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلى ت ٥٠١ هـ .

ج - كتاب تقويم اللسان لابن الجوزى ت ٥٩٧ هـ .

وأما كتاب «المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان» لابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ ، فقد قام بتحقيقه خوسيه بيريث لاثارو ، ويقع فى جزئين ، الأول تناول تحقيق الكتاب وقد كُتب المتن بالعربية ، أما هوامش الكتاب فكتبت بالأسبانية . والجزء الثانى فيه دراسة عن الكتاب كتبت بالأسبانية ، وقد نُشر الكتاب بمديرىد بأسبانيا سنة ١٩٩٢ م .

وأما دراسة الدكتور عبد العزيز الأهوانى فإنها لم تتعرض للشاهد القرآنى فى كتاب ابن هشام اللخمي ، ولكنها اقتصرت فقط على دراسة الألفاظ المغربية فيه ، وقد جاءت بعنوان (الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي فى لحن العامة) ، وهو بحث منشور فى مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ١٩٥٧ م ، من ص ١٢٧ : ١٥٧ ، ومن ص ٢٨٥ : ٣٢١ .

وثمة دراسة أعدها الدكتور عبد الكريم عوفى ، عن شرح ابن هشام اللخمي لكتاب الفصيح لثعلب ، وقد جاءت هذه الدراسة بعنوان (ابن هشام اللخمي وآثاره مع العناية بكتابه شرح الفصيح) ، ونشرت فى مجلة اللسان العربى العدد ٣٨ سنة ١٩٩٤ م من ص ١٠٢ : ١١٢ .

ومن هنا فإن دراسة لما تعد عن الشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمي من خلال كتابه المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، ومن ثم فإن هذه الدراسة تعد دراسة غير مسبقة فى هذا المجال .

وأما مصادر هذه الدراسة فأهمها : كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ، وهناك كتب أخرى سيرد ذكرها فى قائمة المصادر .

والمراجع ، ويكفى أن نشير إلى أهمها ، مثل : كتاب سيويه ، والمقتضب للمبرد ، والأصول لابن السراج ، والخصائص لابن جنى ، وما تلحن فيه العامة للكسائي ، ولحن العامة للزبيدي ، وثقيف اللسان لابن مكى الصقلى . وثمة كتب تتصل بإعراب القرآن ، منها : معانى القرآن للفراء ، وإعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ، والحجة فى علل القراءات لأبى على الفارسى ، والمحاسب لابن جنى ، وإعراب غريب القرآن لابن الأنبارى ، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ، وغير ذلك كثير مما سيرد ذكره فى قائمة المصادر والمراجع .

ثانياً: القضايا اللغوية فى الشاهد القرآنى :

يمكن تصنيف القضايا اللغوية التى تناولها ابن هشام اللخمي واستشهد عليها بشواهد قرآنية فى كتابه المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، حسب مجالات الدرس اللغوى التالية :

١ - الأصوات والرسم الإملائى .

٢ - بناء الكلمة (التصريف) .

٣ - التركيب (النحو) .

٤ - الدلالة .

وفيما يلى توضيح ذلك :

١ - الأصوات والرسم الإملائى :

استشهد ابن هشام اللخمي فى كتاب المدخل بشواهد قرآنية تناولت قضايا تتصل بالأصوات من ناحية ، وبالرسم الإملائى من ناحية أخرى :

أما القضايا التى تتصل بالأصوات فقد تمثلت فى التخفيف ، والإدغام ، والإبدال ، والحذف ، والإشباع ، وفيما يلى بيان ذلك :

١ - التخفيف

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى تخفيف الهمزة كما يلى :

ذكر ابن هشام^(١) أن العامة تقول فى المائدة : مَيْدَةٌ ، ووصفها بأنها أضعف من المائدة ، واستشهد على فصاحة المائدة بقوله تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(٢) ، يقول (والمائدةُ وفيها لغتان : مَائِدَةٌ وهى أفصح ، وهى لغة القرآن ، . . . والجمع موائد ، ويقال لها أيضاً : مَيْدَةٌ كما تنطق بها العامة ، وهى أضعف)^(٣) .

وفهم من هذا النص أن عامة أهل الأندلس كانوا يميلون إلى تخفيف الهمزة بإبدالها حرف لين ، فكلمة (مائدة) صارت (مَيْدَة) ، ولعل السبب فى هذا ميل اللغة إلى السهولة والتيسير ، فالهمزة من أشد الحروف (. . . لأنه بُعدٌ مخرجها ولأنها نبرة فى الصدر تخرج باجتهاد ، فهى أبعد الحروف مخرجاً فتقل عليهم ذلك ؛ لأنها كالتهوى)^(٤) .

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس^(٥) أن الهمزة المحققة مخرجها من الزمار نفسه ، فعند النطق بها تنطبق فتحة الزمار ، انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحق ، ثم تنفجر فتحة الزمار فجأة فيسمع صوت انفجارى هو ما نعر عنه بالهمزة . فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ؛ لأن فتحة الزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفجر فتحة الزمار ذلك الانفراج الفجائى الذى ينتج الهمزة .

(١) انظر المدخل : ١٠٢ . (٢) سورة المائدة : الآية رقم ١١٤ .

(٣) (٤) الكتاب : ٥٤٨/٣ .

(٢) المدخل : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٥) انظر الاصوات اللغوية : ٧٢ .

ومعنى هذا أن كون الهمزة صوتاً شديداً من ناحية ، فضلاً عن أنه يحتاج إلى جهد عضلى قد يزيد على أى صوت آخر من ناحية أخرى ، كل هذا جعل عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى يميلون إلى التخلص من الهمز ميلاً للسهولة والتيسير ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس (ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً عاماً ثم انفراج المزمار فجأة ، عملية تحتاج إلى جهد عضلى قد يزيد على ما يحتاج إليه أى صوت آخر ، مما يجعلنا نعد الهمزة أشد الأصوات ، ومما جعل للهمزة أحكاماً مختلفة ...) (١).

يتضح من هذا أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانوا يميلون إلى التخلص من الهمزة بإبدالها حرف لين ، كما فى قولهم : مِدة بدلاً من مائدة .

ب - الإدغام

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى إدغام التاء فى الدال ، كما يلى :

استشهد ابن هشام اللخمي بقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ لَا يَهْدِي ﴾ (٢) على إدغام التاء فى الدال من يهتدى التى صارت يَهْدَى ، يقول (ويقولون للسائل رجل مُكْدَى بتشديد الدال ، والصواب مُكْد بِإسكان الكاف وتخفيف الدال من قولهم حَفَرٌ فَأَكْدَى ، أى بلغ الكِدْيَةَ فلم يَنْبِطْ ماءٌ . وقال بعضهم : إنما أصله مُجْدٌ من الاجتداء ، وهو طلب المعروف فصحفته العامة ، فأبدلت من الجيم كافاً . وكان الأصل فى المُجْدَى المُجْتَدَى ، فأدغمَت التاء فى الدال ثم ألقيت حركة الحرف المدغم على ما قبله ، كما فعل ذلك من قرأ «أَمَّنْ لَا يَهْدَى» ، والأصل فيه يهتدى) (٣) .

(١) الأصوات اللغوية ٧٢ ، وانظر أيضاً فى اللهجات العربية ٧٧ .

(٢) سورة يونس : الآية رقم ٣٥ . (٣) المدخل : ١٨٠ .

لقد استشهد ابن هشام بهذه الآية في معرض كلامه عن قول عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجري (مُكْدِي) بتشديد الدال ، للسائل بدلاً من (مُكْد) بإسكان الكاف وتخفيف الدال ، فإن كان أصل الكلمة كذلك ، فهذا معناه أن العامة حركت الساكن وهو الكاف ، وشدت ماحقه التخفيف وهو الدال .

ثم ذكر أنه قد ذهب فريق إلى أن أصل مُكْد > مُجْد من الاجتداء فصحفته العامة فابدلت من الجيم كافاً ، وكان الأصل في المجْدِي > المُجْتَدِي ، فأدغمت التاء في الدال ثم ألقيت حركة الحرف المدغم على ما قبله ، وهنا ذكر الآية موضع الشاهد .

وبإبدال الجيم كافاً أمراً وارد ، فقد ذكر ابن السكيت كلمات كثيرة تعرضت لمثل هذا الإبدال^(١) .

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن صوت الجيم لا يفترق من الكاف في شيء سوى أن الجيم مجهورة والكاف مهموسة^(٢) ، فالكاف صوت شديد مهموس نظيره المجهور هو الجيم القاهرية .

وأما إدغام التاء في الدال من كلمة (المُجْدِي) ، وأصلها (المُجْتَدِي) مثل (يَهْدِي) ، وأصلها (يَهْدِي) كما في الآية موضع الشاهد ، فإن التاء والدال كليهما صوت أسناني لثوي ، مخرجهما واحد ، عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، والفرق بينهما أن الدال صوت مجهور نظيره المهموس هو التاء^(٣) ، ومن ثم فإدغام التاء في الدال وارد ، وقد ذكر ابن السكيت^(٤) أمثلة كثيرة لإبدال الدال والتاء .

(١) انظر الإبدال ، باب الكاف والجيم : ١١٨ . (٢) انظر الأصوات اللغوية : ٦٧ .

(٣) انظر الأصوات اللغوية : ٥١ . (٤) انظر الإبدال : ١٠٢ ، ١٠٣ .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس قلبوا الجيم إلى كاف فقالوا : مُكْدُ فى مُجْدٌ ، ثم قالوا : المُجْدَى ، وأصلها المُجْدَى فادغموا التاء فى الدال تماماً مثل إدغام التاء فى الدال فى كلمة (يَهْدَى) ، وأصلها يَهْدَى .

ج - الإبدال

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى إبدال صوت مكان صوت آخر ، وذلك كما يلى :

إبدال الهمزة واو^(١)

نقل ابن هشام اللخمي عن ابن مكى الصقلى - فى معرض رده عليه - ما ذكره من أن السناس (يقولن : واسيتك يمالى وواكلت فلاناً وواريتهُ وواجرت دابتي وواخذتُ بذنبه وواتيتهُ على ما يريد . والصواب آسيتك بمالى واكلتُ فلاناً واريتهُ إذا جلست بإزائه واجرت دابتي واخذتُ بذنبه وآتيتك على ما تريد)^(٢) .

وقد ذهب ابن هشام إلى أن ما ذكره ابن مكى هو القياس^(٣) ، وإن كان يرى أنه غير ممتنع أن يأتى بالواو ، فقد حكى عن الأخفش : آخذته وواخذته^(٤) واستشهد على ذلك بقراءة ورش^(٥) ﴿ لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ ﴾^(٦) .

ويفهم من هذا النص أن عامة أهل الأندلس كانت تقلب الهمزة واواً ، وقد ذهب ابن السيد البطليوسى إلى أن «آخذته بذنبه» أفصح اللغات ، وهو

(١) المدخل ٨٥ ، وانظر تنقيف اللسان : ٧٤ ، ٧٥ .

(٤) نفسه .

(٣) نفسه .

(٢) انظر المدخل : ٨٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية رقم ٢٢٥ ، سورة المائدة : الآية رقم ٨٩ ، وفيهما إثبات الهمز فى المصحف .

القياس لأنه فاعل من أخذ يأخذ ، وذهب إلى أن «واخذه» - لغة غير مختارة ولا فصيحة^(١) .

ويبدو أن قلب الهمزة إلى واو راجع إلى السهولة والتيسير ، فالهمزة صوت حلقى مخرجه من أقصى الحلق ، أما الواو فهي صوت شفوي ، يخرج من بين الشفتين ، والهمزة تعد من أشد الأصوات ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس (فالهمزة . . . صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلافاً تاماً . . . ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفجر فتحة المزمار ، ذلك الإنفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة ، ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ، ثم إنفراج المزمار فجاءة عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أى صوت آخر، مما يجعلنا نعد الهمزة أشد الأصوات ، وبما جعل للهمزة أحكاماً مختلفة فسي كتب القراءات . . .)^(٢) .

وقد عرفت العربية كلمات كثيرة أبدلت فيها الهمزة إلى واو ، مثل^(٣) :
أَرَحْتُ الْكِتَابَ وَوَرَّخْتُهُ ، وَأَكْدْتُ الْعَهْدَ وَوَكَّدْتُهُ ، وَأَخِيَّتُهُ وَوَأَخِيَّتُهُ . ولا شك أن هذا كله مما يدخل في إطار السهولة والتيسير .

إبدال العين غنياً:

ذكر ابن هشام السلخمي أن الناس يقولون : بَحْرٌ غَمِيقٌ وَوَادٍ غَمِيقٌ بالغين معجمة ، والصواب : صَمِيقٌ بالعين غير معجمة^(٤) .

(١) انظر الانقباض شرح أدب الكتاب : ١٧١ / ٢ .

(٢) الأصوات اللغوية : ٧٢ .

(٣) انظر كتاب الإبدال لابن السكيت ، باب الهمزة والواو : ١٣٨ .

(٤) انظر المدخل : ١٨٨ ، وثقف اللسان : ٧٠ .

ثم ذكر أنه قُرئَ في الشاذ ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ غَمِيقٍ ﴾^(١) ، هكذا بالغين بدلاً من العين ، وقد رعم قوم أن كل ما كان منبسطاً على وجه الأرض قيل له غَمِيقٌ بعين غير معجمة ، وما كان هاوياً إلى أسفل قيل فيه غَمِيقٌ بالغين معجمة ، يقال : فَجٌّ غَمِيقٌ ، وبئر غَمِيقَةٌ ، ولكن العين غير معجمة أشهر وأعرف في كل شيء^(٢) .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس كانوا يبدلون العين غسيناً وقد أورد ابن السكيت أمثلة كثيرة لكلمات قلبت فيها العين إلى غين^(٣) .

إن السمة التي تجمع بين العين والغين تتمثل في أنهما من الأصوات الحلقية ، فالغين صوت رخو مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم ، أما العين فهي صوت مجهور ، مخرجه وسط الحلق ، وهي أقل رخاوة من الغين^(٤) .

إبدال القاف كافاً :

ذكر ابن هشام اللخمي^(٥) أن الناس يقولون للعَظْم المَشْرِيفِ على الصدر : تَرَكَه^(٦) ، ثم قال والصواب : تَرَقُّوةٌ ، والجمع التَّرَاقِي ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾^(٧) .

وهنا معناه أن عامة أهل الأندلس كانوا يقلبون القاف إلى كاف ، وقد أورد ابن السكيت أمثلة كثيرة لهذا القلب^(٨) .

(١) سورة الحج : الآية ٢٧ .

(٢) انظر المدخل ١٨٨ ، وتختيف اللسان : ٧٠ .

(٣) انظر الإبدال ، باب العين والغين : ١١١ وما بعدها .

(٤) انظر الأصوات اللغوية : ٧١ . (٥) انظر المدخل : ٢٥٥ .

(٦) انظر لحن العامة للزبيدي : ١٢٢ ، وتختيف اللسان لابن مكي : ٩٥ .

(٧) سورة القيامة : الآية رقم ٢٦ .

(٨) انظر الإبدال ، باب القاف والكاف : ١١٣ .

والقاف والكاف كلاهما من أصوات أقصى الحنك ، وكلاهما صوت شديد مهموس^(١) .

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس (. . .) على أننا نستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت أنه ربما كان يشبه تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان وبعض القبائل في جنوب العراق^(٢) .

وقد تطور صوت القاف بانتقال مخرجه إلى الامام باحثاً عن أقرب الأصوات شبيهاً به من الناحية الصوتية ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس (. . .) أما في الانتقال بمخرج القاف إلى الامام فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية والكاف ، فلا غرابة أن تتطور القاف إلى أحدهما . . . على أنه إذا تم تطور أمامي آخر في المستقبل للقاف . . . فسيكون حتماً بأن تقلبها كافاً^(٣) .

د - الحذف

وقد تمثلت هذه الظاهرة في حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وذلك كما يلي :

أورد ابن هشام^(٤) قراءة بعض القراء ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾^(٥) ، شاهداً على حذف التنوين من «أحد» لالتقاء الساكنين .

وكان ابن هشام قد ذكر هذه القراءة في معرض رده على ما حكاه ابن مكى الصقلی من أن الناس يقولون في التاريخ : وذلك في ربيع الأول ، بحذف

(١) انظر الأصوات اللغوية : ٦٧ ، (٢) نفسه : ٦٧ .

(٣) نفسه : ٦٩ . (٤) انظر المدخل : ٩٥ .

(٥) سورة الإخلاص : الآيتان : ١ و ٢ وقراءة المصحف بتنوين (أحد) .

التنوين من «ربيع» يجعلونه على الإضافة والصواب في ربيع الأول على النعت^(١).

ومذهب ابن هشام أن حذف التنوين هنا لالتقاء الساكنين ، وقد ذهب إلى أن حذفه ليس بخطأ لكونه مسموعاً فاشياً في كثير من الكلام والشعر ، حتى كأنه لكثرتة يكون أصلاً مطرداً يقاس عليه^(٢) ، وذهب إلى أن التنوين ضارح حروف المد واللين بما فيه من الغنة ، وقد وجب في حروف المد واللين أنها تحذف إذا سكنت ولاقت ساكناً ، فحُمل التنوين عليها بالشبه ، فحذف كما حُذفت^(٣).

وقد عدّ ابن خالويه قراءة حذف التنوين من الشواذ ، وذكر أنها لنصر ابن عاصم وأبي عمرو ، وقد رويت عن عمر رضى الله عنه^(٤).

وكان الفراء يرى أن التنوين أجود ، وأن الحذف ليس الوجه ، يقول (والذى قرأ «أحد الله الصمد» بحذف النون من «أحد» ، يقول : النون نون الإعراب إذا استقبلتها الألف واللام حذفت ، وكذلك إذا استقبلها ساكن فربما حذفت وليس بالوجه . . . والتنوين أجود)^(٥).

وأكثر النحويين يذهبون إلى أن التنوين إنما حذف لالتقاء الساكنين ، وكان في هذا لازماً ، لأنهما بمنزلة شيء واحد^(٦).

وسيبيوه يرى أن المختار في التنوين التحريك لالتقاء الساكنين ، وعقد

(١) المدخل : ٩٥ ، وانظر تنقيح اللسان : ٢٧٠ . (٢) انظر المدخل : ٩٥ .

(٣) انظر السابق : ٩٧ . (٤) مختصر في شواذ القرآن : ١٨٢ .

(٥) معاني القرآن : ٣٠٠ / ٣ ، وانظر إعراب القرآن للنحاس : ٣٠٩ / ٥ ، ٣١٠ .

(٦) انظر المقتضب : ٣١١ / ٢ ، وراجع البيان في إعراب غريب القرآن لابن الأنباري : ٣٩٧ / ١ .

(٧) ١٥٥ / ٢ ، ٥٤٥ ، الإنصاف في مسائل الخلاف : ٦٥٩ / ٢ وما بعدها ، مغنى اللبيب لابن هشام :

لذلك باباً سماه (هذا باب ما يذهب التنوين فيه من الأسماء لغير إضافة ولا دخول الألف واللام ، ولا لأنه لا ينصرف ، وكان القياس أن يثبت التنوين فيه)^(١) ، وقد جاء في هذا الباب قول سيبويه (. . . وسائر تنوين الأسماء يحرك إذا كانت بعده ألف موصولة ، لأنهما ساكنان يلتقيان فيحرك الأول كما يحرك المسكن في الأمر والنهي)^(٢) .

وذهب المبرد إلى أن الوجه في الآية إثبات التنوين ، وأن حذفه جائز^(٣) ، وكان يرى أن الوجه في التنوين التحريك ، لالتقاء الساكنين ، لأن الحذف إنما يكون في حروف المد واللين خاصة ، وإنما جار في التنوين لمضارعتة إياها ، وأنه يقع كثيراً بدلاً منها ، وتزاد في الموضع الذي تزداد فيه ، فلما أشبهها وجرى معها أجرى مجراها^(٤) .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس كانوا يميلون إلى حذف التنوين .

هـ - الإشباع

وقد تمثلت هذه الظاهرة في إشباع الحركة كما يلي :

استشهد ابن هشام بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَهَ لَآ يَسْتَجِيبُ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾^(٥) ، على أن بعوضة بدون الف هي الصواب ، وباعوضة غلط ، يقول (ويقولون : بَاعُوضَةٌ ، وفي الجمع بَاعُوضٌ ، والصواب : بَعُوضَةٌ والجمع بَعُوضٌ)^(٦) .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجري كانوا يميلون إلى مطلق الحركات ، ويترتب على ذلك نشوء حركة من جنسها ، وقد عرف

(١) الكتاب : ٥٠٤/٣ . (٢) نقه : ٥٠٥/٣ .

(٣) انظر المختضب : ٣١٣/٢ . (٤) انظر السابق : ٣١١/٢ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٦ . (٦) للدخل : ١٩٦ ، وانظر تنقيف اللسان : ١٠٧ .

ابن جنى هذه الظاهرة ، وتكلم عنها فى باب مطل الحركات^(١) ، يقول فيه (وإذا فعلت الغرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ، فتنشئ بعد الفتحه الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الضمة الواو)^(٢) .

الرسم الإملائى

يتصل بالرسم الإملائى قضيتان اثنتان ، الأولى : مد ما حقه القصر والهمز ، والثانية ، استخدام الهاء بدلاً من التاء فى الكتابة وفيما يلى بيان ذلك :

١ - مد ما حقه القصر والهمز :

ذكر ابن هشام اللخمي^(٣) أن «الخطأ» بالقصر والهمز هى اللغة العليا ، والخطأ بالمد دونها ، وعدّ من ذلك قراءة الحسن ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاءً﴾^(٤) ، هكذا بالمد .

وقد عدّ الفراء^(٥) (الخطأ) من المهموز المقصور الذى لا نظير له .

وعدّ ابن خالوية^(٦) قراءة المدّ من الشاذ .

وجاء فى اللسان (الخطأ والخطأ : ضد الصواب . . . وقد يمدّ الخطأ ، وقرئ بهما قوله تعالى : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاءً﴾^(٧) .

وكلمة (خطأ) هكذا الصواب فى كتابتها ، فالهمزة إذا كانت آخرأ وقبلها فتحة كتبت ألفاً على كل حال^(٨) ، ويقول ابن السراج (. . . تكتب جميع هذا فى الرفع والنصب والخفض بالالف ، فإن أضفت الحرف إلى اسم ظاهر فهو

(٢) نفسه .

(١) انظر الخصائص : ١٢٢/٣ .

(٣) انظر المدخل : ١٠٩ ، وراجع تنقيف اللسان : ٢٢٨ .

(٤) انظر مختصر فى شواذ القرآن : ٢٨ .

(٥) سورة النساء : الآية رقم ٩٢ .

(٦) انظر الجمل : ٢٧٩ .

(٧) اللسان (خطأ) .

(٨) انظر المقصور والمدود : ٥٠ .

على حاله تكتبه باللف نحو : هذا خطأ ريد ، ورأيت خطأ ريد ، وسمعت بخطأ ريد ، فإن أضفته إلى مضمركتبت الهمزة على حركتها ، تكتبها فى الخفض بالياء ، وفى الرفع بالواو ، وفى النصب بالالف ، تكتب : هذا خطؤه ، بواو ، ومن خطئه بياء ، ورأيت خطاه بالالف^(١) .

ب - ما كتب بالهاء بدلاً من التاء :

نقل ابن هشام فى رده على الزبيدى^(٢) تخطئته لكتابة «مناه» بالهاء بدلاً من التاء فى قول حبيب^(٣) .

إِحْدَى بَنَى بَكْرٍ بَنِ عَبْدِ مَنَاءٍ بَيْنَ الْكَثِيبِ الْفَرْدِ فَلَا مَوَاهِ
وكان الزبيدى قد احتج بقوله تعالى : ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾^(٤) ، ونقل ابن هشام^(٥) ، عن الزبيدى أن الصواب : عَبْدُ مَنَاةَ بالتاء مثل عبد يَفُوث وعبد وَدَّ وعبد العزَّى ، وهى أصنام كانت العرب تتعبد لها^(٦) .

وقد ردّ ابن هشام^(٧) على الزبيدى بأن أبا تمام لم يغلط ، ولكنه أجرى الوصل مجرى الوقف ضرورة ، فلما كان الوقف على مناة بالهاء كما يوقف على اللات بالهاء أجراها فى الوصل ذلك المجرى ، والعرب كثيراً ما تفعل ذلك ، فمجرى الوصل مجرى الوقف ، والوقف مجرى الوصل .

(١) الهجاء والخط ، مطبوع فى مجلة المورد ص ١٢٠ - المجلد الخامس - العدد الثالث سنة ١٩٧٦ ، وانظر أيضاً كتاب الهجاء لابن الدهان : ٤٠ . (٢) انظر المدخل : ٥٨ .

(٣) البيت لأبى تمام ، انظر الديوان : ٣/٣٤٣ ، ولحن العامة للزبيدى ت ٢٣٨ هـ ، تنقيف اللسان ٥٤ ، اللسان (منى) .

(٤) سورة النجم : الآية ٢٠ . (٥) انظر المدخل : ٥٨ .

(٦) المدخل : ٥٨ ، وانظر لحن العامة للزبيدى ٢٣٨ هـ ، وقد أورد المحقق د. عبد العزيز مطر هذا النص فى ملحقات الكتاب التى لم ترد فى المخطوط بل وردت منسوبة إلى الزبيدى فى كتب أخرى ، منها المخل إلى تقويم اللسان لابن هشام . (٧) انظر المدخل : ٥٩ .

٢ - بناء الكلمة :

استشهد ابن هشام اللخمي في كتابه المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان بشواهد قرآنية على بعض الظواهر المتعلقة ببناء الكلمة والتصريف ، ويمكن أن ننظر إلى هذه الظواهر ، من حيث التشديد والتخفيف ، وتغيير الحركة ، والزيادة والحذف ، والجمع ، وبناء فَعَالٍ ومفعول ، وفيما يلي بيان ذلك :

١ - التشديد والتخفيف :

استشهد ابن هشام اللخمي بآيات قرآنية على أن الناس يشددون ما حقه التخفيف أو العكس أى يخففون ما حقه التشديد ، وبيان ذلك ما يلي :

* تشديد ما حقه التخفيف :

ذكر ابن هشام اللخمي^(١) أن الصواب يقال «نكس» بتخفيف الكاف بدلاً من تشديدها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾^(٢) . يقول (ويقولون : نكَّسَ رأسه ، بتشديد الكاف ، والصواب : نكَّسَ بتخفيفها ... إلا أن يكثر الفعل)^(٣) .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ ﴾^(٤) ، فقد استشهد ابن هشام بهذه الآية على أن الصواب أن يقال «نكَّب» بالتخفيف بدلاً من تشديد الكاف ، يقول (ويقولون : نكَّبَ عن الطريق ، بالتشديد ، والصواب «نكَّب» ... إلا أن يكثر الفعل)^(٥) .

(١) انظر المدخل : ٢١٢ ، تنقيف اللسان لابن مكى : ١٦٣ .

(٢) سورة السجدة : الآية رقم ١٢ . (٣) المدخل : ٢١٢ ، وانظر تنقيف اللسان : ١٦٣ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية رقم ٧٤ . (٥) المدخل : ٢١٢ ، وانظر تنقيف اللسان : ١٦٣ .

ويفهم من هذا النص أن التخفيفَ لصحيحٌ ، وأن التشديد المستخدم غير صواب ، ويبدو أن الناس استخدموا التشديد لغرض التكرير ، ذلك أن (نَكَّسَ رأسه) معناه أماله وطأطأه من ذل وخزى^(١) ، ومن ثم لما كانت الكلمة تفيد هذا المعنى فقد أرادوا فيها معنى المبالغة ، ومن هنا شددوا الكاف لغرض التكرير ، وقد أكد ابن هشام اللخمي هذا بقوله (والصواب نَكَّسَ . . . إلا أن يكثر الفعل)^(٢) .

ويمكن أن نفسر تشديد الكاف في قولهم (نَكَّبَ عن الطريق) بمثل هذا أيضاً، ذلك أن (نَكَّبَ عن الطريق) معناه عَدَلَ عنه^(٣) .

وقد أرادوا لهذا المعنى المبالغة ، ومن ثم شددوا الكاف لغرض التكرير ، يقول ابن هشام اللخمي (. . . والصواب : نَكَّبَ . . . إلا أن يكثر الفعل)^(٤) .

✱ تخفيف ما حقه التشديد :

وهو عكس الظاهرة السابقة ، ويتمثل فيما ذكره ابن هشام اللخمي^(٥) من أن «غَلَّقْتُ» بالتشديد هي اللغة الفصحى ، وقد واحتج على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابُ ﴾^(٦) .

وكان ابن هشام قد ردَّ على الزبيدي^(٧) ما ذكره من أن الصواب (أَغْلَقْتُهُ) ، وما حكاها ابن دريد (غَلَّقْتُ)^(٨) ، ووصفها بأنها لغة ضعيفة ، وأن الأنصح «غَلَّقْتُ» .

(١) انظر اللسان (نكس) ، والمعجم الوسيط (نكس) : ٩٩/٢ .

(٢) انظر المدخل : ٢١٢ . (٣) انظر اللسان (نكب) ، المعجم الوسيط (نكب) : ٩٨٨/٢ .

(٤) المدخل : ٢١٢ ، وانظر تثقيف اللسان : ١٦٣ .

(٥) انظر المدخل : ٤٢ . (٦) سورة يوسف : الآية رقم ٢٣ .

(٧) انظر المدخل : ٤٢ ، وانظر لحن العامة للزبيدي : ٢٣٨ ، والنص الموجود فيه نقلاً عن المدخل لابن هشام ، وانظر ما تلحن فيه العامة للكسائي ، وفيه (وتقول : أغلقت الباب) .

(٨) انظر المدخل : ٤٢ ، واللسان (غلق) .

ويرى ابن هشام أن : **أَغْلَقْتُ** و**عَلَقْتُ** وإن كانت لغة ضعيفة فلا يجب أن **تُلْحَنَ** بها العامة ، لأنها من كلام العرب وإن **قَلَّتْ** و**ضَعُفَتْ** ^(١) .

وسيويه يرى أن **«عَلَقْتُ»** تفيد الكثرة ، ولا يمنع استخدام **«أَغْلَقْتُ»** ، يقول (وقالوا : **أَغْلَقْتُ** البابَ ، و**عَلَقْتُ** الأبوابَ حين كثروا العمل . . وإن قلت **أَغْلَقْتُ** الأبواب كان عربياً جيداً) ^(٢) واحتج سيويه على استخدام **أَغْلَقْتُ** بقول الفرزدق ^(٣) :

مَارِلْتُ أُغْلِقُ أَبْوَاباً وَأَفْتَحُهَا حَتَّى أَتِيْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنِ عَمَّارٍ
ثم قال سيويه (ومثل **عَلَقْتُ** و**أَغْلَقْتُ** : **أَجَدْتُ** و**جَوَدْتُ** وأشباهه) ^(٤) .

وعقد سيويه لذلك باباً سماه باب دخول **فَعَلْتُ** على **فَعَلْتُ** ، وقد أوضح فيه أن **فَعَلْتُ** تفيد الكثرة ، وأن التخفيف عربى جائز ^(٥) .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وَأَلْفَيْ سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ ^(٦) ، فقد استشهد ابن هشام اللخمي ^(٧) بهذه الآية على أن الصواب «سَيِّدِي» بتشديد الياء بدلاً من «سَيِّدِي» ، يقول ابن هشام (ويقولون : سَيِّدِي ، والصواب سَيِّدِي ، وكذلك يقولون فى المرأة «سَيِّى» ، والصواب : سَيِّدَتِي ، فأما السَيِّدُ فهو الذئب) ^(٨) .

وفهم من هاتين الآيتين أن التشديد فصيح ، و أن التخفيف ليس صواباً ، وإذا نظرنا إلى كلمتي **«عَلَقْتُ»** بالتشديد ، و (سَيِّدٌ) بالتشديد ، وقد استخدمتا

(١) انظر المدخل : ٤٢ .

(٢) الكتاب : ٦٣/٤ .

(٣) ديوان الفرزدق ٣٨٢ ، ابن يعيش ٢٧/١ ، شرح شواهد الساقية ٤٣ ، اللسان (غلق) .

(٤) الكتاب : ٦٣/٤ .

(٥) انظر الكتاب : ٦٤/٤ .

(٦) سورة يوسف : الآية ٢٥ .

(٧) انظر المدخل : ٣١١ .

(٨) نفسه ، وانظر اللسان (سود) ، وفيه عن الفراء أن السيد فى الآية الزوج ، انظر معانى القرآن للفراء

٤١/٧ ، وانظر اللسان (سيد) ، وفيه (السَيِّدُ : الذئب) .

بالتخفيف (غَلَقْتُ) ، (وسيد) لامكنا أن نرجع ظاهرة التخفيف هنا إلى السهولة والتيسير في النطق ذلك أن تشديد اللام في (غَلَقْتُ) يحتاج جهداً عضلياً مضاعفاً فمخرج السلام كما ذكر سيبويه (من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والنايب والرباعية والثنية)^(١) ، وقد وُصِفَ هذا الصوت بأنه منحرف (. . .) لإنحراف اللسان مع الصوت^(٢) . ولا شك أن هذا الانحراف للسان الذي يحدث مع هذا الصوت يصعب على اللسان تكراره مرة أخرى ، ومن هنا نطق الناس الكلمة بدون تشديد اللام جرياً وراء السهولة والتيسير .

وكذلك كلمة (سَيِّد) التي يقولونها (سَيِّدى) بالتخفيف بدلاً من التشديد من أجل السهولة والتيسير ، فالياء هنا منقلبة من الواو ، وأصلها : سَيَّوْدٌ ، فَيَعِلُ^(٣) ، فلَمَّا كان لدينا ياءان أذغموا إحدى اليائين في الأخرى ، ومن ثَمَّ كرهوا التشديد للتخفيف .

وأما كسرة السين فالظاهرة أنها لمجانسة الياء بعدها ، ومن ثَمَّ كانت حركتها من جنس الياء وهي الكسرة ، وقد تنبه سيبويه إلى هذا ، وعقد باباً سماه (هذا باب ما تقلب الواو فيه ياءً ، إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة ، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة)^(٤) ، يقول فيه (وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجهما لكثرة استعمالهم إياهما وعمرهما على السنتهم ، فلَمَّا كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها ، كان العمل من وجه واحد ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم ، وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو ، لأنها أخف عليهم لشبهها بالآلف ، وذلك قولك في : فَيَعِلُ : سَيِّدٌ وصَيَّبٌ ، وإنما أصلهما : سَيَّوْدٌ وصَيَّوْبٌ^(٥) .

(١) الكتاب : ٤ / ٤٣٣ . (٢) نفسه : ٤ / ٤٣٥ .

(٣) انظر الكتاب : ٤ / ٣٦٥ . (٤) الكتاب : ٤ / ٣٦٥ .

(٥) نفسه .

ثم أشار سيبويه إلى تغير حركة الحرف الأول من الفتح إلى الكسر ، ولكنه لم يشر إلى المجانسة بمعنى أن حركة الحرف الأول صارت كسرة لمجانسة الياء بعدها ، وسيبويه وإن كان لم يشر إلى المجانسة إلا أنه نقل رد أحد العلماء دون أن يذكر اسمه على الخليل بن أحمد فيما ذهب إليه من أنه كان يجب أن تبقى حركة الحرف الأول مفتوحة^(١) ، يقول سيبويه (. . .) وقد قال غيره - يقصد الخليل بن أحمد - هو : فَيَعِلُّ ؛ لأنه ليس في غير المعتل فَيَعِلُّ ، وقالوا : غَيَّرَتِ الحركة ؛ لأن الحركة قد تقلب إذا غَيَّرَ الاسم ، ألا تراهم قالوا : بِصَرِيٍّ ، وقالوا : أَمَوِيٍّ ، وقال : أُنْتُ ، وأصله الفتح ، وقالوا : دُهُرِيٍّ ، فكذاك غَيَّرُوا حركة فَيَعِلُّ^(٢) .

ب - تغيير الحركة :

أورد ابن هشام اللخمي آيات قرآنية كثيرة تؤكد أن ثمة تغيرات حدثت في ضبط بنية الكلمة على السنة العامة في الأندلس في القرن السادس الهجري ، ثم ذكر الضبط الصحيح للبنية اعتماداً على ما استشهد به من القرآن الكريم .
وفيما يلي بيان ذلك :

* كسر ما حقه الفتح :

ذكر ابن هشام اللخمي^(٣) أن فتح نون كلمة (النَّوَى) لا كسرها هو الصواب ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْغَابِ وَالنَّوَى ﴾^(٤) ، فالصواب هنا فتح نون النَّوَى بدلاً من كسرها ، يقول (ويقولون النَّوَى بكسر النون ، والصواب النَّوَى بفتحها)^(٥) .

(١) انظر الكتاب : ٣٦٥ / ٤ ، وفيه عن الخليل (. . .) ولو أرادوا «فَيَعِلُّ» لتركوه مفتوحاً .

(٢) الكتاب ٣٦٥ / ٤ ، وانظر شرح المفصل : ٩٥ / ١٠ ، وشواهد الشافية : ٦١ ، والإنصاف : ٧٩٥ / ٢

وما بعدها .

(٥) المدخل : ٢٨٨ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٩٥ .

(٣) انظر المدخل : ٢٨٨ .

* فتح ما حقه الكسر :

ذكر ابن هشام اللخمي أن كسر الزاى من كلمة (مَعَزِل) لا فتحتها هو الصواب واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ تَادِئُ نُوْحٍ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ ﴾^(١) ، فالصواب كسر الزاى فى كلمة «مَعَزِل» بدلاً من فتحها ، يقول (ويقولون : جلست بِمَعَزِلٍ ، والصواب : بِمَعَزِلٍ)^(٢) .

* فتح ما حقه الغم :

ذكر ابن هشام اللخمي أن الناس يفتحون الباء من كلمة (السُّبْلَةُ) والصواب ضمها واستشهد على هذا بقوله تعالى : ﴿ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾^(٣) ، فالصواب ضم الباء من «السُّبْلَةُ» بدلاً من فتحها ، يقول (ويقولون للذى فيه حَبُّ الزَّرْعِ : السُّبْلَةُ بفتح الباء ، والصواب : السُّبْلَةُ ... وجمعها سَبَائِلُ)^(٤) .

ويبدو أن السبب فى هذه الظاهرة نأثر الباء بحركة اللام المفتوحة بعدها ، ومن ثم حركها العامة بالفتح .

ومثل ذلك قول الناس (عَرْجُون) بفتح العين ، والصواب كما ذكر ابن هشام ضمها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾^(٥) ، يقول (ويقولون عَرْجُونٌ بفتح العين ، والصواب عُرْجُونٌ بضمها)^(٦) .

(١) سورة هود : الآية رقم ٤٢ . (٢) المدخل : ٢٠٢ ، وانظر تنقيف اللسان : ١٢٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية رقم ٢٦١ . (٤) المدخل : ٣٠٨ .

(٥) سورة يس : الآية ٣٩ . (٦) المدخل : ٢٩٥ .

* فتح ما حقه الإسكان :

ذكر ابن هشام اللخمي أن إسكان الميم من كلمة (النَمْل) لا فتحها ، هو الصواب ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾^(١) ، يقول (ويقولون : النَمْلُ بفتح الميم ، والصواب : النَمْلُ بإسكانها ، والواحدة نَمْلَةٌ)^(٢) .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزَلْ ﴾^(٣) ، بإسكان الزاي فى كلمة (الهزل) بدلاً من فتحها ، فالناس يقولون (الهَزْلُ فى ضد الجِدِّ ، والصواب : الهَزْلُ بإسكان الزاي)^(٤) .

وشبيه بهذا إسكان الهاء من كلمة (لَهُوَ) بدلاً من تحريكها كما تقول العامة^(٥) ، وقد استشهد ابن هشام اللخمي على صحة الإسكان بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾^(٦) .

* ضم ما حقه الفتح :

ذكر ابن هشام اللخمي^(٧) أن الناس يضمون الضاد من كلمة (الضُرُّ) والصواب فتحها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾^(٨) ، فالصواب فتح الضاد من كلمة (الضُرُّ) بدلاً من ضمها .

ثم ذكر أن الضاد تضم إذا وردت الكلمة من غير النفع ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى أخبأراً عن أيوب ﴿ مَسْنِيَ الضُرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٩) ،

(٢) للدخل : ٢٨٨ .

(٤) للدخل : ٣١٤ .

(٦) سورة الجمعة : الآية ١١ .

(٨) سورة الحج : الآية ١٣ .

(١) سورة النمل : الآية ١٨ .

(٣) سورة الطارق : الآية ١٤ .

(٥) انظر المدخل : ٢٠٥ .

(٧) انظر المدخل : ٢٩٤ .

(٩) سورة الانبياء : الآية ٨٣ .

يقول ابن هشام (ويقولون : النَّفْعُ والضَّرُّ بضم الضاد ، والصواب النَّفْعُ والضَّرُّ بفتحها ، ثم ذكر الآية الأولى ، وقال : فإن لم تذكر النَّفْعُ ضمنت الضاد ، وذكر الآية الثانية ، وقال معلقاً عليها : فضمُّ لَّا لم يقترن مع النَّفْعِ)^(١) .

ومثل ذلك ما ذكره من أن الناس يضمون الراء من كلمة (الريِّح) ، والصواب فتحها^(٢) ، واستشهد على صحة فتح الراء بقوله تعالى : ﴿ كَرَّمَادِ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾^(٣) ، يقول (ويقولون : الرَّمَادُ بضم الراء ، والصواب : الرَّمَادُ بفتحها)^(٤) .

* ضم ما حقه الإسكان :

ذكر ابن هشام اللخمي أن إسكان اللام من كلمة (دَلُّوْ) لا فتحها ، هو الصواب ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَأَدْلُوا دَلْوَهُ ﴾^(٥) ، يقول (ويقولون : أَدْلُوْ بضم اللام وإسكان الواو ، والصواب الدَلُّوْ بإسكان اللام وإعراب الواو)^(٦) .

ويبدو أن السبب في هذه الظاهرة أنهم اتبعوا حركة اللام لصوت الواو التي بعدها ، فصارت حركة اللام الضم .

* إسكان ما حقه الفتح :

ذكر ابن هشام^(٧) أن (الأترجة) فيها ثلاث لغات : أترجة وهي الفصيحة والجمع أترج ، ويقال تَرْنَجَةٌ كما تنطق بها العامة وهي أضعف والجمع تَرْنَجٌ ، ويقال أيضاً أترنج وهي اللغة الثالثة .

(١) للدخل : ٢٩٤ . (٢) انظر المدخل : ٢٠٢ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ١٨ . (٤) المدخل : ٢٠٢ .

(٥) سورة يوسف : الآية ١٩ . (٦) المدخل : ٣٤٣ .

(٧) المدخل : ١٠٢ ، وانظر لحن العامة للكسائي : ١١٦ ، وتثقيف اللسان لابن مكى : ٢٣٣ .

ثم ذكر أنه يقال لها أيضاً **الْمُتْكُ** ، واحتج بقراءة من قرأ بإسكان التاء^(١) فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مُتْكَآ ﴾^(٢) .

وقد احتج ابن هشام اللخمي بهذه القراءة دون أن ينسبها إلى قارئها ، ولكنها لأبى جعفر ، فقد قرأ بحذف الهمزة ، فيصير النطق «مُتْكَآ» بكاف منصوبة منونة بعد التاء^(٣) .

* ما يجوز فيه الضم والكسر والفتح :

ذكر ابن هشام اللخمي أن (مِلْكُ اليمين) ، فيه ثلاث لغات : مِلْكٌ بفتح الميم ، ومِلْكٌ بكسرهما ، ومِلْكٌ بضمهما^(٤) .

ثم ذكر قراءة ضم الميم ، وقال : وقد قرأت القراء ﴿ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمِلْكِنَا ﴾^(٥) ، بضم الميم وكسرهما وفتحها .

وقد أكد الفراء كون قراءة الضم للقراء ، فقال (مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمِلْكِنَا)^(٦) ، برفع الميم ، هذه قراءة القراء ، ولو قرئت (بِمِلْكِنَا) ، و (مَلْكِنَا) كان صواباً ، ومعنى (مَلْكِنَا) فى التفسير : أننا لم نملك الصواب إنما أخطأنا^(٧) .

وقد خرج الفراء قراءة كسر الميم وفتحها ، مشيراً إلى أن الضم لبعض بنى أسد ، يقول (. .) ومن قرأ بِمِلْكِنَا بكسر الميم فهو الملك يملكه الرجل ، تقول لكل شيء ملكته : هذا ملك يمينى للملك وغيره مما مِلْكٌ .
والمَلْكُ : مصدر ملكته مَلْكاً وملكته ، مثل غلبته غَلْباً وغلْبَةً .

(١) انظر المدخل : ١٠٢ . (٢) سورة يوسف : الآية ٣١ ، وفى المصحف (مُتْكَآ) .

(٣) انظر مهذب القراءات العشر : ٣٣٦/١ .

(٤) انظر المدخل : ١٣٩ . (٥) سورة طه : الآية ٨٧ ، وفى المصحف بفتح الميم (بِمِلْكِنَا) .

(٦) انظر المدخل : ١٣٩ . (٧) معانى القرآن : ١٨٩/٢ .

وَالْمَلِكُ : السُّلْطَانُ ، وَبَعْضُ بَنِي أَسَدٍ يَقُولُ : مَا لِي مُلْكٌ^(١) .

وقد ذكر العلماء أن الفتح قراءة نافع ، وعاصم ، وأبي جعفر ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بضمها ، وقرأ الباقر بكسرهما ، وكلها لغات فى مصدر ملك بملك ، وهى بمعنى قدرتنا أو أمرنا^(٢) .

وذكر ابن الأنبارى أن من كسر الميم جعله مصدر (مَلَك) ، يقال : مَالِكٌ بَيْنُ الْمَلِكِ ، ومن ضمه جعله مصدر (مَلِك) ، يقال : مَلِكٌ بَيْنُ الْمَلِكِ ، ومن فتحه جعله اسماً ، والمصدر فى هذا الموضع مضاف إلى الفاعل^(٣) .

وقد فسر الدامغانى (الملك) فى الآية بمعنى العهد والعلم ، يعنى ، بِعَهْدِنَا وَعِلْمِنَا^(٤) .

وقد نقل صاحب اللسان عن الجوهري أن فتح الميم فى (ملك) أفصح ، يقول (. . . وهذا مَلِكٌ يَعْنِي ، وَمَلِكُهَا ، وَمُلْكُهَا ، أَيْ مَا أَمْلَكَهُ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ ، وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ)^(٥) .

✽ ما يجوز فيه الفتح والضم :

استشهد ابن هشام^(٦) بقراءة بعض القراء ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾^(٧) على أن ضم الراء فصيح ، وفتحها كما فى قراءة «سُرَر» جائز .

(١) معانى القرآن : ١٨٩/٢ .

(٢) انظر المذهب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر للدكتور / محمد سالم محسن :

٢٥/٢ ، وانظر اتحاد فضلاء البشر : ٣٠٦ .

(٣) البيان فى غريب إعراب القرآن : ١٥٢/٢ .

(٤) الوجوه والنظائر : ٢٠٧/٢ . (٥) اللسان (ملك) .

(٦) انظر المدخل : ٧٥ .

(٧) سورة الواقعة : الآية ١٥ ، والقراءة المثبتة فى المصحف «سُرُر» بضم الراء ، وانظر معانى القرآن :

١٢٢/٣ ، البيان لابن الأنبارى : ٤١٥/٢ .

وقد ذكر ابن هشام اللخمي هذه القراءة في معرض رده على ابن مكى الصقلی^(١) ، فيما ذكره في كتابه تثقيف اللسان ، يقول ابن هشام (وقوله - أى ابن مكى - فى هذا الباب : ويقولون ثِيَابٌ جُدْدٌ يفتح الدال ، والصواب : جُدْدٌ كما تقول العامة)^(٢) .

وقد رد ابن هشام اللخمي على ابن مكى بأن المبرد قد أجاز الضم والفتح ، يقول ابن هشام (. . . وقد أجاز المبرد وغيره فى كل ما جمع من المضاعف على (فُعَل) الضم والفتح ، لثقل التضعيف ، فأجاز أن يقال : جُدْدٌ وَجُدْدٌ ، وسُرْرٌ ، وسُرْرٌ)^(٣) .

وفهم من هذا النص أن الضم جائز وأن الفتح جائز أيضاً ، ويبدو أن قول الناس (سُرْرٌ) بالضم فيه نوع من إتباع الحركة بمعنى أنهم يتبعون الضمة الضمة. ومن قال (سُرْرٌ) بالفتح فذلك لأن الفتح أخف الحركات ، وقد جاء فى اللسان (. . . وبعضهم يستقل اجتماع الضمتين مع التضعيف ، فيرد الأول منهما إلى الفتح لحفته ، فيقول سُرْرٌ)^(٤) .

ج - الزيادة :

استشهد ابن هشام اللخمي بآيات قرآنية على أن الناس قد يزدون فى الكلمة ما ليس حقه أن يزداد فيها ، وقد استدل على ذلك بشواهد من القرآن ، ويتضح ذلك فيما يلى :

(١) المدخل : ٧٥ ، وانظر تثقيف اللسان لابن مكى : ٢٤٦ .

(٢) المدخل : ٧٥ ، وانظر تثقيف اللسان : ٢٤٦ .

(٣) المدخل : ٧٥ .

(٤) اللسان (سُرر) .

* زيادة التاء فى كلمة (عصائى) :

ذكر ابن هشام اللخمي أن الناس يقولون : عَصَائِي ، وَعَصَاتُكَ ، وإن الصواب : عَصَايَ وَعَصَاكَ^(١) .

واستشهد على ذلك بقوله تعالى - إخباراً عن موسى عليه السلام ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾^(٢) .

ويدو أن السبب فى هذه الظاهرة أن الناس ظنوا أن الكلمة مؤنثة بالتاء (عصاة) ، ومن ثم ذكروا التاء مع الألف المقصور فقالوا (عصائى) ، لأن الكلمة مؤنثة بالألف المقصورة، ثم رداوا عليها التاء أيضاً ، فقالوا : عصائى . وما يؤكد هذا ما ذكره صاحب اللسان نقلاً عن الأزهري ، (. . .) قال الأزهري ويقال للعَصَا : عَصَاً بالهاء ، يقال : أخذت عَصَاتَهُ ، قال : ومنهم من كَرِهَ هذه اللغة^(٣) .

ومذهب الأصمعي أنه لا يجوز مدّ العصا ، ولا إدخال التاء معها^(٤) . وقال الفراء : أول لحن سمع بالعراق : هذه عصائى ، بالتاء^(٥)

* زيادة الألف واللام فى كلمة (الكافة) :

ذكر ابن هشام اللخمي أن الناس يقولون (الكافة) ، وذهب إلى أن هذا

(١) انظر المدخل : ١٩٤ ، وراجع تنقيف اللسان لابن مكى ص ١٠١ ، وفيه (. . .) وقيل : أول لحن سُمِعَ بالبصرة قولهم : عصائى .

وأورد أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين ص ٢٦ نصاً جاء فيه (. . .) لم يزل أبو الأسود ضيقاً بما أخذه عن عيسى عليه السلام ، حتى قال له زياد : قد فسدت ألسنة الناس ، وذلك أنهما سَمِعَا رجلاً يقول (سقطت عصائى) فدافعه أبو الأسود .

(٢) سورة طه : الآية رقم ١٨ . (٣) اللسان (عصا) .

(٤) انظر السابق . (٥) نفسه .

غير صحيح ، اعتماداً على قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾^(١) بدون الالف واللام ، يقول (وكذلك إدخال الالف واللام على الكافة لايجوز ، وقد غلطوا في قولهم (يُرَوِّيه الكَافَّةُ عن الكَافَّةِ) ، والصواب : رَوَّاهُ النَّاسُ كَافَّةً)^(٢) .

د - الحذف

ويتمثل في حذف تاء التانيث من كلمة (زوج) مع المؤنث ، وقد عده ابن هشام اللخمي أفصح من ذكرها اعتماداً على قوله تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾^(٣) ، يقول (وَزَوْجُ الرَّجُلِ ، وفيها لغتان زَوْجٌ ، وهي أفصح ، وزَوْجَةٌ وهي أضعف)^(٤) .

هـ - الجمع

أورد ابن هشام اللخمي آيات قرآنية للاستشهاد بها على تصويب ما يستخدمه عامة أهل الأندلس - في القرن السادس الهجري - من صيغ الجمع ، وبيان ذلك ما يلي :

* جمع مفعلة :

نقل ابن هشام اللخمي عن ابن مكى الصقلي أن الناس (يقولون في جمع منارة متأير ، والصواب مناور)^(٥) ، وهذا معناه أنهم يهزمون جمع مفعلة تشبيهاً بجمع فعيلة .

(٢) المدخل : ٣٢٥ .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٨ .

(٤) المدخل : ١٣٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٥ ، وسورة الأعراف : الآية ١٩ .

(٥) المدخل ٩١ ، وانظر تلخيص اللسان : ٩٧ ، وفيه (ويقولون في جمع منارة : متأير والصواب مناور) ، وانظر الخصائص : ٣٢٨/١ ، ٣٢٩ ، وفيه (... فمن ذلك استنكارهم همز مصاب ، وقالوا : منارة ومنائر ، ومزادة ومزائد ، فهمزوا ذلك في الشعر وغيره ، ... وإنما الصواب : مزائد ومصاوب ومناور ...) ، وانظر أيضاً الخصائص : ١٤٤/٣ ، ١٤٥ ، وقالوا : منارة ومنائر وإنما صوابها : مناور لأن الألف عين وليست بزائدة ...) .

وقد ذهب ابن هشام إلى أن ما ذكره ابن مكي هو القياس^(١) ، لأنك إذا جمعت مفعلة أو ما كان على بنائها لم تهمز ، نحو : مَعِيشَة ومعاش ، ومصيبة ومصايب ، وذكر أن أكثر القراء قرأ ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِش ﴾^(٢) .

وقد ذكر الفراء أن «معاش» لا تهمز ، يقول (. . .) لأنها مفعلة - يعنى الواحدة - ، الياء من الفعل ، فلذلك لم تهمز ، إنما يهمز من هذا ما كانت الياء فيه رائدة ، مثل مدينة ومدائن ، وقبيلة وقبائل ، لما كانت الياء لا يعرف لها أصل ثم قارفتها ألف مجهولة أيضاً همزت ، ومثل معاش من الواو بما لا يهمز لو جمعت «معونة» ، قلت : معاون ، أو منارة قلت : مناور ، وذلك أن الواو ترجع إلى أصلها لسكون الألف قبلها^(٣) .

ومعنى هذا أن الهمز غير فصيح ، وأن الناس ظنوها فعيلة توهماً ، ثم قاسوها في الجمع عن طريق القياس الخاطئ على جمع فعيلة ، ومن ثم همزوها ، مثل كتيبة وكتائب وسفينة وسفائن ، وبما يؤكد هذا ما ذكره الفراء بقوله (. . .) وربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بورئها في اللفظ وعدة الحروف . . . وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة ، شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام^(٤) .

ويقول ابن الأنباري (معاش جمع معيشة ، وأصل معيشة : مَعِيشَة على وزن مفعلة ، إلا أنه نقلت كسرة الياء إلى العين ، والميم فيها رائدة ، لأنها مفعلة من العيش ، ولا يجوز همزها ، لأن فيها الياء أصلية ، وأصلها في الواحد أن تكون متحركة ، ولو كانت رائدة أصلها في الواحد السكون ، نحو كتيبة على فعيلة لهمزت في الجمع ، نحو : كتائب . . .)^(٥) . وقد

(١) انظر المدخل : ٩١ . (٢) سورة الأعراف : الآية ١٠ .

(٣) معاني القرآن : ٣٧٣/١ . (٤) نزهة : ٣٧٣/١ ، ٣٧٤ .

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن : ٣٥٥/١ .

ذكر ابن الأنباري أنه قرئ «معاش» بالهمز، وعدها قراءة ضعيفة في القياس^(١).

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس توهموا أنها فعيلة ، ومن ثم قاسوها في الجمع على جمع فعيلة ، وهذا قياس خاطيء ، ومن ثم همزوها .

ويرى ابن هشام اللخمي أنه لا يجب أن تلحن العامة لنطق العرب منائر ، يقول (. . .) فإذا قالت العرب «منائر» بالهمز ، لم يجب أن تلحن بها العامة لنطق العرب بها ، وإن كان القياس ترك الهمز^(٢) .

وهذا الذي قاله العلماء هو ما أخذ به ابن هشام اللخمي ورد به على ابن مكى الصقلی ، يقول ابن هشام (وقوله - أى ابن مكى - ويقولون : فى جمع منارة منائر ، والصواب : مناور ، قال الراد - أى ابن هشام اللخمي - هذا الذى ذكر هو القياس ؛ لأنك إذا جمعت مفعلة أو ما كان على بنائها لم تهمز ، نحو معيشة ومعاش ، ومصيبة ومصايب . فإن جمعت فعيلة وفعولة وفعالة وفاعلة همزت ، نحو : سفينة وسفائن وركوبة وركائب ، وعجوزة وعجائز ، ورسالة ورسائل ودائرة ودوائر . وإنما لم يجر فى مفاعل الهمز ، ولزم فعائل ؛ لأن فعائل لا أصل للحركة فى يائه ، وهذا مذهب الخليل ؛ لأنك إذا قلت سفينة فهذه الياء لا تتحرك بحال ، فلذلك لم يجر تحريكها فى الجمع ، فأبدلوا منها همزة)^(٣) .

(١) البيان ٣٥٥/١ ، وفى اللسان (عش) . . . وأكثر القراء على ترك الهمز فى «معاش» إلا ما روى عن نافع فإنه همزها ، وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ .

(٢) المدخل : ٩١ . . (٣) المدخل : ٩١ .

• جمع قَرْيَةٍ :

ذكر ابن هشام اللخمي أن الناس يقولون : القَرْيَةُ بالتشديد ، ويجمعونها على (قَرَايَا)^(١) .

ثم ذكر أن الصواب (قَرْيَةً) بالتخفيف ، والجمع (قُرَى) ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قُرَى مُحَصَّنَةٍ ﴾^(٢) .

وكان الزبيدي قد ذكر في لحن العامة أن الناس يقولون (لجمع القَرْيَةِ : قَرَايَا ، وكأنهم تابعوا في الجمع من شَدَدِ القرية ، وذلك خطأ)^(٣) ، ثم ذكر أن الصواب (قُرَى وقُرَيَات)^(٤) .

• جمع عِشَار :

أورد ابن هشام اللخمي^(٥) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾^(٦) ، في معرض رده على ابن مكي الصقلي^(٧) ، يقول ابن هشام (وقولــــه - أي ابن مكي- ويقولون : امرأة نَافِسة والصواب نَفَسَاء . يقال : نَفِستَ بضم النون إذا وَلَدْتَ ، ونَفِستَ بفتحها إذا حَاضَتْ .

قال الراد : يقال : نَفِستَ بفتح النون ونَفِستَ بضمها إذا وَلَدْتَ وإذا حَاضَتْ ، ويقال أيضاً : نَفَسَاءُ ونَفَسَاءُ بضم النون وفتحها . وقالوا : نَفَسَاءُ بفتح النون وإسكان الفاء ، والجمع نَفَسَاوَاتُ ونَفَاسٌ ونَفَسٌ ونَفَاسٌ ، كعِشْرَاءَ وعِشَار)^(٨) .

(١) انظر المدخل : ٣٣٤ . (٢) سورة الحشر : الآية ١٤ .

(٣) لحن العامة : ١٤٥ . (٤) نفسه .

(٥) انظر المدخل : ٨٧ . (٦) سورة التكوين : الآية ٤ .

(٧) انظر التقيف : ١٧٧ ، ٣٢٦ .

(٨) المدخل : ٨٧ ، وانظر اللسان (عشر) .

* جمع أَهْلٌ :

استشهد ابن هشام بقوله تعالى ﴿ شَلَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا ﴾^(١) على أن جمع أَهْلٌ : أَهْلُونَ ، يقول (والأَهْلُ وفيه لغتان : أَهْلٌ وأَهْلَةٌ . فجمع أَهْلٌ أَهْلُونَ ، وجمع أَهْلَةٌ أَهْلَاتٌ)^(٢) .

و- بناء : فَعَالٌ وَمَفْعُولٌ :

ويتضح ذلك كما يلي :

* فَعَالٌ :

ذهب ابن هشام اللخمي إلى أن «رَشَادٌ» بتشديد الشين من (أَرَشَدَ)^(٣) ، واحتج على ذلك بقراءة من قرأ ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾^(٤) ، بتشديد الشين ، يريد الله عز وجل^(٥) .

وهذه القراءة أوردها اللخمي غير منسوبة ، ولكنها لمعاذ بن جبل^(٦) ، وقد ذكر ابن جنى أنه قرأها على المنبر^(٧) .

وإذا كان ابن هشام اللخمي يرى أن «رَشَادٌ» هنا من الرباعي (أرشد) فإن ابن جنى يذهب إلى أنها من الثلاثي (رَشَدَ) ، وذهب إلى أن (فَعَالًا) لم يأت إلا في أحرف محفوظة ، وليس منها «رَشَادٌ» ، فعلى ذلك خرج «الرَشَادُ» أي : رَشَدٌ بمعنى أرشد تقديراً لا استعمالاً ، ثم ذهب إلى أن المعنى راجع فيما بعد

(١) سورة الفتح : الآية ١١ . (٢) المدخل : ١٤٨ ، وانظر اللسان (أهل) .

(٣) انظر المدخل : ٣٦٣ . (٤) سورة طه : الآية ٢٩ .

(٥) انظر المدخل : ٣٦٤ .

(٦) انظر شواذ القرآن لابن خالوية : ١٣٢ ، والمحجب لابن جنى : ٢٤١/٢ .

(٧) انظر المحجب : ٢٤١/٢ ، وفيه (ولا ينبغي أن يحمل على أنه من أَرَشَدَ «يرشد» لأن فَعَالٌ لم يأت إلا في أحرف محفوظة ، وهي : أَجْبَرَهُو جَبَّار ، وَأَسَاكَرَهُو سَاكِر ، وَأَقْصَرَهُو قَسَّار ، وَأَذْرَكَهُو ذَرَّكَ) .

إلى أنه (مُرشد) ، وذلك لأنه إذا رَشِدَ أُرشدَ ؛ لأن الإرشاد من الرشد ، فكأنه من باب الاكتفاء بذكر السبب من المسبب^(١) .

وكان ابن هشام قد تناول هذه المسألة في معرض كلامه عن «نشاء» التي يقال لصانع السفن ، يقول (ويقولن لصانع السفن نَشَاء ، والأحسن سَفَّان ، فأما نَشَاءٌ فقد اختلف فيه أهل العلم ، فمعهم من منعه ، ومنهم من أجازه ، فمن منعه احتج بأنه لا يستعمل منه فعل ثلاثي ، وإنما استعمل فعله رباعياً ، وبنية فَعَالٍ إنما تستعمل من الثلاثي إذا أرادوا المبالغة ، كقولهم : ضَرَّابٌ من ضرب ، وَقَتَالٌ من قتل وما أشبه ذلك ، والصواب أن يقال : مُنْشِئٌ لأنه من أَنْشَأَ . ومن أجازه احتج بأن المراد بهذا الإخبار أن ذلك صناعة له يعرف بها ويعالجها ، ولفظة ، مُنْشِئٌ لا تفيد هذا المعنى ، ولفظة نَشَاءٌ هي المفيدة له ، فالأولى أن يحمل على أمثاله وإن قلَّ . فكما قالوا : دَرَّكٌ من أدرك ، وجَبَّارٌ من أجبر ، وسَاارٌ من أسار ، وقَصَّارٌ من أقصر . على أنهم قد قالوا قَصَّرَتْ عن الشيء ، وجَبَّرَتْه على كذا ، والاول أفصح . ورشَّادٌ من أُرشد^(٢) ، ثم ذكر الآية موضع الدراسة .

ويفهم من هذا النص أن بنية «فَعَالٌ» تُستعمل من الثلاثي إذا أرادوا المبالغة، كقولهم : ضَرَّابٌ من ضرب ، وَقَتَالٌ من قَتَلَ^(٣) .

وهذا معناه أن الناس ظنوا أن هذه الأفعال ثلاثية ، ومن ثم بطريق القياس الخطأء استخدموا منها «فَعَالٌ» .

(١) انظر المحتب : ٢٤٢/٢ .

(٢) المدخل : ٣٦٣ وما بعدها .

(٣) وقد عدَّ سيبويه صيغة (فَعَالٌ) من صيغ المبالغة ، انظر الكتاب : ١١٠/١ ، ٦٤١/٣ ، وقد قال سيبويه (وسمعا من يقول : أما العسل فإنا شَرَّابٌ) الكتاب : ١١١/١ ، وانظر المقتضب للمبرد : ١١٢/٢ ، وفيه (فإن أردت أن أكثر الفعل كان للتكثير أبنية ، فمن ذلك «فَعَالٌ» ، تقول : رجل قَتَالٌ ، إذا كان يكثر القتل ... وعلى هذا تقول : رجل ضَرَّابٌ وشَتَّامٌ) .

* مفعول :

ذكر ابن هشام^(١) أن العامة يقولون (الموسوع) ، والصواب الموسع ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ عَلَى الْمَوْسَى قَدْرُهُ ﴾^(٢) ، يقول (ويقولون : رَجُلٌ مَوْسُوْعٌ عليه ، والصواب مَوْسَعٌ عليه ، بتشديد السين ، وقد أَوْسَعَ الرجل إذا استغنى)^(٣) .

والسبب في هذه الظاهرة أن عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجري كانوا يخلطون في اسم المفعول بين ما كان من الثلاثي وما كان من الرباعي ، فيقولون (موسوع) ، والصواب موسع .

وقد جاءت بعض المصادر على مفعول ، مثل كلمة (المفتون) ، وقد عَدَّ ابن هشام اللخمى^(٤) من ذلك قوله تعالى : ﴿ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾^(٥) ، يقول (ويقولون : ما لى فيه مَفْتُوْعٌ ، فيغلطون فيه ، لأن الْمَفْتُوْعَ مَنْ أَوْصَلَ إِلَيْهِ النِّفْعُ ، والصواب أن يقال : ما لى نَفْعٌ أَوْ مَنَفْعَةٌ ، فإن توهّم متوهم أنه مما جاء على المصدر فقد وَهَمَ فيه ؛ لأنه لَمْ يَجِءْ من المصادر على مَفْعُولٍ إِلَّا أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ ، وهى : الْمَعْسُورُ ، وَالْمَيْسُورُ ، وَالْمَعْقُولُ ، وَالْمَجْلُودُ ، وَالْمَخْلُوفُ . بمعنى العُسْر ، وَالْيُسْر ، وَالْعَقْل ، وَالْجَلْد ، وَالْخَلْف . وقد الحق بها قوم الْمَفْتُونُ^(٦) .

٣ - التركيب :

اقتصرت الشواهد القرآنية التى استشهد بها ابن هشام اللخمى فى كتابه المدخل إلى تقويم اللسان ، على قضايا الاستخدام النحوى التى تؤكد أن عامة

(١) انظر المدخل : ١٧٩ ، وانظر لحن العامة للزبيدي : ١٥٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٦ . (٣) المدخل : ١٧٩ .

(٤) المدخل : ٣٣٣ . (٥) سورة القلم : الآية ٦ . (٦) المدخل : ٣٣٣ .

أهل الأندلس كانوا يستخدمون بعض الظواهر النحوية بنظام يغاير ما ورد في القرآن الكريم ، وقد اقتصرنا هذه الظواهر على ثلاث قضايا .

تتصل القضية الأولى : بالجمع بين تاء المضارعة ونون النسوة ، وأما القضية الثانية فتدور حول إضمار الفعل بعد «لو» ، وثمة قضية ثالثة تتعلق بتعدى الفعل بنفسه أو بحرف الجر ، وفيما يلي بيان ذلك .

أ - الجمع بين تاء المضارعة ونون النسوة :

ذكر ابن هشام^(١) أن عامة أهل الأندلس يقولون الهِنْدَاتُ تَخْرُجْنَ ، بالجمع بين تاء المضارعة ونون النسوة ، ثم ذهب إلى أن الصواب : الهِنْدَاتُ يَخْرُجْنَ ، بالياء ؛ لأنه لا يجمع في هذا القليل بين تاء المضارعة والنون ، ووجه الكلام أن يلفظ فيه يياء المضارعة ، واستشهد على ذلك بقوله ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾^(٢) .

وقد عدَّ ابن خالويه^(٣) هذه القراءة شاذة ، ونسبها لابن مسعود وأما ابن الجزري^(٤) فقد ذكر أنها قراءة نافع والكسائي ، هكذا بالياء على التذكير ، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث ، وذهب إلى أنه جاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل مؤنث غير حقيقي .

ب - إضمار الفعل بعد «لو» :

ذكر ابن هشام اللخمي^(٥) قوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾^(٦) ، شاهداً على أن الفعل مضمر بعد «لو» وارتفع الاسم الذي بعدها به ، فأنتم ، فاعل بفعل مضمر دل عليه تملكون^(٧) .

(١) المدخل : ٢٥٣ . (٢) سورة مريم : الآية رقم ٩٠ ، وفي المصحف (تَكَادُ) .

(٣) انظر شواذ القراءات : ٨٥ . (٤) انظر الملهب في القراءات العشر : ١٢ / ١ .

(٥) انظر المدخل : ٣٦ . (٦) سورة الإسراء : الآية ١٠٠ . (٧) المدخل : ٣٦ .

وكان ابن هشام قد استشهد بهذه الآية فى معرض رده على الزبيدى لما قاله فى بيت عثمان بن عفان^(١) :

قُلُوْلى قُلُوْبُ الْعَالَمِيْنَ بِأَسْرِهَا لَمَّا مَلَأْتَ لِىْ مِنْسُهُ مَعْتَبَةً قَلْبًا
ويذكر ابن هشام قول الزبيدى قال «قُلُوْلى قُلُوْبُ» ، وأنا استريبُ به لأن «لُوْ» لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً^(٢) .

وقد ردَّ ابن هشام على الزبيدى قائلاً (. . .) : وكذلك «لُوْ» فى البيت وكَيْها الفعل مضمراً وارتفاع الاسم الذى بعدها به^(٣) .

ثم ذكر الآية وأمثلة أخرى^(٤) ، وقال (. . .) فهذه كلها محمولة على الفعل المضمَر عند البصريين ، فإذا كان هذا فَمِمَّ اسْتَرَابَ ؟ ، لكنه لم يَدِرْ كيف يُقدِّره إذا لم يقع بعد القلوب فعل يفسره ، فاستراب لذلك . وتقدير الفعل : لُوْ كانت لى ، أو خُلِقْتُ لى أو استقرت لى أو ما شاكل هذا مما يدل عليه السياق^(٥) .

و «لُوْ» تختص بوقوع الفعل بعدها ، يقول سيبويه (و «لُوْ» بمنزلة لولا ، ولا تبدأ بعدها الأسماء^(٦) ، يقول المبرد (و «لُوْ» لا تقع إلا على فعل)^(٧) .
ومن هنا فقد أجمع النحاة على وجوب وقوع الفعل بعد «لُوْ» ، ومن ثمَّ قدرُوا فعلاً محذوفاً لارتفاع الاسم بعدها .

(١) انظر لحن العامة للزبيدى : ٨٩ ، ٩٠ ، وهو ثلثى أربعة أبيات غير منسوبة .

(٢) المدخل : ٣٦ ، وانظر لحن العامة للزبيدى : ٩٠ .

(٣) المدخل : ٣٦ . (٤) انظر المدخل : ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) المدخل : ٣٧ . (٦) الكتاب : ١٣٩/٣ .

(٧) المختضب : ٧٧/٣ ، وانظر مقنى اللبيب : ٣٥٤ ، ٣٥٤ ، ٨٢٧ .

ج - المتعدى بنفسه والمتعدى بحرف الجر :

ذكر ابن هشام اللخمي أن عامة أهل الأندلس ، يقولون (بَعَثْتُ إليه بِغَلامٍ ، وَأَرْسَلْتُ إليه بِعَبْدٍ)^(١) ، هكذا بتعدى الفعلين (بعثَ ، وأرسل) بحرف الجر .

ثم ذكر أن الصواب تعديهما بدون حرف الجر ، فقال (والصواب : بَعَثْتُ إليه غلاماً ، وَأَرْسَلْتُ إليه عبداً ؛ لأن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه بَعَثَهُ وَأَرْسَلْتَهُ ، وفيما يَحْمَلُ بَعَثْتُ به ، وَأَرْسَلْتُ به)^(٢) .

وقد استشهد ابن هشام على ذلك بقوله تعالى - إخباراً عن بلقيس - ﴿وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾^(٣) ، وقال فيما يتصرف بنفسه ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(٤) .

ويفهم من هذا أن تعدى الفعل بحرف الجر أو بدونه مرتبط بدلالته ، فإن كان مما يحمل فهو متعد بحرف الجر ، مثل (مرسلة . . . بهدية) ، وإن كان مما يتصرف بنفسه فهو متعد بدون حرف الجر ، مثل (أرسلنا رسلنا) .

والظاهر أن عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجري كانوا لا يفرقون في المعنى بين ما يتصرف بنفسه أو ما يحمل ، ومن ثم طردوا الباب على وتيرة واحدة واستخدموا الفعل متعدياً بحرف الجر أياً ما كانت دلالة ، سواء أكان مما يتصرف بنفسه أم مما يحمل .

٤ - الدلالة :

ترتبط الشواهد القرآنية المتصلة بالدلالة عند ابن هشام اللخمي في كتابه بما يصور دلالة كلمة من الكلمات ، أو ما يوضح أن عامة أهل الأندلس قد عموما مجال الاستخدام أو ضيقوه ، وفيما يلي بيان ذلك .

(١) انظر المدخل : ٣٠٩ .

(٢) نفسه .

(٣) سورة النمل : الآية رقم ٣٥ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية رقم ٤٤ .

١ - دلالة بعض الكلمات :

* دلالة (أرسى) :

ذكر ابن هشام^(١) أن دلالة كلمة أرسى ، أى ثبتها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴾^(٢) ، أى أثبتها فى مرساها .

يقول ابن هشام (ويقولون : أَرَسَتِ السفينة ، وهى لغة قليلة ، حكاهما أبو عبيدة ، والأكثر : رَسَتْ رَسَوًا وَرَسَوًا ، إذا انتهى أسفلها إلى قرار الماء . وأَرَسَيْتُهَا أنست إذا فعلت بها ذلك . . . ولم تقل العرب مُرْس من أَرَسَى ، اكتفت بِرَأْس . فقول العامة : قاربُ مُرْس وسفينة مُرْسِيَّة خطأ ، والصواب : قارب راسٍ وسفينة راسِيَّة)^(٣) .

* دلالة (جُمِّلَ) :

ذكر ابن هشام أن عامة أهل الأندلس يقولون لحبل السفينة طَوْنَسٌ^(٤) ، ثم ذكر أن العرب تقول له : جُمِّلَ^(٥) ، بضم الجيم وتشديد الميم ، واستشهد على ذلك بقراءة ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾^(٦) .

* دلالة (عند) :

ذكر ابن هشام^(٧) أن (عند) فى قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾^(٨) بمعنى : من فضلك وإحسانك .

(١) انظر المدخل : ١٧٦ . (٢) سورة النازعات : الآية رقم ٣٢ .

(٣) المدخل : ١٣١ . (٤) انظر المدخل : ٢٥٧ . (٥) نفسه .

(٦) سورة الاعراف : الآية رقم ٤٠ ، وفى المصحف (الجمل) بفتح الجيم وتخفيف الميم .

(٧) انظر المدخل : ٢١٧ . (٨) سورة القصص : الآية رقم ٢٧ .

هكذا كان ابن هشام اللخمي يستشهد بآيات قرآنية على دلالة كلمة من الكلمات ، وربما أوضح دلالة بعض الحروف اعتماداً على ما ورد في القرآن ، ومن ذلك دلالة باء الجر .

* دلالة (باء الجر) :

أوضح ابن هشام اللخمي^(١) أن الباء جاءت بمعنى (عَنْ) في قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ ﴾^(٢) .

ثم ذكر أنها جاءت بمعنى (على)^(٣) في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ ﴾^(٤) .

يتضح مما سبق أن ابن هشام اللخمي كان يذكر دلالة بعض الكلمات والحروف ، ثم يستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم .

ب - تعميم الدلالة ،

تؤكد الشواهد القرآنية التي استشهد بها ابن هشام اللخمي على دلالة بعض الكلمات أنها تعرضت للتطور الدلالي ، وذلك بتعميم دلالتها بعد أن كانت مقيدة بدلالة بعينها .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجري كانوا يستخدمون بعض الألفاظ بدلالة أعمّ مما وضعت لها ، ويتضح ذلك فيما يلي :

(١) انظر المدخل : ٢٠٤ .
(٢) سورة الماعز : الآية رقم ١ .
(٣) انظر المدخل : ٢٠٤ .
(٤) سورة هود : الآية رقم ٤١ .

* تعميم دلالة (أرملة) :

ذهب ابن هشام إلى أن كلمة (أرملة) خاصة بالنساء^(١) اعتماداً على قوله تعالى : ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(٢) ، يقول ابن هشام اللخمي (ولمّا ذلك واقع بالنساء إذ كان الرجال هم المنفقون عليهن)^(٣) .

والظاهر أن عامة أهل الأندلس منذ القرن الرابع الهجري ، كانوا يستخدمون كلمة (أرملة) للزوجة التي مات زوجها أو المحتاجة ولم يمت زوجها ، فقد سجل لنا الزبيدي ت ٣٧٩ هـ هذه الظاهرة في كتابه لحن العامة^(٤) .

وهذا معناه أن تعميم دلالة كلمة أرملة عرفه الزبيدي في القرن الرابع الهجري ، وظل موجوداً حتى عصر ابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ أى في القرن السادس الهجري .

ومن هنا فقد ردّ ابن هشام اللخمي على الزبيدي تعميم دلالة (أرملة)^(٥) ، احتجاجاً بالشاهد القرآني الذي أورده ، ونقل عن الزبيدي أن عامة أهل الأندلس (يقولون : امرأة أرملة ونسوة أرامل للنساء التي هلك عنهن أزواجهن والأرملة المحتاجة)^(٦) .

ومذهب ابن هشام أنه كان ينبغي على الزبيدي أن لا يُدْخِلَ مثل هذا في لحن العامة لأنه قد قال به كثير من اللغويين ، وما حكاه بعض أهل اللغة لا تُلْحَنُ به العامة ، ونقل عن ابن الأعرابي ، أن الأرملة التي مات عنها زوجها .

(١) انظر المدخل : ٣٢ ، ٣٣ . (٢) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٣) للمدخل : ٣٣ . (٤) انظر لحن العامة للزبيدي : ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٥) انظر المدخل : ٣٢ ، ٣٣ ، وانظر الزبيدي : ١٨٢ ، ١٨٣ ، وتثقيف اللسان : ٢١٢ .

(٦) للمدخل : ٣٢ ، ٣٣ ، وانظر لحن العامة للزبيدي : ١٨٢ ، ١٨٣ ، وتثقيف اللسان : ٢١٢ .

ثم قال : وهذا الذى قاله ابن الاعرابى هو المعروف الذى يستعمله الناس قديماً وحديثاً . واشتقاق الأرملة من الإرمال ، وهو ذهاب الزاد ونفاده ، يقال أُرْمِلَ القومُ فهم مُرْمِلُونَ إذا فَنِيَ رادهم ، فَسُمِّيَتِ المرأةُ التى مات عنها زوجها أرملةً لما ينالها فى الأغلب من الحاجة وشدة الحال عند فقد زوجها المنفق عليها والقائم بأمرها ، وقد يُسمَّى الرجل المحتاج أرملاً على وجه التشبيه بالمرأة الأرملة فى الفقر وضعف الحال^(١) .

* تعميم دلالة (بُور) :

ذكر ابن هشام اللخمي^(٢) أن كلمة (بُور) هكذا بضم الباء تكون بمعنى الهلاك ، ثم نقل عن أهل الأندلس أنهم يقولون للأرض التى لم تزرع بُور ، بضم الباء .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس كانوا يستخدمون كلمة (بُور) لكل ما تعرض للهلاك ، وقد أطلقوا الكلمة على الأرض غير المزروعة باعتبار أنها تكون هالكة ، وهذا معناه أنهم كانوا يعممون دلالة كلمة (بُور) .

يقول ابن هشام (وأما قول الناس للأرض التى لم تزرع (بُور) بضم الباء ، فغير صحيح ، والصواب (بُور) بفتحها)^(٣) .

* تعميم دلالة (لُورث) :

ذكر ابن هشام اللخمي^(٤) أن (الْفَرْثَ) ، يكون فى الكَرِشِ^(٥) ، اعتماداً على قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾^(٦) .

(١) المدخل : ٢٢ ، وما بعدها .

(٢) المدخل : ٢٥١ ، وانظر تنقيف اللسان لابن مكى : ١٩٢ .

(٣) الملخ : ٢٥١ ، وانظر اللسان (ب و ر) .

(٤) انظر المدخل : ٣٠٢ .

(٥) انظر لسان العرب (ف ر ث) .

(٦) سورة النحل : الآية رقم ٦٦ .

ثم نقل عن عامة أهل الأندلس أنهم كانوا يقولون أيضاً لما يخرج من الكَرش : الْفَرْتُ .

وهذا مغناه أن عامة أهل الأندلس كانوا يعممون دلالة هذه الكلمة فيطلقونها لما في الكرش ، وما يخرج منه ، يقول اللخمى (ويقولون لما يخرج من الكَرش : الْفَرْتُ ، وهو لا يسمى فَرْتاً إلا مادام في الكرش ، . . . فإذا لفظ منها سمى السَّرَجِين)^(١) .

ومعنى هذا أن الكلمة تعرضت للتطور الدلالي ، وذلك بتعميم دلالتها عند عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجرى .

ج - تخصيص الدلالة :

أوضحت الشواهد القرآنية التى أوردها ابن هشام اللخمى فى كتابه أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانوا يخصصون دلالة بعض الكلمات ، ويتضح ذلك فيما يلى :

* تخصيص دلالة (مِثْقَال) :

ذكر اللخمى أن المِثْقَال : رنة الشيء الذى يشغل به^(٢) اعتماداً على قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾^(٣) .

وقد نقل ابن هشام اللخمى عن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى أنهم يستخدمون الكلمة للدلالة على الدينار ، يقول (ويقولون للدينار من الذهب مِثْقَال ، وإنما المِثْقَال رنة الشيء الذى يشغل به . . . ، وثِقْلُ الشيء وزنه)^(٤) .

(١) المدخل : ٢ - ٣ . (٢) انظر المدخل : ٣٣٩ ، وراجع لحن العامة للزبيدى : ١٧٤ .

(٣) سورة الزلزلة : الآية رقم ٧ . (٤) المدخل : ٣٣٩ .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانت تستخدم هذه الكلمة وقد خصصت دلالتها بالدينار من الذهب ، بعد أن كانت دلالتها عامة لزنة الشيء الذى يثقل به .

* تخصيص دلالة (الحِلْمُ) :

ذكر ابن هشام أن عامة أهل الأندلس لا يعرفون للحِلْم إلا الصفح والتغاضى^(١) .

ثم ذكر أن الحليم يكون الصَّفُوحَ ، ويكون العَاقِلَ ، وإن كان متصفاً لنفسه غير صَفُوحَ ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾^(٢) .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى خصصوا دلالة الحِلْم بالصفح والتغاضى ، مع أن دلالة الكلمة أعم من ذلك .

* تخصيص دلالة (الآيَمُ) :

نقل ابن هشام للخمى عن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى أنهم يقولون : الآيَمُ لمن مات عنها زوجها أو طلقها^(٣) .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس خصصوا دلالة هذه الكلمة بمن مات زوجها أو طلقها .

ثم ذكر ابن هشام أن الأمر ليس كذلك (إنما الآيَمُ التى لا روج لها كانت بكراً أو ثيباً)^(٤) ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَ مِنْكُمْ ﴾^(٥) .

(١) انظر المدخل : ٢٣٩ ، . وراجع تنقيف اللسان لابن مكى : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) سورة الطور : الآية رقم ٣٢ .

(٣) انظر المدخل : ٢٢٦ ، وراجع الزبيدى : ٢٠٧ ، وتنقيف اللسان : ٢٦٩ .

(٤) المدخل : ٢٢٦ . (٥) سورة النور : الآية رقم ٣٢ .

ثم ذكر انه يقال للرجل ايضاً (أَيْمٌ) إذا لم تكن له روجه^(١) .

ومعنى هذا أن دلالة الكلمة أعمّ مما كان يستخدمه أهل الأندلس في القرن السادس الهجرى ، فهى تستخدم للمرأة التى لا روج لها بكرة كانت أو ثيباً ، وتستخدم للرجل إذا لم تكن له روجه . ولكن عامة أهل الأندلس خصوها فى القرن السادس الهجرى بالمرأة التى مات زوجها أو طلقها .

* تخصيص دلالة (قوارير) :

ذكر ابن هشام اللخمي أن عامة أهل الأندلس (يقولون لظرف صغير من رجاج يُجعلُ فيه الطيب : قارورة ، ويقال فيه ايضاً : قَارُورٌ بغير تاء التانيث)^(٢) .

ثم ذكر أن كلَّ ما قرَّ فيه الشرابُ وغيره فهو قَارُورٌ ، سواء كان من رجاج أو غيره ، وقيل لا يكون إلا من رجاج خاصة^(٣) .

ثم نقل عن بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ ﴾^(٤) ، أنها أوان يقرَّ فيها الشراب ، وقيل إنها أوان من فضة فى صفاء القوارير^(٥) ، ثم نقل عن ابن دريد قوله : (وهذا أعجب التفسيرين إلى)^(٦) .

ويفهم من هذا أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى قد خصصوا دلالة كلمة قوارير بالظرف الصغير من الزجاج فقط ، وإن كانت دلالة الكلمة أعمّ من ذلك ، فهى تشمل كل ما قرَّ فيه الشراب سواء كان من رجاج أو غيره .

(٢) للدخل : ٢٨٩ .

(١) انظر المدخل : ٢٢٦ .

(٤) سورة الإنسان : الآية رقم ١٦ .

(٣) نفسه .

(٦) نفسه .

(٥) انظر المدخل : ٢٨٩ .

ثالثاً: أهمية الشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمي :

تكمن أهمية الشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمي فى كونه معياراً للفصاحة ، فقد كان ابن هشام يذكر استخدامات أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، ثم يصوّب هذا الاستخدام أو ذاك اعتماداً على ما ورد فى القرآن الكريم ، ومن هنا فلإن معيار الفصاحة عند ابن هشام اللخمي يرتبط بالشاهد القرآنى ارتباطاً وثيقاً .

ونستطيع من خلال الشاهد القرآنى ، الذى اتخذ منه ابن هشام اللخمي معياراً للفصاحة ، أن نعرف شيئاً عن خصائص العربية عند أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل فى المبحث الثانى المتصل بدراسة القضايا اللغوية ، ويمكن أن نشير هنا إلى بعض الأمثلة ، ومن ذلك مثلاً :

* قولهم : مِدَّةٌ بدلاً من مائدة^(١) ، كما فى قوله تعالى : ﴿ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(٢) .

* قولهم : المُجْدَى بإدغام الدال فى التاء ، وأصلها المُجْتَدَى ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ لَأَيُّهْدِي ﴾^(٣) بإدغام التاء فى الدال .

* قولهم : تَرْكَةً بالكاف ، والصواب بالقاف تَرْقُوة^(٤) ، كما فى قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾^(٥) .

* قولهم : باعوضة ، بالالف ، والصواب بدونها^(٦) ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾^(٧) .

(١) انظر المدخل : ١٠٢ . (٢) سورة المائدة : الآية رقم ١١٤ .

(٣) سورة يونس : الآية رقم ٣٥ . (٤) انظر المدخل : ٢٥٥ .

(٥) سورة القيامة : الآية رقم ٢٦ . (٦) انظر المدخل : ١٩٦ .

(٧) سورة البقرة : الآية رقم ٢٦ .

* قولهم : نَكَسَ ، بالتشديد ، بدلاً من نَكَسَ بالتخفيف^(١) ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ ﴾^(٢) .

* قولهم : النَّوَى ، بكسر النون ، بدلاً من فتحها^(٣) ، كما فى قوله تعالى ﴿ فَالِقَ الْهَبِّ وَالنَّوَى ﴾^(٤) .

* قولهم : مَعَزَل ، بفتح الزاى ، بدلاً من كسرها^(٥) ، كما فى قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعَزَلٍ ﴾^(٦) .

* قولهم : سُنْبَلَة ، بفتح الباء ، بدلاً من ضمها^(٧) ، كما فى قوله تعالى ﴿ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾^(٨) .

* قولهم : عَرْجُون ، بفتح العين ، بدلاً من ضمها^(٩) ، كما فى قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾^(١٠) .

* قولهم : عَصَاتِي ، بدلاً من (عَصَايَ)^(١١) ، كما فى قوله تعالى ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾^(١٢) .

وغير ذلك كثير مما اوردناه فى ثنايا البحث ، ويكفى هذه الامثلة على سبيل الاستشهاد والتثيل لا الحصر .

وعيل ابن هشام اللخمي إلى الاستشهاد بالقراءات القرآنية ، وقد كان ينسب بعض القراءات إلى أصحابها ، ومن ذلك مثلاً استشهاده بقراءة

(٢) سورة السجدة : الآية رقم ١٢ .

(٤) سورة الأنعام : الآية رقم ٩٥ .

(٦) سورة هود : الآية رقم ٤٢ .

(٨) سورة البقرة : الآية رقم ٢٦١ .

(١٠) سورة يس : الآية رقم ٣٩ .

(١٢) سورة طه : الآية رقم ١٨ .

(١) انظر المدخل : ٢١٢ .

(٣) انظر المدخل : ٢٨٨ .

(٥) انظر المدخل : ٢٠٢ .

(٧) انظر المدخل : ٣٠٨ .

(٩) انظر المدخل : ٢٩٥ .

(١١) انظر المدخل : ١٩٤ ، وراجع تلخيص اللسان : ١٠١ .

ورش^(١) ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾^(٢) ، على أن ما ذكره ابن مكى فى تثقيف اللسان من قول العامة واسيتك ، هو القياس وغير ممتنع أن يأتى بالواو كما حكاه الاخفش^(٣) .

ومن ذلك أيضاً القراءة التى نسبها للحسن^(٤) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاءً﴾^(٥) ، بالمد .

ولكن بعض القراءات وردت غير منسوبة إلى أصحابها^(٦) ، ومن ذلك قراءة ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَ﴾^(٧) ، وقد أمكن نسبة هذه القراءة إلى أبى جعفر^(٨) .

وقراءة ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ بتشديد الشين^(٩) ، فقد أوردها اللخمي دون نسبة^(١٠) ، ولكنها لمعاذ بن جبل^(١١) ، وقد قرأها على المنبر^(١٢) .

وقد ينسب ابن هشام بعض القراءات بعبارة (وقد قرأت القراء)^(١٣) ومن ذلك ما ذكره من أن ميم كلمة (مُلْك) يجوز فيها فتح الميم ، وكسرها ، وضمها^(١٤) . وقد استشهد على ذلك بقراءة القراء ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾^(١٥) بضم الميم وكسرها وفتحها . وقد أثبت البحث أن الفتح قراءة نافع وعاصم وأبى جعفر ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بضمها ، وقرأ الباقر بكسرها^(١٦) .

-
- | | |
|-----------------------------------|---------------------------------------------|
| (١) انظر المدخل : ٨٥ . | (٢) سورة البقرة : الآية رقم ٢٢٥ . |
| (٣) انظر المدخل : ٨٥ . | (٤) انظر المدخل : ٣٠٩ . |
| (٥) سورة النساء : الآية رقم ٩٢ . | (٦) انظر المدخل : ١٠٢ . |
| (٧) سورة يوسف : الآية رقم ٣١ . | (٨) انظر مهذب القراءات العشر : ٣٣٦/٩ . |
| (٩) سورة غافر : الآية رقم ٢٩ . | (١٠) انظر المدخل : ٣٦٣ . |
| (١١) انظر شواذ ابن خالويه : ١٣٢ . | (١٢) انظر المحتسب : ٢٤١/٢ . |
| (١٣) انظر المدخل : ١٣٩ . | (١٤) نفسه . |
| (١٥) سورة طه : الآية رقم ٨٧ . | (١٦) انظر المهذب فى القراءات العشر : ٢٥/٢ . |

وثمة قراءات أوردها ابن هشام اللخمي منسوبة لبعض القراء ، ومن ذلك قوله : وقد قرأ بعض القراء^(١) ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾^(٢) ، فقد استشهد بهذه القراءة على جواز ضم الراء وفتحها من كلمة (سُرُر) .

ويحتج ابن هشام اللخمي بالقراءات الشاذة ، ومن ذلك مثلاً ما ذكره من أن الناس يقولون (بَحْرٌ غَمِيقٌ ، ووادٌ غَمِيقٌ والصواب عميق بالعين)^(٣) ، ثم ذكر أنه قد قرئ في الشاذ ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ غَمِيقٍ ﴾^(٤) .

ومثل ذلك قراءة ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾^(٥) ، فقد عدها ابن خالويه شاذة^(٦) ، وكان ابن هشام اللخمي قد ذكر أن أهل الأندلس يقولون : الهندبات تخرجن ، بالجمع بين تاء المضارعة ونون النسوة ، ثم ذكر أن الصواب يخرجن ، بالياء لأنه لا يجمع بين تاء المضارعة والنون^(٧) ، واحتج على ذلك بالقراءة المذكورة .

ويتخذ ابن هشام اللخمي من قراءة بعض القراء مدخلاً لتأييد ما يستخدمه عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجري .

ومن ذلك مثلاً ما ذكره حين ردّ على ابن مكى الصقلي ما حكاه من أن الناس يقولون في التاريخ : وذلك في ربيع الأول بحذف التنوين من ربيع ، يجعلونه على الإضافة ، والصواب : في ربيع الأول ، على النعت^(٨) .

(١) انظر المدخل : ٧٥ . (٢) سورة الواقعة : الآية رقم ١٥ .

(٣) انظر المدخل : ١٨٨ .

(٤) سورة الحج : الآية رقم ٢٧ ، وانظر المدخل : ١٨٨ ، وتثقيف اللسان : ٧٠ .

(٥) سورة مريم : الآية رقم ٩٠ . (٦) انظر شواذ القراءات : ٨٥ .

(٧) انظر المدخل : ٢٥٣ .

(٨) انظر المدخل : ٩٥ ، وراجع تثقيف اللسان : ٢٧٠ .

وقد رأى ابن هشام أن حذف التنوين ليس بخطأ لكونه مسموعاً فاشياً في كثير من الكلام^(١) ، واستشهد على ذلك بقراءة بعض القراء ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(٢) بحذف التنوين من (أحد) لالتقاء السكانيين .

لقد كان ابن هشام اللخمي يكتفى بذكر موضع الشاهد من الآية ، دون أن يذكر نص الآية كاملة ، وفي بعض الأحيان كان يتخذ من الشاهد القرآني مدخلاً للرد على كل من الزبيدي ت ٣٧٩ هـ ، في كتابة لحسن العلامة وابن مكى الصقى ت ٥٠١ هـ ، في كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان .

وبعد . . . فإن للشاهد القرآني عند ابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ أهمية كبرى في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم السبيان) ، فقد كان معياراً لتحديد فصاحة الكلمة ، ومن ثم عرفنا شيئاً عن لغة أهل الأندلس في القرن السادس الهجري في ضوء استشهاد ابن هشام اللخمي بالقرآن الكريم ، ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة التي اتخذت من الشاهد القرآني عند ابن هشام اللخمي موضوعاً لها .

(١) انظر المدخل : ٩٥ .

(٢) سورة الإخلاص : الآية ١ ، ٢ .

رابعاً: المصادر والمراجع

- ١ - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - النهضة العربية ١٩٦١ م .
- فى اللهجات العربية - الأنجلو ٦٥ .
- ٢ - أحمد علم الدين الجندى - اللهجات العربية فى التراث ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٣ - أحمد مختار عمر - دراسة الصوت اللغوى - القاهرة ١٩٧٦ م .
- علم الدلالة - الكويت ١٩٨٢ م .
- ٤ - برجشتراسر - التطور النحوى للغة العربية ، تعليق رمضان عبد التواب ، الخانجي ، ١٩٨٢ م .
- ٥ - أبو البركات بن الأنبارى - الإنصاف فى مسائل الخلاف - تحقيق محبى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٨٢ م .
- البيان فى غريب إعراب القرآن - تحقيق طه عبد الحميد - القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٦ - أبو بكر الزبيدى - طبقات النحويين والبلغويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف ١٩٧٣ م .
- لحن العامة - تحقيق عبد العزيز مطر - دار المعارف ١٩٦٧ .
- ٧ - تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ١٩٧٩ م .
- ٨ - ثعلب - الفصيح - تحقيق عاطف مذكور - دار المعارف - ١٩٨٣ م .
- مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف

- ٩ - ابن الجزرى - النشر فى القراءات العشر ، القاهرة ، د.ت .
- ١٠ - جلال الدين السيوطى - المزهرفى علوم اللغة - مطبعة السعادة ، ١٣٢٥هـ .
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الحلبي ١٩٦٤ م .
- ١١ - ابن جنى - الخصائص - تحقيق محمد على النجار - بيروت ، د.ت .
- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الشؤون الإسلامية ١٩٦٩ م .
- المذكر والمؤنث ، تحقيق طارق نجم عبد الله ، جدة ، ١٩٨٥ م .
- ١٢ - ابن خالويه - مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع - نشره برجستراسر - القاهرة د. ت .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن - القاهرة د. ت .
- ١٣ - ابن الدهان - الهجاء والخط ، تحقيق فايز فارس - بيروت ٨٧ .
- ١٤ - الزجاجى - الجمل فى النحو - تحقيق على توفيق أحمد ، بيروت ١٩٨٥ م .
- ١٥ - ابن السراج - الاشتقاق - تحقيق محمد صالح التكريتى - بغداد ١٩٧٣ م .
- الأصول - تحقيق عبد الحسين الفتلى - بيروت ١٩٨٥ م .
- الخط - تحقيق عبد الحسين الفتلى - مجلة المورد - المجلد الخامس - العدد الثالث سنة ١٩٧٦ م ، مسن ص ١٠٣ : ١٣٤ .

- ١٦- ابن السكيت - الإبدال - تحقيق محمد شرف - مجمع اللغة العربية .
- ١٧- سيبويه - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٧ م .
- ١٨- ابن النسيب البطلوسى - الاقتضاب شرح أدب الكتاب ، تحقيق - مصطفى السقا وآخرين - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١ م .
- ١٩- شوقى ضيف - المدارس النحوية ، دار المعارف ١٩٦٨ م .
- ٢٠- أبو الطيب اللغوى - مراتب النحويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٧٤ م .
- ٢١- عبد العزيز الأهوانى - ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي فى لحن العامة - مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث سنة ١٩٥٧ م ، ص ١٢٧ : ١٥٧ ، ص ٢٨٥ : ٣٢١ .
- ٢٢- عبد العزيز مطر - لحن العامة فى ضوء الدراسات السلفية الحديثة - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢٣- أبو على الفارسى - الحجة فى علل القراءات السبع - تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣ م .
- ٢٤- الفراء - معانى القرآن - تحقيق أحمد يوسف وآخرين - الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م .
- المقصور والممدود - تحقيق عبد العزيز الميمنى - دار المعارف ١٩٦٧ م .
- ٢٥- عبد الكريم العوفى - ابن هشام اللخمي وآثاره مع العناية بكتابه شرح الفصيح - مجلة اللسان العربى العدد ٣٨ سنة ١٩٩٤ م ، ص ١٠٢ : ١١٢ .

- ٢٦- الكسائى - ما تلحن فيه العوام - تحقيق ومضام عبد التواب - الخالجي ٨٢ .
- ٢٧- كمال بشر - علم اللغة العام (الأصوات العربية) القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٢٨- المبرد - المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق نصيحة ، الشؤون الإسلامية ١٩٦٣ م .
- الكامل فى اللغة والأدب - بيروت د. ت. .
- ٢٩- محمد سالم محسن - مهذب القراءات العشر وتوجيهها من طريق النشر - السعودية ٨٦ .
- ٣٠- محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ١٩٨٦ م .
- ٣١- محمود حجازى - علم اللغة العربية - القاهرة د. ت. .
- مدخل إلى علم اللغة - القاهرة ، ١٩٨٢ .
- ٣٢- محمود السعران - علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، القاهرة ١٩٦٢ .
- ٣٣- ابن مكى الصقلى - تنقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق عبد العزيز مطر - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧ .
- ٣٤- ابن هشام الأنصارى - مغنى اللبيب عن كتب الأعراب - تحقيق مازن المبارك وآخرين - بيروت ١٩٧٩ م .
- ٣٥- ابن هشام اللخمي - المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان - تحقيق خوسيه بيريث لاثارو - مدريد ١٩٩٢ م .
- ٣٦- ابن يعيش - شرح المفصل - القاهرة ، د. ت. .

الفاظ المأكّل والمشرب في العربية الأندلسية دراسة في نفع الطيب للمقرئ^(١)

بقلم الدكتور
رجب عبد الجواد

مقدمة

موضوع هذا البحث : الفاظ المأكّل والمشرب في العربية الأندلسية ، دراسة في نفع الطيب للمقرئ . ويهدف هذا البحث إلى : كشف النقاب عن حضارة العرب في الأندلس من خلال أهم جانب من جوانب هذه الحضارة وهو المأكّل والمشرب ، والكشف عن استعمالات اللغة عند الأندلسيين لمعرفة إلى أى مدى كان للأندلسيين لغتهم الخاصة بهم . فلقد حمل الأندلسيون الألفاظ العربية دلالات خاصة لم تكن معروفة عند المشارقة ، كما يهدف البحث إلى :

الاهتمام بجانب هام من الجوانب التى لا تزال بكرة فى الدراسات الأندلسية ؛ وهو الجانب اللغوى عند الأندلسيين من خلال أهم كتاب يؤرخ لهم ؛ وهو كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ؛ لأحمد بن محمد المقرئ التلمسانى ، المتوفى فى ١٠٤١هـ . ويهدف هذا البحث إلى أن يكون لبنة فى بناء صرح شامخ يسعى صاحبه إلى تحقيقه ؛ وهو صنع معجم لغوى تاريخى للحضارة الأندلسية فى شتى مناحيها .

(١) بحث أعد بمناسبة المؤتمر الرابع للحضارة الأندلسية لتكريم العلامة الأسباني «اميليو جارتيا جوميث» فى الفترة من ٣ - ٦ مارس ١٩٩٨ م . كلية الآداب - جامعة القاهرة .

أما عن مادة البحث فهي منحصرة فى كتاب نفح الطيب للمقرى ، وقد قامت على هذا الكتاب ثلاثة تحقيقات : تحقيق قام به الشيخ محمد محبى الدين عبد الحميد ؛ وقد أعرضنا عنه ؛ لأن الرجل لم تكن له اهتمامات بالأندلس ؛ ولم يسلك مسالكها من قبل ، ولذا جاء تحقيقه غير دقيق فى ضبط المدن والبلدان والأعلام الأندلسية . وتحقيق قام به الدكتور إحسان عباس ، وهو تحقيق جيد ضبط فيه المدن والبلدان والأعلام الأندلسية ضبطاً دقيقاً ، وقد عُرِف عنه أنه له باع فى الدراسات الأندلسية من قبل . وتحقيق قام به اثنان من الأساتذة بالجامعة اللبنانية أحدهما تخصص فى اللغة الأسبانية وثنائهما تخصص فى الدراسات الأندلسية ؛ وهما د. مريم قاسم طويل ود. يوسف على طويل ، وهو التحقيق الذى عولنا عليه مع مقارنته بتحقيق د. إحسان عباس ، ويرجع السبب فى تعويلنا على هذا التحقيق الأخير إلى أنه استفاد من التحقيقين السابقين ، ولذا كان التعويل عليه يعنى التعويل أيضاً على التحقيقين السابقين .

وهذا البحث يتناول العربية الأندلسية فى مستوى لغة التأليف ، كما يتضح من خلال المصادر التى اعتمد عليها ، وهو بهذا يحاول أن يكون لبنة تكمل الجهود اللغوية المتميزة التى ارتبطت بعالم اللغة الأسبانية كوريسته فى دراساته المتميزة عن العربية الأندلسية فى مستوى اللهجات^(٥) .

أما عن منهج البحث فهو المنهج الوصفى بهدف بناء لبنة فى تاريخ مفردات اللغة العربية على أساس النصوص اللغوية الموثقة . ومن خلال هذا المنهج سوف أقوم بجمع الألفاظ المتعلقة بالمأكل والمشرب الواردة فى كتاب نفح الطيب ، وتوزيعها فى مجالاتها الدلالية ، ثم إجراء دراسة دلالية تحليلية لهذه الألفاظ للوصول إلى المعنى الدقيق لكل لفظ من خلال السياق الذى وردت

(٥) انظر : Corriente. F. : Grammatical sketch of the Spanish Arabic dialect bundle : with a Prologue by : E. Garcia Gomez, Madrid 1977.

فيه ؛ لأن السياق هو الذى يحدد معنى اللفظة تحديداً دقيقاً ، فاللفظة خارج السياق لها معنى عام متعدد ، ولكنها فى سياقها لها معنى واحد محدد .

وقد وزعت هذا البحث على قسمين : تناولت فى القسم الأول الفاظ المأكّل ؛ وقد فرعته إلى ستة مباحث : المبحث الأول : الفاظ الفاكهة ، والمبحث الثانى : الفاظ الحلوى ، والمبحث الثالث : الفاظ الطبخ ، والمبحث الرابع : الفاظ اللحوم والأسماك والبيض ، والمبحث الخامس : الفاظ البقول والتوابل ، والمبحث السادس : الفاظ الخبز والإدام .

أما القسم الثانى فيختص بالفاظ المشرب ؛ وقد فرعته إلى مبحثين : تناولت فى المبحث الأول : ألفاظ الخمر وما يتعلق بها . وتناولت فى المبحث الثانى : ألفاظ المشروبات الأخرى .

أما عن الجهود السابقة فى هذا المجال ؛ فهناك كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين لمؤلف مجهول ، وقد نشره وحققه أمبروزيو أويشى ميراندا ضمن صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلدان التاسع والعاشر ، فى سنتى ١٩٦١ - ١٩٦٢ م ، وهناك كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلي ، وقد نشره وترجمه إلى الأسبانية خوسيه أنتوينو بانكيري فى طبعة قشبية جمعت بين النص العربى والأسبانى فى مجلدين كبيرين ، فى سنة ١٨٠٢ م . وهناك كتاب الفلاحة أيضاً لابن بصال ، وقد نشره وترجمه إلى الأسبانية اثنان أحدهما أستاذ بجامعة برشلونة وهو خوسى ماريه بيكروسا ، والثانى كان سكرتيراً عاماً لوزارة التربية والثقافة بالمغرب وهو محمد عزميان ، وطبع هذا الكتاب بمعهد مولاي الحسن بستطوان سنة ١٩٥٥ م ، وهناك كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر لبابة

الأندلسي ، وقد قام بنشره وتحقيقه العلامة الأندلسي د. محمود على مكى فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الرابع ، سنة ١٩٥٦ م .. وليس هناك أحد تناول ألفاظ المأكّل والمشرب بدراسة لغوية قبل هذا البحث .

القسم الأول : ألفاظ المأكّل

تتضمن ألفاظ المأكّل ستة مباحث : المبحث الأول ألفاظ الفاكهة ، والمبحث الثانى ألفاظ الحلوى ، والمبحث الثالث ألفاظ الطبخ ، والمبحث الرابع ألفاظ اللحوم والأسماك والتوابل ، والمبحث الخامس ألفاظ البقول والتوابل ، والمبحث السادس ألفاظ الخبز والإدام .

أولاً : ألفاظ الفاكهة

مجموع الألفاظ الخاصة بالفاكهة سبعة وثلاثون لفظاً ، هى : الأترج ، الإجاص ، الأرزة ، الباكورة ، البطيخ ، البندق ، التفاح ، التمر ، التوت ، التين ، الجوز ، حب الملوك ، الخوخ ، الخيار ، الرطب ، الرمان ، الزبيب ، الزنبوع ، السفرجل ، السفري ، شاه بلوط ، الشمام ، العصير ، العنّاب ، العنب ، عيون البقر ، الفرصاد ، الفستق ، القراصيا ، القسطل ، الكروم ، البلخ ، اللوز ، الليم ، المرسى ، الموز ، التارنج .

الأترج : مُعَرَّبٌ تُرْنِجٌ بالفارسية ، وهو شجر مرتفع معمّر ناعم الأغصان والورق والثمر ، ثمره كالليمون الكبار ، ذهبى اللون ، ذكى الرائحة ، حامض الماء ، يتخذ منه رُبٌّ ، وله بزر شبيه ببزر الكمثرى ، واحده أترجة^(١) .

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، دار صادر ، بيروت ، د. ت. (مصورة عن المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ) ، ١٢/٢ ، المعجم الكبير ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠ ، ٧٣/١ .

ويعرف الأترج عند الأندلسيين بالتفاح اليماني ، ومنه حلو ومنه حامض والفرق بين الأترج الحلو والأترج الحامض أن عين الأترج الحامض أخضر مشوب بسواد ، والأترج الحلو يضرب عينه إلى الصفرة^(١) .

والأترج عند الأندلسيين أنواع : منه كبير محدد يعرف بالقرطبي ، ومدحرج كبير أملس يعرف بالقسطي ، ومدحرج في قدر الباذنجان حامض وشحمه كذلك يعرف بالأترج الصيني ، ومنه النارنج المستدير الأحمر وهو معلوم عندهم ، ومنه نوع آخر ذهبي في قدر الأترج مدحرج محدد فيه شبه حبات ، ومنه اللامون (الليمون) ؛ وهو مدحرج في قدر الحنظل وأكبر وهو يجدر ولونه أصفر ، ومنه نوع آخر أملس القشر في قدر بيض الدجاج ولونه أصفر ، ونوع آخر من البستونا أكبر من اللامون محدد الطرف يشوبه حمرة أحط من حمرة النارنج^(٢) . ولقد كان الأترج من الفواكه المفضلة عند الأندلسيين ، وقد قال فيه شعراهم كثيراً من الشعر ، وقد أورد المقرئ أبياتا لابن الأحمر في وصفه ؛ ومنها :

وبها من الأترجُ شمس أطلعتْ من كل شطر للعيون هلالا
ويحفُّها ورق يسروق كأنه ورق النضار وقد أجاد نبالا^(٣)

ويذكر المقرئ أن أبا عبد الله محمد بن رشيق القلعي الفرناطي دعا بعض أصحابه إلى أنس بقوله :

(١) كتاب الفلاحة لابن بصال ، نشر وترجمة خوسى بيكرسا ومحمد عزيان ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ، ١٩٥٥ م ، ص ٨١ .

(٢) كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلي ، نشر وترجمة خوسيه أنتوينو بانكيري ، مدريد ، ١٨٠٢ م ، ٣١٤ - ٣١٥ .

(٣) نفع الطيب للمقرئ ، تحقيق مريم قاسم طويل ويوسف على طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٩٥ م ، ٧٨/١٠ .

سیدی عندی اترجہ — سج و نارنج وراح^(۱)

الإجاص : جنس أشجار مثمرة من فصيلة الورديات تسمى البرقوق في مصر والخرق في الشام ، ويطلقها عامة أهل الشام على الكمثرى ، ويعرف في المغرب بتعيون البقر ، وشجره يطول إلى ثلاثة أذرع وربما زاد ، ناعم الورق سبط العود ، قليل الاحتمال للعنف ، قشر عوده إلى المارة كورقه الذي يشبه ورق التفاح ، وثمره يكون أبيض وأسود واحمر ، كبيراً وصغيراً^(۲) .

وأهل الأندلس يسمون الإجاص عيون البقر، وهو صنفان : أسود وأبيض ؛ فالأسود هو إجاص على الحقيقة ، والأبيض هو المعروف بالشاهلوج ، أى سلطان الإجاص^(۳) .

والنوع الأسود يُعرف عند الأندلسيين بالطرى ؛ ومن أسمائه : القرمسى والسيحي^(۴) .

وقد يخطئ بعض العامة في الأندلس ويطلق الإجاص على الكمثرى ، وإنما الإجاص عين البقر ، والثمرة التى يطلقون عليها الإجاص إنما اسمها الكمثرى^(۵) . ويقول أبو بكر الزبيدي : أما الإجاص فهو ضرب من المشمش^(۶) . وأشهر المدن الأندلسية المعروفة بالإجاص سرقسطة ، ويحدثنا المقرئ أن

(۱) نفع الطيب ۷/ ۷۷ .

(۲) تذكرة أولى الألباب ، داود الأنطاكي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، د. ت ، ۳۸/ ۱ ، المعجم الكبير ۱۰۴/ ۱ - ۱۰۵ .

(۳) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ابن البيطار ، مطبعة بولاق ، القاهرة ۱۲۹۱ هـ ، ۱۳/ ۱ .

(۴) كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلي ۱/ ۳۴۲ .

(۵) الجمانة في إزالة السرطانة ، مؤلف مجهول ، تحقيق د. حسن حسنى عبد الوهاب ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ۱۹۵۳ م ، ص ۳۶ .

(۶) لحن العامة ، الزبيدي ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، دار المعارف ، ۱۹۸۱ م ، ص ۱۸۰ .

الإجاصة الواحدة فى سرقسطة قد تيبس وتظل أربعة أعوام دون أن تتغير أو تفسد ؛ وليس فى بلاد الأندلس أكثر فاكهة من سرقسطة ولا أطيب طعماً ولا أكبر جرمًا ، والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية أميال^(١) .

ولفظه الإجاص معربة عن الفارسية ، واللغويون العرب يقررون أن الجيم والصاد لا تجتمعان فى كلمة عربية .

الاززجة : لا يعرف المشرقيون هذه اللفظة بالمعنى المتعارف عليه عند الأندلسيين ، فهم تعنى عندهم : ضرباً من الكمثرى فى قدر حبة العنب ، يجمع مع حلاوة الطعم ذكاء الرائحة ، إذا دخل داراً عُرف برائحته ، وأشهر المدن الأندلسية المعروفة به هى مدينة بلنسية بشرق الأندلس^(٢) . والعامية فى الأندلس يسمون الكمثرى إجاصاً ، وهى عندهم نوعان : جبلى وبستانى ؛ ومنها السكرى والذكرى والقرعى والسراجى وغير ذلك ، ومن الكمثرى حلو ومنه مرّ ، ومنه قليل الماء وكثير الماء ، ومنه كبير ومتوسط وصغير^(٣) .

الباكورة : فى التاج : الباكور : المعجل المجهى والإدراك من كل شئ وبهاء الأنثى ؛ أى الباكورة ، وباكورة الثمرة منه ، ومن المجاز : بكّر الفاكهة : أكل باكورتها ؛ وهى أول ما يدرك منها ، وكذا ابتكر الرجل أكل باكورة الفاكهة ، ومن المجاز : الباكورة النخل التى تدرك أولاً^(٤) .

وفى المعجم الكبير : الباكور من كل شئ : المبكّر ، السريع الإدراك قبل موعده ؛ يقال : مطر باكور ، ونخل باكور . والباكورة : أول كل شئ ،

(١) فتح الطيب ١/ ١٩١ .

(٢) فتح الطيب ١/ ١٧٥ .

(٣) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٦٠ .

(٤) تاج العروس ٣/ ٥٧ .

والباكورة من النخل والفاكهة : ما عجل الإثمار ، وأول ما يدرك منها ، يقال : أكل باكورة الفاكهة والجمع بواكير^(١) .

وهذه اللفظة تعنى عند الأندلسيين أول ما يطيب من الثمار والبقول ؛ ويتضح هذا المعنى من خلال قول المقرئ : « كان ابن شهيد يوماً مع جماعة من الأدباء عند القاضي ابن ذكوان ، فجئ بباكورة باقلا . . . »^(٢) . فالباكورة هنا تعنى ما نضج من الفول الأخضر ؛ وفى موضع آخر يقول : « وأهدى أبو الوليد ابن زيدون باكورة تفاح إلى المعتضد والد المعتمد^(٣) » فالباكورة هنا تعنى أول ما نضج من التفاح . وفى موضع ثالث جاءت لفظة الباكور مفردة دون إضافة فى شعر للسان الدين بن الخطيب ؛ وقد أهده أحد أصدقائه باكوراً :

أهديتى الباكور ؛ وهى بشارة بباكر الفتح الذى يُستقبل^(٤)

والباكور هنا تعنى عند الأندلسيين ما بكر من التين ؛ وقد أخذ ابن هشام اللخمي عليهم ذلك فى قوله : ويقولون باكور لما بكر من التين ، والباكور عند العرب كل ما بكر من الثمر كله^(٥) .

البُكَيْتِيحُ : نبات حولى مدّاد ، ينبت فى مصر والبلاد الحارة المعتدلة ، وهو من الفصيلة القرعية ، أوراقه متبادلة غير خشنة ، وأزهاره أحادية الجنس ، وثماره لبية كروية بين الصغيرة والكبيرة ، والقشرة تختلط بين السلونين : الأخضر والأخضر المخطط ، وهذه الثمار إما حمراء أو صفراء فى الداخل ، حلوة المذاق كثيرة البذور التى تختلف لوناً وحجماً^(٦) .

(١) المعجم الكبير ٤٨١/٢ . (٢) نفع الطيب ٢١٤/٤ .

(٣) نفع الطيب ٢٣٩/٥ . (٤) نفع الطيب ٧٩/١٠ .

(٥) ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي فى لحن العامة ، د. عبد العزيز الأهواني ، فصلة من

مجلة معهد المخطوطات ، للجلد الثالث ، ١٩٥٧ م ، مطبعة مصر ، ص ١٩ .

(٦) المعجم الكبير ٣٨٠/٢ .

وقد كان هذا النبات معروفاً عند الأندلسيين ، ويحدثنا المقرئ أن جماعة من الناس دخلوا جامع حصن قولية من عمل مدينة بسطة ، وأخذوا يأكلون البطيخ ويرمون قشره فى صحن الجامع ، فأنكر عليهم ذلك رجل من العامة^(١) .

البندق : ثمرة شجرة من الفصيلة البتولية ، وللثمرة غلاف خارجى بُنى عند النضج ، والغلاف خشبى ، لونه أحمر بنى ، والبذرة لبها أبيض غنى بالدهن ، لذيد الطعم^(٢) .

والبندق عند الأندلسيين هو الجلود بالعربية ، وقيل إنه النارجيل ، وقيل إنه الفوفل ، والبندق أربعة ضروب : الأمليسى والثرجين والبعرار والمصدى^(٣) . ويحدثنا المقرئ أن البندق يكون أكثر وأمكن فى الأقاليم الباردة ، وهو عند الأندلسيين كثير ، وتتمتع البلاد المتصلة من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية بالبندق والجوز والفسق والشاه بلوط ...^(٤) .

التفاح : ثمرة فاكهة تتبع الفصيلة الوردية ، وهو من أهم محاصيل الفاكهة فى المنطقة المعتدلة ، وللتفاح سبعة آلاف وخمسمائة صنف ، وتُصنع منه أنواع من الخمر ، ويعتصر من بعض أصنافه شراب يسمى : سيدر Cider ، واحدته تفاحة ، وجمعها تفافيح^(٥) .

والتفاح فى الأندلس أنواع كثيرة ؛ منها حلو وحامض وتفه ، ومن أسمائها : العلبى والشعيبى والرخامى والشبرقان والأحمر وغير ذلك ، والشعيبى منها لانوار ولابرز لحبه^(٦) .

(١) نفع الطيب ٢١٣/٥ .

(٢) المعجم الكبير ٥٨٢/٢ .

(٣) كتاب الفلاحة لأبن العوام ٣٤٩/١ .

(٤) نفع الطيب ١٣٨/١ .

(٥) المعجم الكبير ٨٨/٣ .

(٦) كتاب الفلاحة لأبن العوام ٣٣٠/١ - ٣٣١ .

ومن أشهر أنواع التفاح التى حدثنا عنها المقرئ فى الأندلس : التفاح الجليانى المنسوب إلى حصن جليانة من أعمال وادى آش ؛ ويصفه المقرئ بقوله : والتفاح الجليانى يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء^(١) .

وكذلك تفاح شترة المعروف بكبر حجمه ؛ ويحدثنا المقرئ أن التفاح فى شترة دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر ؛ ويحكى أن رجلاً من أهل شترة أهدى المعتمد بن عباد أربعاً من التفاح ما يُقْلُ الحامل على رأسه غيرها ؛ دور كل واحدة خمسة أشبار^(٢) .

ويحكى ابن اليسع وغيره عن تفاح شترة أنه لا تحمل الدابة منه إلا ثلاث حبات .

وكان التفاح من أعظم الهدايا التى يتهداها الأندلسيون ، ولم يكن أحب لملك من ملوك الأندلس من أن يُهدى إليه تفاحة . وبما حكاه المقرئ أن ابن ريدون أهدى باكورة تفاح إلى المعتضد وكتب له معها :

يامن تزينت الريا سة حين ألّبس ثوبها
جاءت جامدة المدا م فخذ عليها ذوبها^(٣)

التمر : حَمْلُ النخل ، واحدة ثمرة ، وجمعها تمرات محرّكة وتُمور وتُمران بالضم فيهما ، والتمّار : بائعه ، وقيل : التمر هو الياّس من ثمر النخل فى مقابل الرطب ، وقيل : التمر اسم جنس يتناول ثمار النخل من حين الانعقاد إلى حين الإدراك^(٤) .

(١) نفع الطيب ١٤٩/١ . (٢) نفع الطيب ١٦٢/١ .

(٣) نفع الطيب ٢٣٩/٥ وانظر اللفظة فى المواضع الآتية : ١٦٢/١ ، ١٩١ - ١٠٦/٥ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ٢١٢ - ٤٤/٦ ، ٧٨ - ٢٤٦/٧ - ٧٨/١٠ ، ٧٩ .

(٤) تاج العروس ٦٨/٣ ، محيط المحيط ٧٣ ، المعجم الكبير ١٢٣/٣ .

ولم يكن التمر كثيراً ببلاد الأندلس كغيره من أنواع الفاكهة ؛ لأنه مرتبط بالمناطق الحارة غالباً ؛ وكانوا يطلقون لفظة التمر على اليابس من ثمر النخل فى مقابل الرطب ؛ وقد ورد ذكره عند المقرئ فى قوله على لسان أحد الشعراء :

لله تمر طيب وافى على البشرى انطوى
يا حننه مجتمعاً يحلو لنا بلا نوى^(١)

وقول لسان الدين بن الخطيب فى إحدى موشحاته :

عارضت قول بايع التمر بمقال شجى^(٢)

التوت : هو جنس شجر من فصيلة الفُراضية والقبيلة التوتية يزرع لثمره الذى يأكله الإنسان، ولورقه الذى يطعمه دود القز ، وثمره أبيض حلو ، وأنواعه كثيرة ، ومنه ما يثمر ثمراً أحمر حامضاً ، ثم يسود فيحلو ، ويقال له : التوت الشامى ، واحدته توتة^(٣) .

ويُعرف التوت فى الأندلس بالتوت العربى أو توت الحرير أو الفرصاد ؛ ومنه نوع أبيض الثمر متوسط فى الكبر والصغر ، ومنه أسود وأصفر وأزرق وأخضر ، وتختلف طعومه لأنه منه الحلو والمر والتف^(٤) . وأشهر المدن الأندلسية المعروفة بالتوت الكثير : حصن شَنَش على مرحلة من المرية ؛ وفى هذا الحصن الحرير والقرمز ، ويعرف واديها بوادى طبرنش^(٥) .

التين : من الفصيلة التوتية ، أشجاره متوسطة ، أوراقها عريضة أو كبيرة الحجم ، وثماره كروية أو كمثرية الشكل ، تؤكل طازجة أو مجففة ، واحدته

(١) نصح الطيب ٢٩٨/٩ .

(٢) نصح الطيب ٢٩٣/٩ .

(٣) المعجم الكبير ١٥١/٣ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٨٩/١ .

(٥) نصح الطيب ١٦٢/١ .

تينة ، إذا قطعت خرج منها سائل أبيض كاللبن ، ورد ذكره فى القرآن الكريم : «التين والزيتون ...»^(١) .

ومن أشهر المدن الأندلسية إنتاجاً للتين مدينة مالقة ؛ التى بها نوعان منهما ؛ أحدهما : التين الرئى لأن مالقة كان اسمها فى القديم رية ، وثانيهما : تين بليش ، نسبة إلى حصن بليش وهو من حصون مالقة ، وتين بليش هذا هو الذى قيل فيه لبربرى : كيف رأيته ؟ قال : لا تسألنى عنه ، وصب فى حلقى بالقة^(٢) .

ويحدثنا المقرئ عن مالقة وشهرة تينها بقوله : «وبالقة التين الذى يضرب المثل بحسنه ، ويجلب حتى للهند والصين ، وقيل : إنه ليس فى الدنيا مثله»^(٣) . ومن كثرة أشجار التين بمالقة كان الطفل الصغير يجتنى جميع ثمر شجرة التين من لزوقها بالأرض ، وقد حوت من الثمار ما يتعب الجماعة كثرة^(٤) .

وتأتى بعد مالقة مدينة إشبيلية التى اشتهر بها نوعان من التين أيضاً ؛ النوع الأول ؛ وهو التين القوطى ؛ والنوع الثانى ؛ وهو التين الشعرى ؛ وقيل التين السفرى ؛ والمرجح أنه الشعرى ؛ لأن الذى يسمى بالسفرى هو الرمان ؛ وورد عند المقرئ مرة : التين السفرى ؛ ومرة أخرى : التين الشعرى ؛ ويبدو أن لفظة الشعرى صُحِّقَت فصارت السفرى ؛ بدليل ورود اسمه صحيحاً عند الخشنى فى كتابه : قضاة قرطبة .

وفى هذين النوعين من التين يقول ابن سعيد : وهذان صنفان لم تر عينى ولم أذق مثلهما منذ خرجت من الأندلس وما يفضلهما ...»^(٥) . ويقول

(٢) نفع الطيب ١٩٣/٤ .

(١) المعجم الكبير ١٨٦/٣ .

(٣) نفع الطيب ١٥١/١ .

(٤) نفع الطيب ١٩٣/٤ .

(٥) نفع الطيب ١٩٣/١ ، ١٩٤ .

عنهما المقرئ : وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير إشبيلية مثل لهما^(١) .

وكان الأندلسيون يجففون هذا التين ؛ ويأكلونه مجففاً ، وقد يتخذون من حمل التين خبزاً يؤكل فى المجاعة عن طريق التقاطه أول اصفراره وهو قوى ثم يطبخ بالماء العذب بعد أن ينقع فيه عدة مرات ثم يجفف ويطحن ويخبز^(٢) .

الجَوْز : ثمر يؤكل ، وشجره كثير بأرض العرب من بلاد اليمن ، ورائحة ورقه طيبة ، يحمل ويربى ، وخشبه موصوف بالصلاية والقوة ، ويسمى الخسف أو الخشف بلغة أهل الشجر ، ويعرف فى مصر بالشوبكى ، ويطلق اسم الجوز على النارجيل والبوا ، والمراد عند الإطلاق الجوز الشامى ، وتعتصر ثمرة الجوز وتطبخ عصارتها مع العسل كدواء^(٣) . وهو من الفواكه المعروفة فى الأندلس ، وهو بها أنواع منها : الأمليسى الكبير الحب الرقيق القشر ، والترجين وهو الرقيق الحب الصلب القشر^(٤) .

وقد وصفه كثير من الشعراء الأندلسيين ؛ منهم لسان الدين بن الخطيب فى قوله :

انظر إلى ينعى وحسن بسوقى يهفو النسيم بقدى الممشوق
يجلو اللواحق منظرى حسناً كما يجلو ثغور الغايات عروقى^(٥)

ويحدثنا المقرئ عن الفواكه فى الأندلس ومنها الجوز بقوله : وعندهم شاه

(١) نفع الطيب ١٨٨/٤ .

(٢) كتاب الفلاحة لابن العوام ٣٠١/١ .

(٣) للمخصص لابن سيده ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، د.ت ، ١٣٩/١١ ، المبتدأ فى الأدوية المفردة ٧٦ ، تذكرة داود ١١١/١ ، معجم النبات والزراعة ١/٣٧٤ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٩٢/١ - ٢٩٣ .

(٥) نفع الطيب ٢٠٣/٩ .

بلوط والبندق والجوز والفتق وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن فى الأقاليم الباردة^(١) .

ومن الأمثال المشهورة عند الأندلسيين وذكرها المقرئ المثل القائل : يعطى الجوز من لا عنده أسنان^(٢) ، وهو يقابل فى العامية المصرية : يُعطى الخلق لمن بلا آذان . ولقرطبة سبعة أبواب ، ذكرها المقرئ ؛ ومنها باب الجوز ؛ ويعرف بباب بطليوس^(٣) . وكل هذا يؤكد كثرة الجوز فى بلاد الأندلس .

حب الملوك : أهل المغرب والأندلس يوقعون هذا الاسم على القراصيا البعلبكي ، ويوقعونه على حب الصنوبر الكبار .

وشجر القراصيا أو حب الملوك كالإجاص ، تحمل ثمرها كالعناب كثير المائة شديد الحمرة ، إذا نضج اسود ، وفيه مزاراة بين حموضة وحلاوة ، ويعرف فى مصر بخوخ الدب^(٤) .

وأشهر المدن الأندلسية المعروفة بحب الملوك سرقسطة ، التى يقول عنها المقرئ : لايتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح من مائة سنة ، والعناب المعلق من ستة أعوام ، والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والإجاص اليابسة من أربعة أعوام ، والبقول والحمص من عشرين سنة^(٥) . وقد كان ملوك الأندلس يتهادون هذا النوع من الفاكهة ، وما أورده المقرئ فى ذلك قول أحدهم :

ياخير من ملك الملوك أهديتنى حب الملوك

(١) نفع الطيب ١/ ١٣٨ .

(٢) نفع الطيب ٢/ ١٠ .

(٣) نفع الطيب ٢/ ١١ .

(٤) المعتمد فى الأدوية المفردة ٨١ ، ٨٢ ، ٤٦٨ ، تذكرة داود ١/ ١١٥ ، ٢٥٥ .

(٥) نفع الطيب ١/ ١٩١ .

فكأنما ياقوتها نظمت لنا نظم الملوك^(١)

ويبالغ لسان الدين بن الخطيب في حديثه عن مدينة تلمسان بقوله : إنها بسبب حب الملوك مطمعة للملوك^(٢) .

الخوخ : ثمر معروف ، يسمى أيضاً الفرسك ، وهو ضربان : ضرب منه أرغب يسمى الشعراء ، وضرب آخر فيه حمرة يسميه قوم اللقاح ، وأهل الشام يسمون الخوخ الدراقن ، والواحدة من الخوخ خوخة^(٣) .

والخوخ معروف عند الأندلسيين ، ويسمى عندهم التفاح الفارسى ، وهو عندهم نوعان : أملس دون رغب ، فيه حمرة يسمى الأقرع وهو المصرى ، ويقال له الشتوى أيضاً ، ويسميه بعضهم اللقاح ، ومنه نوع يميل إلى الحموضة قليلاً ، وهو الأرغب ويسمى الشعرى ، ومن هذا النوع الأخير أنواع منها : المفلق والنبوش . وأفضلها كلها الأملس العطر الرائحة اللذيذ الطعم القليل الرطوبة المعروف بالزهرى^(٤) .

- ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بالخوخ مدينة سرقسطة التى يمكن أن تظل ثمرة الخوخ بها أربعة أعوام دون أن تفسد^(٥) . ولقد كان الأندلسيون يتهادون الخوخ فيما بينهم ، وإن كان التفاح يفضل فى ذلك ، ولما سأل أحد الملوك كاتبه عن سبب تهادى أهل الحبّ التفاح دون الخوخ مع أن كليهما حسن المنظر طيب المخبر شديد شبه بأخيه ، فقال الكاتب لاشتغال التفاح على الحبّ الذى يذكر بالحبّ والهوى ، والخوخ على النوى الذى يذكر اسمه صفرة الجوى^(٦) .

(١) نفع الطيب ٧٧/١٠ . (٢) نفع الطيب ٣٥٥/٩ .

(٣) للمخصص ١٣٨/١١ ، المعتمد فى الأدوية المقررة ١٤١ - ١٤٢ ، تذكرة داود ٣٨/١ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٣٣٨/١ - ٣٣٩ .

(٥) نفع الطيب ١٩١/١ . (٦) نفع الطيب ٢٤٦/٧ .

الخيار : هناك نوعان من الخيار : نوع يطلق عليه القثاء وهو القثاء ؛ أو نوع منه ؛ أو هو شبه القثاء ، ونوع يطلق عليه خيار شنبر ، وهو ضرب من الخروب ، شجره مثل كبار شجر الخوخ^(١) ، والذي يعنيها هو النوع الأول الذي يشبه القثاء ، فهناك من اعتبره نوعاً من الخضر^(٢) ، وهناك من اعتبره نوعاً من الفاكهة ؛ ففي محيط المحيط : الخيار فاكهة تشبه القثاء ، قيل : وليس بعربي ؛ والخيارة واحدة الخيار^(٣) .

ولقد كان الخيار يُقدَّم عند الأندلسيين مع الفواكه الأخرى ؛ وكانوا لا يأكلونه إلا بعد قشره ؛ وإن كان الأطباء يؤكدون على أن أكله بقشره أفضل ؛ ففي تذكرة داود : وغلط من قال إنه لا يؤكل إلا مقشراً ، فإن أكله بقشره يخرج من المعدة سريعاً قبل تعفينه^(٤) .

ويحدثنا المقرئ أن ابن الصابوني كان في مجلس أحد الفضلاء بإشبيلية ؛ فقدم فيما قدَّم خيار ، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين^(٥) .

الرطب : هو البُسرة إذا انهضمت فلانت وحلت ؛ أى نضيج البُسرة قبل أن يتمر ، واحده رُطبة ، وجمعها : رُطب ورُطبات ، وجمع الرُطب : رطاب وأرطاب ، ويقال : أرطبت النخلة ، ورُطب البُسرة أى حان أوان رُطبه ، وتمر وطيب مُرطب^(٦) .

وقد كان الرطب من الفواكه المفضلة عند الأندلسيين ؛ وكانوا يقبلون على أكله من متطلق ديني ؛ لأن النبي ﷺ كان يأكله ، وإن كانت رراعة النخل

(١) الخنصص ٦/١٢ ، المعتمد ١٤٢ ، تذكرة داود ١٤٨/١ .

(٢) المعجم الوسيط ٢٧٣/١ ط الثالثة .

(٣) محيط المحيط ٢٦٢ .

(٤) تذكرة داود ١٤٨/١ .

(٥) نفع الطيب ٦٤/٥ .

(٦) الخنصص ١٢٢/١١ ، معجم النبات والزراعة ٧٣/١ .

فى الأندلس قليلة؛ وقد ورد ذكر الرطب كثيراً على السنة الشعراء الأندلسيين
كقول أحدهم :

رُطَب من الطلع النضيد كأنها قد نظمت من حسنها أسلاكها
من كل ما كان النبى يحبها وأحبها الأنصار من أو لا كـ^(١)
وقول آخر :

أيام تبدى ثمرات بدا فى جنباتها حسن الأرباب
كأنه فى العين ياقوت أو كأنه فى الفم جُلاب^(٢)

الرمان : شجر مثمر من الفصيلة الرمانية ، يؤكل حبه ، واحدته رمانة^(٣) .

والرمان فى الأندلس أنواع : منه الشعرى والأملىسى والسحى ، وهو
الدوارى ، ويقال له السدلى أيضاً ، ومنه القسطيسى والعدسى والمرسى
والخزائنى والترجين ، وهذه الأنواع كلها حلوة الطعم ، ومنه أيضاً المرونى ،
وجرمه كبير ولحمه غليظ وحبه أحمر قانى ، ومنه الحامض ، ومنه الرمان
المذكر ، وهو الجلتار ، وهذا الأخير منه يستانى ومنه جبلى ، وهو أكمل ورقاً
وأبنى زهراً وأغلظ نواراً من الرمان ، وزهره أحمر ، ومورد ، وأبيض ، وقيل
إنه يُذكر به الرمان ، وليس له حب^(٤) .

ولقد كان الرمان بأنواعه الكثيرة من أشهر الفواكه بالأندلس ، وأورد
المقرئ كثيراً من الشعر فى وصف الرمان وتفضيله على بقية الفواكه ، ومن بينه
قول أحدهم :

(١) نفع الطيب ٧٧/١٠ . نى : من أولئك .

(٢) نفع الطيب ٣٠٤/٦ .

(٣) المعجم الوسيط ٣٨٨/١ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٧٣/١ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ .

صلى لك الخير برمانة لم تتقل عن كرم العهد
لا عنباً امتص عتقوده ثدياً كائى بعد فى المهد^(١)

وقول آخر فى الرمان :

وساكنة فى ظلال الغصون بروض يروك أفنانه
تضاحك أترابها فيه إذ غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقصد تضرع بالدم أسنانه^(٢)

الزبيب : هو ذاوى العنب خاصة ؛ أى يابسه وجفيفه ، ثم قيل لما جُفِّف من سائر الثمر قد رُبَّ ؛ إلا التمر فإنه يقال : تمر الرطب ولا يقال زبيب ؛ ويقال : أرب العنب وزب التين : أى ترك حتى يتكَّمش ، والواحدة زبيبة^(٣) .

والزبيب أنواع منها : تهامى ، وخراسانى ، ودمشقى ، وطائفى ، وعبيدى^(٤) .

ومن أشهر أنواع الزبيب المعروفة فى الأندلس : الزبيب المنكبى وهو المنسوب إلى المنكب ؛ وهى مدينة صغيرة فى مقاطعة غرناطة على البحر المتوسط ؛ وقيل : بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة ، بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً ، ويسمى الآن المنكير^(٥) .

ونوع ثانٍ يسمى الزبيب العسلى ؛ وهو المنسوب إلى العسل لأنه يشبه العسل فى الطعم والشكل .

(١) نفع الطيب ٢٨٦/٤ .

(٢) نفع الطيب ١٤٢/٥ .

(٣) للمخصص ٦٩/١١ ، معجم النبات والزراعة ٧٥/١ .

(٤) تكملة للمعجم العربية ، دوى ، ٢٧٧/٥ - ٢٧٨ (الترجمة العربية) .

(٥) نفع الطيب ١٩٤/١ ، الجامع لفردات الادوية والأغذية ١٥٢/٢ .

ونوع ثالث يعرف بزبيب إشبيلية ؛ الذى طبقت شهرته الآفاق ؛ حتى إنه قيل لأحد الخلعاء وقد أشرف على الموت : اسأل ربك المغفرة ، فرفع يديه ؛ وقال : يارب ، أسالك من جميع ما فى الجنة : خمر مالقة وزبيب إشبيلية^(١) .

ويعدُّ المقرئ أنواع الثمار وأصناف الفواكه فى الأندلس ؛ وهى : التين الملقى والزبيب المتكبي والزبيب العسلى والرمان السرى والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره^(٢) .

الزنبوع : لفظة بربرية ، تعنى الأترج ، أو الكبّاد ، وهو صنف من الليمون ، والواحدة زنبوعة^(٣) .

وهو المعروف فى الأندلس بالبستنيون ، وهو شبيه بالنارنج إلا أن ثمره مفرطح محبب أصفر اللون يؤكل خارجه وداخله ؛ وهو شديد الحموضة^(٤) .

ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بالزنبوع مدينة إشبيلية ، فيحدثنا المقرئ أن أشجارها متكاثفة ، ومن هذه الأشجار المتكاثفة : النارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك^(٥) .

السقزجل : من الفواكه ، وأجوده الكبار اليبانغ ، وهو أصناف : حلو وحامض ومزّ وتنفه ، وثمره كثير الفائدة ، ورؤى عن النبى ﷺ أنه كسر سفرجلة ، وناول منها جعفر بن أبى طالب ، وقال : كُلْ ، فإنه يصفى اللون ، ويحسن الولد^(٦) .

(١) نفع الطيب ١٩٣/٤ .

(٢) نفع الطيب ١٩٤/١ .

(٣) تكملة المعاجم العربية ٣٦٤/٥ (الترجمة العربية) .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٣٢٣/١ .

(٥) نفع الطيب ١٨٨/٤ .

(٦) المعتمد فى الأدوية القردة ٢٢٦-٢٢٧ .

وثمره يكون فى حجم الرمان فأصغر ، عليه خمل كالغبار يلزمه غالباً ،
وشجره فى قدر شجر التفاح إلا أنه أعرض ورقاً وأغلظ وأعقد عوداً^(١) .

ويسمى عند الأندلسيين بلور الهند ، منه مدحرج كبير وصغير ، ومنه ماهو
إلى الطول ، ويسمى السنهد ، وقد يتخذ الأندلسيون منه خبزاً يؤكل فى الغلاء
والمجاعة^(٢) .

وقد وصفه الشعراء الأندلسيون كثيراً فى شعرهم ؛ ومنه قول أحدهم :
فى وصف سفرجلة :

ومصفرة تختالُ فى ثوب نرجس وتعبق عن مسك ذكر التنفّس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه ولون محبّ حلّة السُّمِّ مَكْتَسَى
وكان لها ثوب من الزغب أغبرُ على جسم مصفر من التبر أملس^(٣)

السقري : ضرب من الرمان المعروف فى الأندلس ، مربع الحب ،
ومرصوف بالفضيلة ، ومقدم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ، ورقة
العجم ، وغزارة الماء ، وحسن الصورة ، وقد فاض هذا الرمان على أرجاء
الأندلس ، وصاروا لا يفضلون عليه سواه^(٤) .

وقد وصفه كثير من الشعراء الأندلسيين ؛ منهم أبو عمرو أحمد بن فرج
الجياني :

ولأبسة صدفأ أحمرأ أتتك وقد ملئت جوهرا .
كانك فاتح حقّ لطيفٍ تضمّن مرجانه الأحمرأ

(١) تذكرة داود ١/ ١٨٩ .

(٢) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٣) نفع الطيب ٢/ ١٢٨ .

(٤) نفع الطيب ٢/ ١٣ .

حبوباً كمثل ثلاث الحبيب رضاباً إذا ششت أو منظرها
وللسفر تُعزى وماسافرت فتشكو النوى أو تقاسى السرى^(١)

وفى سبب تسمية هذا الرمان بالسفري رأينا : الرأى الاول يقول إنه منسوب إلى رجل شامى يدعى سَفْرُ بن عبيد الكلاعى من جند الأردن الذين عاشوا فى الأندلس فى زمن الخليفة عبد الرحمن الداخل ، فهو أول من زرعه بالأندلس ، ثم انتشرت زراعته ، واستوسع الناس فى غراسه ، ولزمه النسب إليه ، فصار يُعرف بالرمان السفرى^(٢) . والرأى الثانى يقول إنه منسوب إلى السفر والترحال ؛ لأن أختاً لعبد الرحمن الداخل أهدته إليه فى جملة هدية ، بعثته إليه من المدينة المنورة تيمناً به ؛ لأن النبى ﷺ غرسه بيده ؛ وقد ذكر هذا الرأى ابن العوام الإشبلى إلى جانب الرأى الاول ولم يرجح أحدهما^(٣) .

شاه بلوط : تعنى بالفارسية ملك الأرض ؛ وهو شجر له حمل يؤكل ويغتذى ثمره ، ويرتفع فوق قامتين ، كثير الفروع مشرف الورق ، فيه شوك ، وحمله إلى تفرطح كأنما قسم نصفين ، وقشرته طبقتان داخل الاولى كالصوف ؛ ولذلك يسمى أبو فروة ، وتحت هذا قشر رقيق ينقشر عن حبة إسفنجية تقسم نصفين ، وهو لدن حلو ويعرف فى مصر بالقسطل .

ويعمد أهل الأندلس إلى قشور شجره فيظاهرون بعضه على بعض ويدسرونه بمسامير الخشب ويركبون البحر فيه ، وإنما يفعلون ذلك به لخصته وأنه

(١) نفع الطيب ١٤/٢ .

(٢) نفع الطيب ١٣/٢ - ١٤ ويرى هذا الرأى أيضاً الحشى وذكره فى كتابه : قضاة قرطبة ص ٥٣ ، ورجحه المستشرق الهولندى دورى فى تكملة المعاجم العربية ٢١٨/٥ - ٢١٩ (الترجمة العربية) ، وأشار إليه العلامة الأندلسى د. محمود على مكى ؛ انظر مقاله بمجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الرابع والستون : مدخل إلى الألفاظ الآسيانية المأخوذة من العربية .

(٣) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٧٣/١ - ٢٧٤ .

لا يفرق ، فإن دخله الماء أمالوه حتى يخرج الماء منه ، شبه الزورق^(١) .

وينقل المقرئ عن بعض العلماء قوله : إن النصارى حرموا جنة الآخرة فأعطاهم الله جنة الدنيا بستاناً متصلاً من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية ، وعندهم عموم شاه بلوط والبندق والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن في الأقاليم الباردة^(٢) .

ويُعرف الشاه بلوط في الأندلس بالقسطل والقسطون أيضاً ، وهو عندهم أصناف : منه المفرطح المعروف بالأمليسى ، ومنه الصغير المعروف بالبرجى^(٣) .

الشَّمَام : اسم لنوع من البطيخ صغير ، حنظلي الشكل والمقدار ، مخطط بحمرة وخضرة وصفرة ، رائحته طيبة ، يسميه أهل الشام اللُّفَّاح . وأحدثه شمامة^(٤) .

وهو من الفواكه المعروفة عند الأندلسيين ، وقد ذكره الشعراء الأندلسيون كثيراً في شعرهم ؛ ومن ذلك قول ابن القبطرنة :

دعاك خليلك واليوم طلّ وعارض وجه الثرى قد بَقَلْ
لِقَدْرَيْنِ فاحا وشَمَامَةً وإبريق راح ونعم المحلّ
ولو شاء زاد ولكنّه يلام الصديق إذا ما احتفل^(٥)

العصير : هو فعيل بمعنى مفعول ؛ أى عصير بمعنى معصور ، وهو كل ما تحلَّب من الشئ عند عصره ، وكل ما عصر من العنب وما أشبهه من الثمرات . فهو عصير .

(١) المتعمد في الأدوية المفردة ٣٤ ، ٢٥٦ ، تذكرة داود ٢٠٧/١ ، معجم النبات والزراعة ١/٤٦٨ .

(٢) نفع الطيب ١/١٣٨ .

(٣) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/٢٥٤ .

(٤) المتعمد في الأدوية المفردة ٢٧٢ . (٥) نفع الطيب ٥/١٣٥ .

ولكن هذه اللفظة استعملت عند الأندلسيين فى غير هذا المعنى ؛ فهى تعنى عندهم : التين الرطب ؛ ويتضح ذلك من خلال حديث لسان الدين بن الخطيب عن مدينة سبتة بقوله : الأمانة على الاختزان ، القويمة المكيال والميزان ، محشر أنواع الحيتان ، ومحط قوافل العصير والحريز والكتان^(١) . فالعصير فى هذا النص يعنى التين الرطب لشهرة مدينة سبتة به ، وقد عده كل من الزييدى وابن هشام اللخمي مأخذاً على الأندلسيين ؛ وذلك فى قولهما : ويقولون للتين الرطب عصير ؛ والعصير ما عُصر من العنب وما أشبهه من الثمرات^(٢) .

ويختلف العصير هنا عن زمن العصير ؛ وهو الوقت الذى يجمع فيه العنب ، وفيه يخرج الأندلسيون إلى الحقول والأودية حيث يبيتون عدة ليالٍ هنالك ، يخرج فيه الرجال والنساء ومعهم الآلات الموسيقية ، يغنون ويرقصون ويعبثون ويستحمون فى النهر ، ويرتدى كل واحد أجمل ما عنده ، ويكون فى فصل الحريف^(٣) . وإن كان الدكتور الأهواى يرجح أن لفظة العصير استعملت عند الأندلسيين كثيراً فى العنب ؛ وقال : أما إطلاق اللفظ على التين الرطب فلم أجده فى غير ابن هشام والزييدى ، ولم يشر إليه دورى^(٤) .

العناب : شجر مثمر يقارب الزيتون فى الارتفاع والتشعب ، لكنه شائك جداً ، وورقه مزغب من أحد وجهيه بسيط ، ويثمر العناب المعروف ، وأجوده الناضج اللحيم الأحمر الحلو ، على شكل شجرة النبق ، وإن كان أبكله قبل

(١) نفع الطيب ٨/ ٣٤٤ .

(٢) لحن العامة ص ١٩٢ ، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي ص ٤٤ .

(٣) الزجل فى الأندلس ، د. عبد العزيز الأهواى ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية

العالية ، ١٩٥٧ م ، ص ٩٩ .

(٤) الزجل فى الأندلس ، ص ٤٤-٤٥ .

الطعام فهو أجود ، وله فوائد عديدة ؛ منها أنه يقوى البدن ويصفى اللون ،
والواحدة منه عُنَّاب^(١) .

والعنباب من الفواكه المعروفة عند الأندلسيين ، وكثيراً ما شبه الشعراء
الأندلسيون وجه المرأة الجميلة وأناملها بالعناب ، كقول أبي الحسن على بن
حريق :

إنَّ ماءً كان في وجتها وردته السنُّ حتى نشفا
وذوى العناب من أنملها فأعادته الليالي حشفا^(٢)

والعُنَّاب يسمى في الأندلس الزُّفَيْزَف ، ومنها أخذت اللفظة الأسبانية
azufafa^(٣) ، والعامية تقول الرفرف - كما ورد عند ابن العوام^(٤) ، وهو في
الأندلس أنواع : منها ما له ثمر كبير شديد الحمرة ، ومنها نوع آخر له ثمر في
قدر حب الأهل ، ومنها نوع آخر له ثمر أصفر من ذلك^(٥) .

ومن المآخذ التي أخذها ابن هشام اللخمي على الأندلسيين تسميتهم العناب
زفيفاً ؛ وذلك في قوله : ويقولون الزفيزف ؛ وبعضهم يفتح الزاى الثانية ،
والصواب العناب^(٦) .

العنب : ثمر السَّكْرَم ، ويقال له العنَّاب أيضاً ، والواحدة عنب ، ويجمع
على أعناب ، والعنب أنواع كثيرة كالتمر ، وأجوده الكبار الرقيق القشر القليل

(١) المعتمد في الأدوية المفردة ٣٤٠-٣٤١ ، تذكرة داود ٢٤١/١ ، المعجم الوسيط ٦٥٣/٢ ، معجم
النبات والزراعة ٩٥/١ .

(٢) فتح الطبيب ٣٦٧/٤ .

(٣) تكملة المعجم العربية ٣٣٧/٥ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٦١/١ .

(٥) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٦٥/٢ ، كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٦١/١ .

(٦) ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي ص ٣٥ .

البنر الحلو^(١) .

ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بالعنب مدينة مالقة التى يقول عنها المقرئ : إحدى قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه ، رأيت العنب يُباع فى أسواقها بحساب ثمانية أرطال بذرههم صغير^(٢) . وكذلك مدينة مرسطة التى يقول عنها أيضاً : ولا يتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح من مائة سنة ، والعنب المعلق من ستة أعوام^(٣) .

وكذلك مدينة إشبيلية ، ففى غربها - كما يقول المقرئ - رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً ، يشتمل على آلاف من الضياع ، كلها تين وعنب وريتون ، وهو المسمى بشرف إشبيلية^(٤) .

وكذلك بلدة أبدة التابعة لمدينة جيّان ، التى يقول عنها المقرئ : «وما فى أبدة من الكروم التى كاد العنب لا يُباع فيها ولا يشتري كثرة...»^(٥) .

وأما عن أنواع العنب المشهورة فى الأندلس فهناك العنب الراقى ؛ وهو عنب أبيض صغير ذو عجم صغير أيضاً^(٦) ، وقيل ضرب من العنب أبيض طويل الحب ، وهو منسوب إلى الضعف والرقّة ، فالراقى فى اللغة تعنى الضعيف الرقيق^(٧) . وهناك العنب الأسود الذى اشتهرت به مدينة جيّان ، ويقول فيه أحد الشعراء الأندلسيين :

(١) المخصص ٧١/١ ، تذكرة داود ٢٤٠/١ ، معجم النبات والزراعة ٩٥/١ .

(٢) نفع الطيب ١٥٧/١ .

(٣) نفع الطيب ١٩١/١ .

(٤) نفع الطيب ١٤٤/١ .

(٥) نفع الطيب ١٩١/٤ .

(٦) تكملة المعاجم العربية ١٢٩/٥ .

(٧) تاج العروس ٣٥٥/٦ .

عنب تطلع من حشا ورق لنا صبغت غلاته بالإنمـد
فكانه من بينهن كواكب كُسفت فلاحت في سماء ريرجد^(١)

عيون البقر : أهل الأندلس يسمون الإجاص عيون البقر^(٢) . وهو عنب أسود غير حالك ، مدور كبر مدحرج ، ليس بصادق الحلاوة يُزبب ، وهو صنفان : أسود وأبيض ، والأسود هو الإجاص على الحقيقة ، والأبيض هو المعروف بالشاهلوج^(٣) .

ويقول ابن هشام اللخمي عن أهل الأندلس : ويقولون للإجاص عيون البقر ، وعيون البقر عند العرب إنما هو عنب أسود ليس بالحالك ، ويقولون لنوع منه النيش ، وإنما تقول له العرب المشمش ، واسمه المشهور بالمغرب البرقوق^(٤) .

ويحكى لنا المقرئ طرفة عن هذا النوع من الفاكهة بقوله : حضر القاضي أبو الوليد الوقشي قاضي طليطلة يوماً مجلس ابن ذى النون ، فقدم نوع من الحلوى يُعرف بأذان القاضي ، فتهاقت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندير فيه ، وجعلوا يكثرّون من أكلها ، وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر ، فقال له المأمون : يا قاضي ، أرى هؤلاء يأكلون أذنك ، فقال : وأنا أيضاً أكل عيونهم ، وكشف عن الطبق ، وجعل يأكل منه^(٥) .

الفِرَضَاد : هو التوت الحلو ، ويقال له في الأندلس : التوت العربي ، وهو توت الحرير ، ويجرى مجرى التين في الإنضاج إلا أنه أردأ غذاء ، وهو

(١) نفع الطيب ٢٣٢/٤ .

(٢) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٣/١ .

(٣) المخصص ٧١/١١ ، المعتمد في الأدوية المفردة ٥ ، ٣٤٧ ، كتاب الفلاحة لابن العوام ٣٤٢/١ .

(٤) الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي ص ٤٥ .

(٥) نفع الطيب ٢٧٨/٥ - ٢٧٩ .

أنواع : أبيض ، وأحمر ، وأصفر ، وأسود ، وأزرق ، وأخضر ، وقد تطبخ
عصارته برب العنب أو السكر^(١) .

ويحكى المقرئ أن الدهرية سألوا الشافعي عن دليل الصانع ، فقال : ورقة
الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم ، والنحل فيكون منها العسل ،
والظباء فينمقد في نوافجها المسك ، والشاء فيكون منها البعر ، فأمنوا كلهم ،
وكانوا سبعة عشر^(٢) .

الفسق : من الأثمار المعروفة ، وهو نوعان : شامى وخراسانى ،
وأجوده الشامى الكبار ، وثمرته طيبة ، فيها شئ كأنه إلى المرارة ، عطرى ،
وله لب مائل إلى الخضرة لذيد الطعم يُتَنَقَّلُ به ، وهو من الفصيلة البُطْمِيَّة من
ذوات الفلقتين^(٣) .

ولقد كان الفستق من الفواكه المعروفة عند الأندلسيين ؛ وفى ذلك يقول
المقرئ : وعندهم عموم شاه بلوط والبندق والجوز والفستق^(٤) .

القراصيا : يقال لها القراسيا بالسين والجراصيا بالجيم والصاد ، وهى ثمرة
شبيهة بالتوت والعليق ، وتسمى بحب الملوك فى المغرب والأندلس ، وهى
القراصيا السبلبكي فى الشام ، ومنها حامض وعفص ، وحب الملوك نوعان
أسود وأحمر ، ومنه بستانى وجبلى ، وقيل إن حب الملوك هو حب الصنوبر
الكبار^(٥) .

وشجر القراصيا كالإجاص ، تحمل ثمرأ كالعناب كثير المائبة شديد الحمرة

(١) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٨٩/١ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ٥٣ .

(٢) نفع الطب ٢٦٩/٧ - ٢٧٠ .

(٣) المعتمد فى الأدوية المفردة ٣٦٣ ، المعجم الوسيط ٧١٣/٢ .

(٤) نفع الطب ١٣٨/١ .

(٥) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٦٩/١ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ٣٨١ - ٣٨٢ .

إذا نضج أسود ، وفيه مزاولة بين حموضة وحلاوة ، ويعرف فى مصر بخوخ الدب^(١) .

ولقد كانت القراصيا معروفة عند الأندلسيين بنوعيهما الأحمر والأسود ؛ ووردت فى شعرهم كثيراً ؛ يقول المقرئ : وقال بعضهم فى القراسيا ، ويقال له بالمغرب حب الملوك :

ودوح تهذل أشطانه رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص الحقيق وما أسود منه عيون المها^(٢)

القسطل : شجر مثمر من الفصيلة البلسوطية ، له ثمر كثير السشاء يؤكل مشوياً ، ويعرف فى مصر بـ (أبى فروة)^(٣) . ويُعرف فى الأندلس بالشاه بلوط والقسطون ، وهو أصناف : منه المفرطح المعروف بالأملىسى ، ومنه الصغير المعروف بالبرجى ، وهو جبلى لا ينبت فى المروج ولا على شواطئ الأنهار الكبار ، وأهل الأندلس يعملون منه الخبز وقت المجاعة عن طريق طبخه بالماء العذب بعد أن ينقع فيه نحو أربع وعشرين ساعة ، وليكن وحده دون ملح ، ثم يبدل له الماء ويطبخ به بنار لينة نحو ست ساعات ، ومنه ما كان أبيض كثيراً شديد الحلاوة^(٤) .

وكان ترتيب الفواكه على المائدة الأندلسية هو : الجوز ثم اللوز ثم القسطل ؛ ولما دخل المعتمد بن عباد الحمام ثملاً ، جعل يقول : الجوز ، اللوز ، القسطل ، ومر على هذا ساعة إلى أن تذكر النحلى الشاعر ، فقال له : من أى وقت أنت هنا؟ قال : من أول ما رتب مولانا الفواكه فى النصبه ،

(١) تذكرة داود ٢٥٥/١ - ٢٥٦ .

(٢) نفع الطيب ١٤٢/٥ .

(٣) المعجم الوسيط ٧٦٢/٢ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٥٤/١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ .

والنسبة مائدة يصبون فيها هذه الأصناف من الفواكه^(١) .

ويحدثنا المقرئ عن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ، وهما عظيمتان جداً ، فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب^(٢) .

الكروم : الكرّم أصل العنب ، وإذا غرس قضباناً كان منه الكرم المشهور المثمر للعنب ، وإن غرس حباً كان منه هذا الموسوم بالبرى ، وكثيراً ما يكون من ذرق الطيور إذا أكلت العنب ، وينبت بالجبال وجوانب الماء ، ويحمل حباً صغيراً أسود غالباً يجمع فيكون منه الخمرة السوداء^(٣) .

وأنواع الكروم فى الأندلس كثيرة؛ منها الأسود والمدحرج والطويل أيضاً ، ومنها بين ذلك ، ومنها الأحمر فى أصفر ومنها البكير والمؤخر وبين ذلك أيضاً^(٤) .

وقد يخطئ بعض العامة فى الأندلس ويطلق الكرمة على شجرة التين ، وليست الكرمة فى اللغة شجرة التين ، وإنما الكرمة شجرة العنب^(٥) .

ولا تكاد تخلو بلدة من بلاد الأندلس من الكروم ، فغرناطة بها البساتين الجليلة ، والجنان والرياضات والقصور ، والكروم محدقة بها من كل جهة^(٦) ، وإشبيلية ضفتها مطررتان بالمناره والبساتين والكروم والأنسام متصل ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره ، حتى إن العامة تقول : لو طُلب لبن الطير فى إشبيلية وجُد^(٧) . وأبدة التابعة لجيآن فيها من الكروم ما لا يكاد يباع فيها ولا

(١) نفع الطيب ٢٠٦/٤ .

(٢) نفع الطيب ١٤٩/١ .

(٣) تذكرة داود ٢٧٠/١ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٣٥١/١ - ٣٥٢ .

(٥) الجماعنة فى إزالة الرطانة ٣٦ .

(٦) نفع الطيب ١٧٢/١ .

(٧) نفع الطيب ١٨٧/٤ .

يشتري كثرة^(١) . وأما مالقة فإنها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر^(٢) .

وكثرة الكروم في الأندلس أدت إلى كثرة الخمور المتخذة منها حتى إن الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر همَّ بقطع شجر الكروم من الأندلس ، فقليل له : فإنها تعصر من سواها ؛ فأمسك عن ذلك^(٣) .

الليخ : شجر عظام أمثال الدُّب ، وله ثمر أصفر يشبه التمر ، حلو جداً ، إلا أنه كريبه ، وقال بعضهم : هو مرّ كريبه ، وإذا أكل أعطش ، وإذا شرب عليه الماء أنفخ البطن ، وهذا الثمر جيد لوجع المعدة والأسنان^(٤) .

وقد ورد ذكر الليخ عند الشعراء الأندلسيين ؛ ومنه قول أحدهم :

فكم نفعت من غُلة تلکم الأضی وکم أبرأت من علة تلکم الليخ^(٥)

اللوز : ثمر برى ويستانى ؛ وهو على نوعين : حلو ، ومر ، وشجره يقرب من الرمان ، وينجب في البلاد الباردة والأرض البيضاء والجبال ، وورقه بسيط مستدير يعمل منه الكامخ ، وثمره إما رقيق القشر ينفرك باليد ، وإما غليظ يكسر ، وهو في بلاد العرب كثير ، واحدته لوزة ، ويسمى أيضاً القُمروص ، ولكل من حلوه ومره فوائد طبية^(٦) . واللوز ببلاد الأندلس كثير ؛ ومنه نوع جليل وحلو دقيق في قدر الفستق^(٧) .

(١) نفع الطيب ١٩١/٤ .

(٢) نفع الطيب ١٩٣/٤ .

(٣) نفع الطيب ١٨٩/٤ .

(٤) للخصص ١٤٧/١١ ، المعتمد ٤٤٢ ، معجم النبات والزراعة ٢١٠/١ .

(٥) نفع الطيب ٣٤٨/٧ .

(٦) المعتمد في الأدوية المفردة ٤٦١ ، تذكرة داود ٢٨٤/١ ، معجم النبات والزراعة ٣٨٢/١ .

(٧) كتاب الفلاحة لابن العوام ٢٨١/١ .

وبلغ من كثرة اللوز فى الأندلس أنه كان يصدر إلى بلاد المشرق ؛ ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة باللوز مدينة مالقة ، التى يقول عنها المرقى :
وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب^(١) .

وكذلك مدينة قرطبة التى تغنى كثير من الشعراء بلوزها ؛ ومنه قول أحدهم :

سطر من اللوز فى البستان قابلنى ما زاد شئ على شئ ولا نقصا
كأنما كل غصن كُمّ جارئة إذا النسيم ثنى إعطافه رقصا^(٢)

الليم : يعنى عند الأندلسيين الليمون ؛ وقد نعى ابن هشام اللخمى عليهم تسمية الليمون بالليم فى قوله : ويقولون الليم والصواب الليمون ، والواحدة ليمونة^(٣) .

والليمون شجر مشعر من الفصيلة السذابية ، يشمل نباتياً أنواع البرتقال والأترج والنارنج والليمون الحلو والليمون الحامض ، ويسمى فى مصر بالموايح ، وفى الشام بالحوامض^(٤) ، والليمون معرب : ليمون بالفارسية^(٥) .

والليمون أو اللامون أو الليمو أو الليم عند الأندلسيين كثير ، وهو شبيه بالأترج الصغير ، طرفه محدد ، وورقه أصفر من ورق الأتراج وأكثر قبضاً ، ويسمى عندهم أيضاً الحسيا ، وشجرته تحمل حملاً مدوراً أصفر طيب الرائحة ، وحمله كالنارنج والأتراج فى أنه يبتدئ أخضر ثم يصفر ، ومنه نوع يضرب مع صفوته إلى حمرة يسيرة^(٦) .

(١) نفع الطيب ١٥٢/١ .

(٢) نفع الطيب ١٧/٢ ، ١٢٠ .

(٣) الفاظ مغربية ص ٥٥ .

(٤) المعجم الوسيط ٨٨٤/٢ .

(٦) كتاب الفلاحة لابن العوام ٣٢٣/١ .

(٥) محيط المحيط ٨٢٤ .

ورغم أن ابن هشام اللخمي يؤكد لنا أن الليم عند الأندلسيين هو الليمون فإننا نجد المقرئ يجمع بينهما في سياق واحد ، مما يشعر معه بأنهما مختلفان وأن الليم خلاف الليمون ؛ وذلك في قوله عن إشبيلية : وبها الأشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع^(١)

وقد ورد ذكر الليمون كثيراً على السنة الشعراء الأندلسيين ، ومنه :

وللنارنج تحت الماء لماً تبدى عكسها جمر بليـل

ولليمون فيه دون سبك جلال زُخرفٍ بصبا تحول^(٢)

المُرْسِيّ : ضرب من الرمان الجيد المعروف في الأندلس ، وسمي المُرْسِي نسبة إلى مدينة مَرْسِيَة الأندلسية ، وهو في شكل الياقوت ، ولذا يدعى عندهم بالمرسى الياقوتي ، ويوجد أيضاً في مالقة إلى جانب وجوده في مرسية ؛ ويتضح ذلك من خلال حديث المقرئ عن مالقة بقوله : ورماتها المرسى الياقوتي لا نظير له في الدنيا^(٣) . ويتميز هذا الرمان بطعمه الحلو وجرمه الكبير ولحمه الغليظ وحبه الأحمر القاني .

المَوْز : شجر مربع سبط يطول فوق ثلاثة أذرع ، يخرج عرجوناً يطول وتعلق به ثماره بعد نثره زهراً فيه حلو كالعسل ، وأجوده الكبار الأصفر البالغ الحلو ، وقنوه يحمل من الثلاثين إلى الخمسمائة مورة ، وله ورق طوال جداً ، وأطرافه مدورة ، طول الورقة منه اثنا عشر شبراً ، وعرضها نحو ثلاثة أشبار ، ولا تزال فراخ شجرة الموز تنبت حولها كل واحد منها أصغر من صاحبه^(٤) .

(١) نفع الطيب ١٨٨/٤ .

(٢) نفع الطيب ٤٥/٥ .

(٣) نفع الطيب ١٥٢/١ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ٣٩٤/١ ، تذكرة داود ٣٢٦/١ ، المعتمد في الأدوية المفردة ٥٠٨-٥٠٩ ، معجم النبات والزراعة ٣٨٣/١ .

والموز فى الأندلس كثير وخاصة فى سواحلها ؛ وفى ذلك يقول المقرئ :
وأما الثمار وأصناف الفواكه ، فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد فى
سواحلها قصب السكر والموز المدومان فى الأقاليم الباردة^(١) .

النارج : شجرة مثمرة من الفصيلة السذابية دائمة الخضرة ، تسمو بضعة
أمتار ، أوراقها جلدية خضراء لامعة ، لها رائحة عطرية ، وأزهارها بيضاء عبقرة
الرائحة تظهر فى الربيع ، والثمرة لينة تعرف كذلك بالنارج ، عصارته حمضية
مُرَّة ، وتستعمل أزهارها فى صنع ماء الزهر ؛ وفى زيت طيار يستعمل فى
العطور ، وقشرة الثمرة تستعمل دواء أو فى عمل المربيات أو المخللات^(٢) ،
واللفظة فارسية معربة ؛ وأصلها فى الفارسية نارنكك ، ومعناها أحمر اللون
أو الرمان الأحمر^(٣) .

ويقول عنه ابن العوام : النارج نبات هندى ، وشجرته تطول ، ولها ورق
أملس لين شديد الخضرة ، ويحمل حملاً مدوراً فى جوفه حماض الأترج ،
وكلها متولدة من الأترج لأنها شبيهة به جداً^(٤) .

وأشجار النارج كثيرة فى الأندلس ؛ وورد ذكرها كثيراً فى شعر
الأندلسيين ، ومنه قول أحدهم :

يأربُّ نارنجة يلهو النديم بها كأنها كرة من أحمر الذهب
أو جدوة حملتها كف قابسها لكنها جذوة معدومة الذهب^(٥) .

وقول آخر :

-
- (١) نفع الطيب ١٩٣/٨ .
 - (٢) المعجم الوسيط ٩٤٩/٢ .
 - (٣) محيط المحيط ٨٨٧ .
 - (٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٢٠ .
 - (٥) نفع الطيب ١٤٠/٥ .

وكأنما النارنج فى أوراقه الـ قنديل ، والأوراق شبه مسحّر^(١)

وقول ثالث فى وصف النارنج :

كراتٌ عقيق فى غصون وبرجد بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طوراً وطوراً نشمها فهن حدود بيننا ونوافج^(٢)

والعامة من الأندلسيين يقولون لارنج باللام مكان النون ، والصواب نارنج
بالنون مكان اللام ، ولذلك تم الجنس المركب فى قول الأصمّ المروانى
الشاعر :

وشادن قلت له صف لنا بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لى بستانكم جنة ومن جنى النارنج ناراً جنى
فما تأتى فيه الجنس إلا لأنه بالنون^(٣) .

ثانياً : الفاظ الحلوى

مجموع الفاظ هذا المبحث عشرة ألفاظ هى : آذان القاضى ، الإسفنج ،
البلياط ، بنت الجين ، الحلواء ، الزلاية ، السكر الطبرزد ، السنسوك ،
المجنّات ، الهريسة .

آذانُ القاضى : ضرب من الحلوى معروف عند الأندلسيين ، يعمل عن
طريق عجن دقيق الدرمك بماء وريت دون خميرة ، ثم يمد منها قريصات رفاق ،
مثل قرص الأقرون ، وتكون سمعتها سعة الكف أو أكثر ، وتطوى طيتين ،
ويخلط الطى فى الطى ، وتفتح حواشيها وتقلّى بعد أن يدخل فيها عيدان رفاق

(١) نفع الطيب ٥٢/٧ .

(٢) نفع الطيب ٣٧١/٤ وانظر اللفظة أيضاً فى : ١٨٨/٤ ، ٢٢٤ - ٤٥/٥ ، ٧٧ ، ١٣٢ ، ١٤١ -

٢٣١ ، ٤٩/٧ .

(٣) الجماعة فى إزالة الرطانة ص ٢٦ ، وانظر البيتين فى نفع الطيب ١٣٢/٥ .

لثلا تتغلق الأطراف المفتوحة ، فإذا قليت صنع حشو من الفستق أو من اللوز والسكر ويعجن بماء الورد ويحشى به الأذان ، ومن أراد تقوية الحشو فوهه (أى وضع له الافاويه) ، ثم يُصب فى صحفة ويسقى بشراب الجلاب المزوم العقد بعد أن يرش بماء الورد ، ويلد عليه السكر والعود والقرنفل والدارصيني المسحوق^(١) .

وأطلق على هذا النوع من الحلوى أذان القاضى لأنه يشبه الأذان فى طريقة صنعه ، وأما إضافته للقاضى فاتباعاً لنوع آخر من الحلوى يعرف عند المشرقيين بلقمة القاضى .

ويحدثنا المقرئ عن طرفة تتعلق بهذا النوع من الحلوى بقوله : حضر القاضى أبو الوليد الرقشى قاضى طليطلة مجلس ابن ذى السنون ، فقدّم نوع من الحلوى يُعرف بأذان القاضى ، فتهاقت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندير فيه ، وجعلوا يكثرّون من أكلها ، وكان فيما قدم من السفاكة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر ، فقال له المأمون : يا قاضى ، أرى هؤلاء يأكلون أذنك ، فقال : وأنا أيضاً أكل عيونهم ، وكشف عن الطبق ، وجعل يأكل منه^(٢) .

الإسفنج : يطلق هذا اللفظ فى الأندلس على رقاق مخلخل يصنع من الدقيق المقلو فى الزيت ، وهو شبيه بالإسفنج المتولد فى قعر البحار من حيث الرخاوة والشكل .

ويتخذ من دقيق السمنيد الأبيض النقى الذى يعجن بالماء الفاتر ، ثم يلقى فيه خمير وببيض ، وتطرح لكل مد خمس بيضات ، ثم يعرك العجين ويترك

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، لمجهول المؤلف ، نشر وتحقيق أمبروزيو أويش ميراندا ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، للمجلدان التاسع والعاشر ، ١٩٦١ - ١٩٦٢ م ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) نفع الطيب ٢٧٨/٥ - ٢٧٩ .

حتى يختمر ، ثم يؤخذ لوز وجوز وفستق وصنوبر ويدق الجميع فى مهراس ثم يوضع على عسل يغلّى ، ويوضع هذا المدقوق من أنواع اللوز والجوز والفستق والصنوبر والعسل المتعقد على العجين ، ثم يقطع العجين لقمأ صغيرة ، وتلقى فى الزيت الطيب ، ثم يُعقد لما يخرج من الزيت سكر وماء ورد يلقى عليه^(١) .

وقد ورد ذكر هذا النوع من الحلوى كثيراً على ألسنة الشعراء الأندلسيين ؛ ومنهم أبو عبدالله بن الأرق الشاعر فى قوله :

ولى إلى الإسفنج شو ق دائم يطربنى
وللأرز الفضل إذ تطبخه باللبن^(٢)

البلياط : ضرب من الحلوى معروف عند الأندلسيين ، يشبه القطايف ، ويحشى باللوز والجوز والفستق والزبيب والصنوبر وغيره ، ثم يلقى فى الزيت الطيب ، وبعد القلى يصب عليه سكر معقود بماء الورد .

وورد ذكره على لسان أبى عبد الله بن الأرق الشاعر :

وكذلك البلياط بالزيت الذى يقنعنى
تطبخه حتى يُرى يحمرُّ فى التلون^(٣)

بنت الجبن : اسم أطلقه الأندلسيون على المُجَبَّنات التى هى نوع من القطايف يضاف إليه الجبن الشريشى فى عجينه ، ثم يلقى بالزيت الطيب .

وقد ورد ذكره على ألسنة الشعراء الأندلسيين ، فى قول أحدهم :

وأين بنت الجبن ؟ لما بدت طارت إليها شوقاً الباب^(٤)

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٢٢٩ .

(٢) نفع الطيب ٢٦٩/٤ .

(٣) نفع الطيب ٢٦٩/٤ .

(٤) نفع الطيب ٣٠٣/٦ .

وقول آخر :

واسكت عن الجبن فإن يتته تذهلنسى
ظاھرھا كالسورد أو باطنھا كالسوسن^(١)

الحلواء - الحلوى - الحلوة : كل ما عولج بحلو الطعام ، يمد ويقصر ويؤنث لاغير ، والحلواء : اسم لما كان من الطعام إذا كان معالجا بحلوة ، والحلواء أيضاً : الفاكهة الحلوة^(٢) . ولقد كانت صناعة الحلوى منتشرة فى المدن الأندلسية بشكل ملحوظ ، وكانت تتخذ غالباً من التمر والعسل ، أو من السكر المدقوق ، أو من السكر الأبيض والعسل المصفى^(٣) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ محدودة ومقصورة ومؤنثة فى قوله : «ورب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم»^(٤) . وقوله : «وهيّا كل ما تحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلوات والسكر والدقيق والبسماط ..»^(٥) . وقوله فى الزهد : «وازد فيما بأيدي الناس من العواري ، وسر فى اجتناب الحلواء ، على سبيل السواء»^(٦) .

الزلاية : ضرب من الحلوى معروف عند الأندلسيين ، وصانعها يسمى زلابانى ؛ وتصنع من عجينة دقيق الدرمك ، وتجعل فى إناء مثقوب القمر ، ثم يجعل الإصبع على الثقب ثم ينصب القالى يده على المقلاة ويزيل إصبعه بروية فيجرى العجين من الثقب فى المقلاة ، ويصور من العجين

(١) نفح الطيب ٢٦٩/٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ٩٨٣/٢ ط دار المعارف .

(٣) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٢٢٤-٢٢٦ .

(٤) نفح الطيب ١٦٨/٦ .

(٥) نفح الطيب ١٦٨/٦ .

(٦) نفح الطيب ٣٠٣/٨ .

خواتم وشباك وغير ذلك على ما جرت عادة الأندلسيين في عملها ،
 فإذا نضجت رفعت يرفسق ووضعت في عمل متزوع الرغبة مفوه ، وكان
 الأندلسيون يلونونها عن طريق إضافة ماء البقم أو اللك الهندي أو ماء الفوه أو
 الزعفران أو ماء الرازيانج الأخضر الطرى أو ماء عنب الثعلب إلى عجينة^(١) .

وقد أورد لنا المقرئ بيتين من الشعر لصلصم المرواني قالهما في رلباني
 وهما :

لله سَفَاحٌ بدالى مسحراً فأفاد علم الكيمياء يمينه
 ذهبٌ فضةٌ خده بلواحظى وكذلك تفعل ناره بعجينه^(٢)

السكر الطبرزد : السكر مادة حلوة تستخرج غالباً من عصير القصب
 أو البنجر ، وقصبه يعرف بقصب السكر ؛ واحذته سكرة ، وهو فارسي
 معرب عن شكر ، وماء القصب إذا غُلى واشتد غليه وقذف بالزبد صار
 سَكراً^(٣) .

الطبرزد : السكر الأبيض الصلب ، فارسي معرب ، وأصله تبرزد كانه
 نحت من نواحيه بالفأس ، والتبر الفأس بالفارسية ، وقيل فيه أيضاً : طبرزن
 وطبرزل بالنون واللام إلى جانب الذال والذال : طبرزد ، طبرزد^(٤) . وقد
 وردت هاتان الكلمتان عند المقرئ تعني السكر الأبيض النقي ؛ وذلك في قوله :
 «ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزد لاسُحاق فيه ...»^(٥) .

الستبوسك : كلمة فارسية معربة ، أصلها في الفارسية : سنبوسه ،

(١) كتاب الطبخ في المغرب والأندلس ص ٢١٦ .

(٢) نفع الطيب ١٣٢/٥ .

(٣) تاج العروس ٢٧٥/٣ ، محيط المحيط ٤١٧ ، المعجم الوسيط ٤٥٥/١ .

(٤) تاج العروس ٥٦٩/٣ ، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ١١١ .

(٥) نفع الطيب ٣٤٥/١ .

وهى تعنى فى الفارسية : نوع من الحلوى المثلثة تتخذ من رفاق العجين بالسمن وتُحشى بقطع اللحم واللوز^(١) .

والسنبوسك معروف عند الأندلسيين ؛ وكان يدخل فى تكوين نوع آخر من الطعام عندهم وهو التفايا^(٢) ؛ والسنبوسك نوعان : سنبوسك الملوك ، وسنبوسك العامة ، أما سنبوسك الملوك فيتخذ من السكر الأبيض ، فيوضع عليه ماء الورد ثم اللوز المدقوق كالعجين ، ويحرك برفق حتى يلتف ، ثم ينزل عن النار ، فإذا فترت حرارته جعل فيه سنبل وقرنفل ويسير ونجيبيل وشئ يسير من المصطكى ، ويضرب الجميع ويعرك حتى يتداخل بعضه ببعض ، ويصنع منه قرص على قدر الكعك ، وقد يكون على شكل النانج أو التفاح أو الإجاص^(٣) .

أما سنبوسك العامة فيعمل ثلاثة أنواع : النوع الأول : أن يُحشى الرفاق بالثوم المدقوق والتوابل ويأخذ شكلاً مثلثاً ويقلّى فى الزيت . والنوع الثانى : يعمل بالعجين مخلوطاً مضروباً باللحم المدقوق والتوابل والبيض ويقلّى ويقدم ، والنوع الثالث يعمل بالعجين المعجون بالسمن أو الشحم المذاب ولا يقلّى بل يؤكل نيئاً^(٤) .

وعرف الأندلسيون طريقة أخرى لعمل السنبوسك عن طريق أخذ لحم الحشا أو أى لحم آخر فيدق دقاً جيداً وينقى من عروقه ويجعل معه من الشحم المقطع مثل ثلث اللحم ، ويرمى على الجميع تابل كثير ويزاد من الفلفل وماء بصل وكزبر أخضر وسذاب وملح ، ويخلط ناعماً ويلقى بالزيت وقليل ماء حتى يتجمد ، ويؤخذ سميذ ويعجن بالسمن عجناً جيداً مع قليل فلفل ، ثم

(١) Persin English Dic. P. 700. وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة ٩٥ .

(٢) فتح الطيب ١١٢/٤ .

(٣) ٤ : ٣ . كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٢١٣ .

يؤخذ من هذا العجين قطعة وتمد بمقدار نصف شبر ، ثم يؤخذ من الحشو ويجعل في وسط العجين ، ويدرج أطراف العجين على الحشو ، ثم يقلى في زيت عذب^(١) .

وقد ورد ذكر السنبوسك عند المقرئ بالقاف في قوله عن أهل الأندلس : وما اخترعوه من الطبخ اللون المسمى عندهم بالتفايا ، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب^(٢) .

المجبنات : ضرب من الحلوى مشهور في الأندلس ، ولاسيما فسي مدينة شريش ، والمجبنات كما يقول المقرئ نوع من القطايف يضاف إليها الجبن فسي عجينا ثم تقلى بالزيت الطيب^(٣) . وتتخذ من دقيق السدرمك أو السميد يعجن بشئ من الخمير ، ويسقى بالماء أو باللبن الحليب ، ثم يقطع من العجين قطعة ويدفن في جوفها مثلها من الجبن المعروك ، ويعصر باليد ليخرج منها ماء الجبن ، ثم تقلى في الزيت الطيب ، ثم يذر عليها سكر كثير وقرفة مسحوقة ، ومن الأندلسيين من يأكلها بالعسل أو بشراب الورد^(٤) .

ويحدثنا المقرئ عن مدينة شريش المشهورة بالمجبنات قائلاً : وما اقتصت به إحسان الصنعة في المجبنات ، وطيب جبنها يعين على ذلك ، ويقول أهل الأندلس : من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم^(٥) .

(١) كتاب الطبخ في المغرب والأندلس ١١٧ .

(٢) نفع الطيب ١١٢/٤ .

(٣) نفع الطيب ١٨٠/١ .

(٤) كتاب الطبخ في المغرب والأندلس ٢٠٠ .

(٥) نفع الطيب ١٨٠/١ .

وقد وردت المجنات كثيراً على ألسنة الشعراء الأندلسيين ؛ ومن ذلك قول
أحدهم فيها :

ومصفرة الخدين مطوية الحشا على الجبن والمصفر يؤذن بالخسوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها ولكنها فى الحين تغرب فى الجوف^(١)

الهريسة : معروفة عند المشارقة والمغاربة ؛ ولكنها تختلف فى طريقة
صنعها من مكان إلى مكان . والهريس فى اللغة : الدق العنيف والكسر ، ومنه
الهريس والهريسة ، والهريس : الحب المهروس قبل أن يطبخ ، فإذا طبخ فهو
الهريسة ، وسميت الهريسة هريسة لأن البر الذى هى منه يدق ثم يطبخ ،
والهريس ككثان متخذة وصانعه^(٢) .

والهريسة عند الأندلسيين أنواع عديدة : منها نوع من الحلوى يصنع من
الدقيق والسمن والسكر ، ومنها العجين المقلو فى الزيت ، ومنها ما يتخذ من
لحم العجل السمين أو من لحم الثنى من الضأن أو من لحم صدور الأوز
وأفخاذها ولحم صدور الدجاج وأفخاذها ، ومنها ما يتخذ من الأرز أو من
فئات خبز الدرمل عوضاً عن القمح^(٣) .

واختلاف أنواعها يرجع إلى تفاوت طبقات المجتمع الأندلسى ، ولكن
أشهر أنواع الهريس عندهم هى التى تؤخذ من لباب القمح مع اللحم الأحمر
النقى يجعلان على نار قوية حتى ينحل اللحم ثم يعرك عركاً قوياً حتى يمتزج
ويتداخل ، ثم يصب عليهما ما يغمرهما من الشحم الطرى المذاب ، ثم تفرغ
فى قصعة ويلد عليها قرفة مسحوقة^(٤) .

(١) فتح الطيب ٢٣/٨ وانظر أيضاً : ٢٦٩/٤ - ١٢/٥ - ٣٠٣/٨ .

(٢) تاج العروس ٢٧١/٤ .

(٣) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ١٩١-١٩٢ .

(٤) السابق ١٩١-١٩٢ .

ثالثاً : الفاظ الطبخ

مجموع الفاظ هذا المبحث ثلاثة عشر لفظاً هي : الأرز المطبوخ باللبن ، لون الباذنجان ، التفايا ، الثقلية ، ثريد الرأس ، الزبزن ، طوابق الكبش الشنى ، العصيدة ، الكسكو ، المثلث ، المشومات ، المرى ، المزوار .

الأرز المطبوخ باللبن : من المطبونات المعروفة عند الأندلسيين ، تتم عن طريق أخذ الأرز المغسول بالماء الحار ويجعل فى قدر ، ويصب عليه من اللبن الحليب الصريح حين حله ، وتجعل هذه القدر فى برمة نحاس فيها ماء قدر نصفها أو أكثر قليلاً ، وتجعل البرمة على نار والقدر بالأرز واللبن فيها محجوباً عن النار ، ويترك يطبخ دون تحريك ، فإذا جف اللبن ريد لبن آخر ، وهكذا حتى ينحل الأرز وينضج ، ويضاف إليه ريد طرى يطبخ معه ، فإذا نضج الأرز وانحل أنزلت القدر وعرك بالمغرفة حتى ينحل حيث يصب فى قصعة ، ويذر عليه سكر مسحوق وقرفة وريد^(١) .

وقد ورد هذا اللون من الطبخ فى شعر أبى عبد الله بن الأرق فى قوله :

ولى إلى الإسفنج شو ق دائم يطربنى
وللأرز الفضل إذ تطبخه باللبن^(٢)

وقول آخر :

واين الالبان لأكوابها فى برم الأرز تسكاب^(٣)

لون الباذنجان : الباذنجان ضرب من الخضر ، تؤكل ثماره ، ومنه الأسود

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ١٨٤-١٨٥ .

(٢) نفع الطيب ٢٦٩/٤ .

(٣) نفع الطيب ٣٠٣/٦ .

والأبيض ، وهو الأنثى والمقد ، واحده باذنجانة ؛ وهو معرب عن الفارسية باتنجان^(١) .

وكان الباذنجان أكثر ما يؤكل مطبوخاً في الأندلس ، عن طريق سلقه وطرح قشره الأعلى ، ويجعل في برمة ، بها مغرفة ونصف زيت ومغرفتان من مرّ وفلفل وكراويا وشئ من بصل مدقوقة وملح ، ويرفع على النار فإذا غلى يحرك حتى ينضج ، فإذا نضج يخمر به محاح البيض مع فتات جور ، فإذا جعل في الصحفة ذر عليه فلفل^(٢) .

ويبدو أن طبخ الباذنجان كان من الأطعمة التي يصعب اكتشاف السم بها ، فيحدثنا المقرئ عن ابن الصائغ أنه مات مسموماً في باذنجان^(٣) . وكذلك ابن باجة مات مسموماً في باذنجان على يد ابن معيوب خادم أبي العلاء بن زهر ، بسبب عداوة ابن باجة لابن زهر ، وفي ذلك يقول الوزير أبو الحسن بن الإمام الغرناطي يهجو مراكش المحروسة :

يا حاضرة الملك ما أشهاك لى وطناً لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر وأكلة من باذنجان ابن معيوب^(٤)

ورغم ذلك فقد كان الباذنجان مستحسناً عند الأندلسيين ؛ وفيه قال بعضهم :

ومستحسن عند الطعام مُدحرج غذاء نعيم الماء فى كل بستان
تطلّع فى أقماعه فكانه قلوب نعاى فى مخاليب عقبان^(٥)

(١) المعجم الكبير ١٨/٢ .

(٢) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٩٣ .

(٣) نفع الطيب ٢٥٤/٩ .

(٤) نفع الطيب ١٦٢/٥ .

(٥) نفع الطيب ٢٣٤/٥ .

ومارالت الأسبانية تحتفظ بهذا اللفظ حتى اليوم نقلاً عن العربية ؛ وهو فى
الأسبانية : berejena^(١) .

التفايا : ضرب من الطيخ المعروف عند الأندلسيين ، علمهم إياه زرياب
الموسيقى المشهور ، واستعملت هذه اللفظة عندهم جمعاً لا مفرد لها .
والتفايا لون من الطيخ معتدل الغذاء موافق للمعدة الضعيفة ؛ ويؤخذ من لحم
الضأن الفتى السمين ، ويقطع قطعاً صغيراً ، ويجعل فى قدر نظيفة يملح
وفلفل وكزبرة يابسة ويسير من ماء بصلة مدقوقة ، ومغرفة زيت عذب ، وقدر
الكفاية من الماء ، ويجعل على نار لينة ، ويستفقد بالتحريك ، ويجعل فيه من
البنادق وشئ من اللور المقشور المقسوم ، فإذا نضج اللحم وكمل طبخه أنزلت
القدر على الرصف حتى يفتّر ، وتخضّر هذه التفايا بماء الكزبرة الرطبة وحده أو
مع شئ من ماء النعنع^(٢) .

وكان الأندلسيون يفضلون التفايا الخضراء ، وتخضيرها يكون بوضع
الكزبرة الرطبة عليها ، وفى ذلك يقول ابن عمار :

شئت المثلث للزعفران ومِلْتُ إلى خضرة فى التفايا^(٣)

ويحدثنا المقرئ عن نوع آخر من التفايا مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى
بالسنبوسق والكباب^(٤) ، عن طريق جعل اللحم فى قدر ، ويجعل معه تابل
ويصل مقطع وزيت وعود بسباس ويغمر بالماء ، ويطنخ حتى يبلغ نصف طبخه ،
ويدق من الكزبر الأخضر قبضة كبيرة ، ويعصر ماؤها ويرمى فى القدر ،

(١) مدخل إلى الألفاظ الأسبانية المأخوذة من العربية ، د. محمود على مكى ، مجلة مجمع اللغة

العربية ، ج ٦٤ ، مايو ١٩٨٩ م ، ص ٢٦٧ .

(٢) كتاب الطيخ فى المغرب والأندلس ٨٥-٨٦ .

(٣) نفع الطيب ٢٩١/٤ - ٢٩٢ .

(٤) نفع الطيب ١١٢/٤ .

ويحرك دائماً ، فإذا قرب من النضج يرمى فيها البنادق المعهودة والسنبوسك ، وبعد غرفه يثر عليه فلفل^(١) .

لَوْنُ التَّقْلِيَةِ : كلمة لون تعنى عند الأندلسيين صنفاً واحداً من الطبخ أو من الطعام ، والتقلية ضرب من الطعام مشهور عندهم ، وأول من استعمله فى الأندلس زرياب الموسيقى المشهور تلميذ إسحاق الموصلى ، وهو عبارة عن فول مملوح يُقلى ، وأهل الأندلس يسمونه الزرياب ، وقد أخذ عليهم ابن هشام اللخمي قولهم الزرياب ، والصواب الزريابى بياء النسب ، وذلك فى قوله : ويقولون للفول المقلو المملوح الزرياب ، والصواب الزريابى ، منسوب إلى زرياب غلام إسحاق الموصلى ، وهو أول من اتخذه فنسب إليه^(٢) .

ويحدثنا المقرئ عن الأطمعة التى أدخلها زرياب إلى الأندلس ، أولها لون التفايا ، ويليهِ عندهم لون التقلية المنسوبة إلى زرياب^(٣) .

وقد اشتق الأندلسيون من اسم زرياب الفعل زَرَب ، وصار يعنى عندهم : شوى أو حمص أو قلا^(٤) .

الثريد - ثريد الرأس : فى التاج : ثرد الخبز : فثته ثم بله بمرق ثم شرفه وسط القصعة ، وهو الثريد والثريدة والثردة . والثريد : ماقت من الخبز وبُل بالمرق ؛ قال الشاعر :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد^(٥)

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ١١٨ .

(٢) ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي ٣٥ .

(٣) نفع الطيب ١١٢/٤ :

(٤) تكلمة المعاجم العربية ٥/ ٣٧٠ (الترجمة العربية) .

(٥) تاج المروس ٢/ ٣١٠ ، المعجم الكبير ٣/ ٢٣٧-٢٣٩ .

وقد كان الثريد من أحب الأطعمة عند عامة الأندلسيين ، ولاسيما إذا اتخذ من لحوم الرأس .

وكان الثريد يتم عمله عندهم عن طريق تقطيع اللحوم قطعاً وتجعل فى قدر بملح وبصلة وفلفل ورعفران وكمون وثوم وخل وزيت كثير ، ويرفع على نار معتدلة ، فإذا نضج اللحم جعل فيه من البقل ، فإذا نضج الجميع أنزل عن النار وسقى به الثريد المفتت من الخبز المختمر ، ويعاود السقى حتى يستوفى حقه^(١) .

وفى الثريد قال أحد الشعراء الأندلسيين :

هل للثريد عودة إلى قد شوقنسى
فغوص فيه أغلى غوص الأكل المحسن^(٢)

ويورد المقرئ وصية لسان الدين بن الخطيب فى الزهد ؛ ومنها :

وارفض فى الشواء دواعى الأهواء ، وكن على الرأس وصاحب ثريد الرأس شديد المراس . . .^(٣) والهراس : صانع الهريسة وبائعها .

الزُبْرَن : اسم طعام عند أهل المغرب والأندلس ، قيل هو الكسكو ، وقيل هو الخبز الفتيت المخلوط بالزعفران ، وقيل هو طعام متبل يتخذ من البندق المدقوق والخبز الفتيت والعسل ، وقيل هو دقيق من البندق يخلط بدقيق الحنطة والزيت وشئ من التوابل ، ويسمى فى إفريقية بزبن ، وقيل هو خليط من الدقيق والزبيب المطبوخ مع قليل من صباغ الأعشاب المتبلة ، وأحياناً يخلط قليل من الزيت أو شحم الغنم المذاب ، وهذا غالباً طعامهم فى الجهد ،

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ١٨٠ .

(٢) نفح الطيب ٢٦٨/٦ .

(٣) نفح الطيب ٣٠٣/٨ .

وأحياناً يتخذ من الدقيق ، وهو عشاؤهم ووجبة اليوم الرئيسية ، وقيل هو حساء يتخذ من الدقيق والسمن والسكر^(١) .

ورود ذكر هذا اللون من الطعام فى شعر أبى عبد الله بن الأرق ، ويفهم منه أنه ضرب من اللحم المنقى من عظمه (الخليع) المخلوط بأنواع كثيرة من التوابل ، ويتضح ذلك من خلال قوله :

والزبزن فى الصحا ف حَسَبَ أهل البطن
فاسمع قضاء ناصح يأتى نصيح يُّسِن
من اقتنى النقى منه فهو نعم المقتنى^(٢)

طوابق الكبش الفنى : الطوابق جمع طابق ، وهو الوعاء الكبير يطبخ فيه ، والكبش فحل الضأن ، والثنى الذى يلقى ثنيته ، ويكون ذلك فى السنة الثالثة ، والثنية الأضراس الأربعة التى فى مقدم فم الكبش ؛ اثنتان من فوق واثنتان من أسفل^(٣) . والمقصود بالتركيب كله : الطواجن التى تطبخ بلحم الكباش الصغيرة ، ذات الثلاث السنوات .

وقد كان هذا اللون من الطعام يصنع خصيصاً لزياب الموسيقى المشهور ، عن طريق أخذ لحم كبش فنى سمين ، ويجعل فى قدر بملح وبصلة وكزبرة يابسة وفلفل وكراويا وزيت ومرّى ، ويرفع على نار معتدلة ، ويؤخذ من الكرنب عيونه الرخصة وتنقى من ورقه وتقطع مع الرؤوس منها صغاراً ويغسل ، فإذا هم اللحم أن ينضج جعل عليه الكرنب ، ثم يدق لحم أحمر من بضعه الرخصة ويضرب فى صحفة مع بيض ولباب خبز ولور وفلفل وكزبرة

(١) تكملة المعاجم العربية ٥/ ٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) نفع الطيب ٤/ ٢٦٩-٢٧٠ .

(٣) محيط المحيط ٨٦ ، المعجم الوسيط ٢/ ٥٧٠ ، ٨٠٥ .

وكرأويا ويحمر به القدر قليلاً قليلاً ، ويترك على الرضف حتى يجف مرقه ويعلو دسمه^(١) .

وقد ورد ذكر هذا اللون من الطبخ عند المقرئ على لسان أحد الشعراء الأندلسيين فى قوله :

وتحسن الفكرة بالـ عدوس والسمنسى
واللحم مع شحم ومع طوابق الكبش الثنى
والبيض فى المقلاة بالزيت اللذيذ الدهن^(٢)

العصيدة : هى التى تعصدها بالمسواط فتمررها فتقلب لا يبقى فى الإناء شئ منها إلا انقلب ، وفى حديث خولة : فقربت له عصيدة ، وهى دقيق يلت بالسمن ، ويطبخ ، ويقال عصدت العصيدة وأعصدها أى اتخذتها^(٣) .

ولقد كانت العصيدة من الأكلات الشعبية المعروفة فى الأندلس ، وكانت تتخذ من العسل المصفى المنزوع الرغوة ، ويضاف إليه زيت وسمن طرى ، ويرفع على نار لينة فإذا غلى جعل فيه من لباب الخبز الصافى المختمر المحكوك ولور مقشر مدقوق ومحاح بيض ، ويحرك ولا يغفل فى تحريكه حتى يقشع ريثه ويلتئم وينعقد ، ثم ينزل ويترك حتى يبرد ، ويذر عليه من السكر المسحوق ومن أنواع الدسم والأدهان^(٤) .

وهناك لون آخر من العصيدة يعرف عندهم بالعصيدة المجششة ، وتؤخذ من القمح المجشش والماء واللبن الحليب ويضاف إليها عسل منزوع الرغوة ،

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ١٦٠ .

(٢) نفح الطيب ٢٦٨/٤ .

(٣) تاج العروس ٤٢٣/٢ .

(٤) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ١٩٤ .

ومن دسم اللحم المطبوخ مع شحمه ، وبعد أن تنزل من على النار يلقى عليها زبد طرى وسكر مدقوق وفانيد أبيض وقرفة مسحوقة^(١) .

وقد ورد ذكر العصيدة على السنة الشعراء الأندلسيين ، وفيها يقول أحدهم :

وثنَّ بالعصيدة الدَّ حتى بها تطربنى
لأسيما إن صنعت على يدى عمركن^(٢)

والمركن فى الصنعة هو المتمكن القدير .

الكسكو : طعام يتخذ المغاربة من الدقيق ، ويسمونه الكسكو ، وبعضهم يسميه الكسكاس ، وله وجه فى العربية أن يكون مشتقاً من الكس وهو الدق الشديد^(٣) .

وفى تذكرة داود : كسكو اسم بالمغرب لما يרטب من الدقيق بنحو السمن ويقتل مستديراً ، ثم يعطى فوَّار الماء ويعرق بأوراق اللحم ، وأجوده المأخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تحويره^(٤) .

وطعام الكسكو مغربى الأصل ، ثم انتقل إلى الأندلسيين ، ومنه نوع يسمى الكسكو الفتيانى ، وهو أن يطبخ اللحم ببقله ، فإذا نضج أخرج اللحم والبقل من القدر وجعل فى ناحية ، وصنَّى المرق مما فيه من عظام أو غيرها وزد القدر على النار ، فإذا غلى جعل فيه الكسكو المطبوخ المحكوك بالدسم ، ويترك قليلاً على نار قليلة أو على الرصف حتى يتشرب ويأخذ حقه من المرق حيثنذ يصب فى قصعة ويجعل عليه لحمه المطبوخ وبقله ، ويدر عليه قرفة^(٥) .

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ١٩٤ .

(٢) نفع الطيب ٢٦٩/٤ .

(٣) تاج العروس ٢٣٤/٤ .

(٤) تذكرة داود ٢٧٣/١ .

(٥) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ١٨١ .

وقد ورد ذكر الكسكسو عند المقرئ على لسان أحد الشعراء فى قوله :

وهات ذكر الكسكسو فهو شريف ومنى
لاسيما إن كان مصد تنوعاً بقتل حسن
أرفع منه كوراً بهن تدوى أذنى^(١)

وورد عنده بزيادة النون على آخره : الكسكسون ؛ وذلك على لسان أحد شيوخ دمشق أنه قال : نزل بى مغربى فمرض حتى طال على أمره ، فدعوت الله أن يفرج عنى وعنه بموت أو صحة ، فرأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقال : أطعمه الكسكسون ، يقوله هكذا بالنون ، فصنعت له ، فكأنما جعلت له فيه الشفاء^(٢) .

المثلث : ضرب من الطعام مشهور عند الاندلسيين ؛ وصفته أن يؤخذ من لحم الغنم الفتى السمين ويقطع تقطيعاً صغيراً ، ويجعل فى قدر بملح وقطعة بصل وفلفل وكزبرة يابسة وقرفة وزعفران وريث ، ويرفع على نار معتدلة فإذا قارب النضج أخذ من رؤوس الخس وعساجله دون ورق وتقشر وتقطع ، وتضاف إلى اللحم فى القدر ، فإذا نضج الخس جعل فيه من الخل الطيب ، فإذا كمل طبخه خمر ببيض مضروب وزعفران وسنب^(٣) .

ويحكى لنا المقرئ طرفة فى معرض ذكره للمثلث ؛ أن ابن عمار الشاعر ساير فى بعض أسفاره غلامين من بنى جهور أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره ، فجعل يميل بحديثه لمخضر العذار ، ثم قال ارتجالاً :

شئت المثلث للزعفران وملت إلى خضرة فى التفايا

(١) نفح الطيب ٢٦٩/٤ .

(٢) نفح الطيب ٢٤٣/٧ .

(٣) كتاب الطبخ فى المغرب والاندلس ٢٢٢ .

ومعناه أنه أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعدار الأشقر منهما ،
وأحب خضرة التفايا ، وهو لون طعام يعمل بالكزبرة ، لشبهها بعدار الاخضر
منهما^(١) .

المثومات : ضرب من الطعام المعروف فى الأندلس ، وصفته أن تؤخذ
دجاجة سميئة ، ويخرج ما فى جوفها وينظف ويترك ، ثم يؤخذ أربع أواق من
الثوم المقشور ويدق ويخلط مع ما أخرج من جوف الدجاجة ويقلى فيما يغمره
من الزيت حتى تذهب رائحة الثوم ، ويجمع ذلك مع الدجاجة فى قدر نظيفة
بملح وفلفل وقرفة وسنبل وزنجبيل وقرنفل وزعفران ومن اللوز المقشر مدقوق
وغير مدقوق ، وشئ يسير من المرى النقيع ، وتطبق القدر بالعجين ، وتدخل
الفرن وتترك حتى ينضج ما بها ، ثم يخرج ، وتفتح القدر وتصب فى صحفة
نظيفة ، فتتم منه رائحة طيبة نعم الموضع^(٢) .

وقد ورد ذكر المثومات عند المقرئ على لسان أحد الشعراء الأندلسيين فى
قوله :

فابدأ من المثوما ت بالجنّ الممكن
من فوقها الفروج قد أنهى فى التسمن^(٣)

المرى : اسم طعام معروف عند المشارقة والمغاربة ، وإن كانت طريقة عمله
تختلف من مكان إلى مكان .

وفى التاج : المرى كدُرَى إدام كالكامخ يؤتد به ، كأنه منسوب إلى المرارة ،
والعامة تخففه ، وأنشد أبو الفوت :

(١) نفع الطيب ٢٩١/٤ - ٢٩٢ .

(٢) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٤٦ .

(٣) نفع الطيب ٢٦٩/٤ .

وأم مثواى لباخية وعندها المرى والكامخ^(١)

وقيل المُرَى اسم نبطى ، وقيل بل عربى اشتق من معنى المارة ، وقيل بل أصله الممرى ، لكن غلب استعماله بميم واحدة ، والمرى النبطى هو المعمول من الشعير^(٢) .

وذكره ابن البيطار فى مفرداته وقال إنه يعمل من السمك المالح أو اللحوم المالحة ، ولم يبين كيفية إحضاره ، وذكر للجاحظ رسالة فى المرى قال فيها : هو جوهر الطعام ، وروح البارد المستطرف والحرار المستضعف ، يصلح بالليل والنهار ، ويطيب البارد والحر ، ويدبغ المعدة ، ويشهى الطعام ، ويغسل أضرار الجوف الفاسدة ، وينشف البلغم ، ويذهب بخلوف الفم^(٣) .

وقيل المرى : شئ يعمل بالخبز والملح والماء ، يخلط جميعاً ، ويوضع فى الشمس الصيفية إلى أن يدرك ، ثم يُصَفَّى ، فيكون ماؤه مُرِيّاً ، ويسمى ثُفْلُهُ نِيا^(٤) .

وقيل المُرَى مستحضر يستعمل فى صنع الاطعمة ، وقيل هو مركب يصنع من الدقيق والملح والعسل والتمر .

وقد كان المرى معروفاً فى الأندلس ، وكان منه نوعان : نوع يتخذة الأغنياء والخاصة ويصنعونه من النقيع أو من عصير العنب المخلوط بالأفاويه دون خبز محروق ، ونوع يتخذة العامة والفقراء ويصنعونه من العسل المحروق

(١) تاج العروس ٥٣٨/٣ .

(٢) كتاب الطيبخ لمحمد بن الحسن البغدادي ، تصحيح ونشر د. داود الجلبى ، مطبعة أم الريمين ، الموصل ، ١٩٣٤ م ، ص ١٣ (هامش) .

(٣) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٤٩/٤ ، للمعتمد ٤٩١-٤٩٢ .

(٤) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية للقمرى ، بتحقيق وفاء تقي الدين ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د. ت ، ص ٥٣-٥٤ .

والخبز المحروق أيضاً ، ولم يكن له طعم أو فائدة ، مثل المرى الذى كان يصنع فى بيوت الأغنياء والحكام^(١) .

وكان المرى يدخل فى كثير من الأطعمة الأندلسية الأخرى ، كاللحوم والتوابل وغيرها ؛ وقد أورد لنا صاحب كتاب الطبخ عدداً كثيراً من المطبوعات التى يكون المرى جزءاً هاماً منها ؛ كالمرى المزوج باللحم^(٢) .

وقد ورد ذكر المرى عند المقرئ فى ثلاثة مواضع ؛ الموضع الأول فى قوله : وأنها أخرجت فى بعض الأيام مائة كور مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة ، وموهت ذلك كله بالمرى والشهد وغيره من الأصباغ المتخذة بقصر الخلافة .^(٣) . والموضع الثانى فى قوله : «سمعت ابن حكم يقول : بعث بعض أدباء فاس إلى صاحب له :

أبعث إلى بشئ مدار فاس عليه
وليس عندك شئ مما أشير إليه

فبعث إليه ببطة من مرى^(٤) . والموضع الثالث فى قوله : وحُدثُ أن قاضيهما أبا محمد عبد الله بن الملجوم حضر وليمة ، وكان كثير البلغم ، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر غضاراً من اللون المطبوخ بالمرى لمناسبته لمزاجه .^(٥) .

المزوار : طبخ يتخذ من ألوان الحبوب والبقول ، بغير لحم ؛ وهو عند الأطباء : كل غذاء دبرٌ للمريض بدون لحم ، وهو ينفع من الحمى الحادة ،

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٨٢ .

(٢) السابق ١٢٠ .

(٣) فتح الطيب ٨٠ / ٤ .

(٤) فتح الطيب ٢١٨ / ٧ .

(٥) فتح الطيب ٢١٩ / ٧ .

والمزورات هي الاطعمة التي لا يكون فيها شئ من اللحوم^(١) .

وقد كان هذا اللون من الطيخ معروفاً عند الأندلسيين ؛ ولكن لم يكن يقبل عليه إلا الزهاد والطبقات الفقيرة في المجتمع ، وكذلك مرضى الحمى ؛ لأنه لا يدخله أى نوع من اللحوم .

وقد ورد ذكره عند المقرئ على لسان أحد الزهاد في قوله : «فلعمري لقد حصلت النسبة ، ورضيت هذه المعيشة الحسبة ، ومن يكن المزوار ذواقه ، كيف لا يشق البدر أطواقه ، وينشر القبول عليه رواقه .»^(٢) .

رابعاً : الفاظ اللحوم والاسماك والبيض

مجموع الفاظ هذا البحث أحد عشر لفظاً هي : البيض ، الحجل ، الحيتان ، الدجاج ، السمك ، الشواء ، الفتل ، الفروج ، القنلية ، الكباب ، اللحم .

البيض : ما تضعه إناث الطير وغيرها ؛ واحده بيضة ، وهو من الأطعمة المعروفة عند الأندلسيين ، وكانوا يفضلون البيض المقلو في الزيت الطيب .

وقد أورد المقرئ على لسان أحد الشعراء قوله :

ونحسن الفكسة بالـ	عدوس والسمنسنى
واللحم مع شحم ومع	طوابق الكبش الشنى
والبيض فى المقلاة بالز	يت اللذيذ الدهن ^(٣)

(١) الجامع لمفردات الأدبية والأغلبية ١/ ٣٥ ، كتاب التتوير فى الاصطلاحات الطبية ٥٣ ، تكملة المعاجم

العربية ٣٨٣/٥ - ٣٨٤ .

(٢) فتح الطيب ٨/ ٣٤٣ .

(٣) فتح الطيب ٤/ ٢٦٨ .

الحَجَل : ضرب من الطيور فى حجم الحمام ، من رتبة الدجاجيات ، ومنه أنواع عدة ، أحمر المنقار والرجلين ، طيب اللحم ^(١) .

وكان الأندلسيون يقلبون على أكل لحوم الحجل لطيبها ، وكانوا يفضلونها مشوية ؛ وصفة شيها : أن تنظف الحجلة وتدخل فى سفود ، ويخرج حشاها ويضرب بببضتين وفلفل وقرقة ودار صينى وسنبل ومغرتى زيت ومغرفة مرى ، وتشوى الحجلة على نار معتدلة ، ويدهن داخلها وخارجها بذلك الحشو حتى تشربه ، وتحمّر ، وتوضع فى صحنه ويلد عليها فلفل وقرقة ^(٢) .

وقد ورد ذكر الحجل عند المقرئ فى معرض حديثه عن اللحوم المقدمة للصبيان الصقلية ، فى بناء مدينة الزهراء : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أرتال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان ^(٣) .

الحيتان : الحيتان جمع حوت ، وهذه اللفظة حملت دلالة واسعة عند الأندلسيين تشمل كل أنواع السمك ؛ فهم يقولون الحوت ويعنون به السمك بكل أنواعه ، ويتضح ذلك من خلال حديث المقرئ عن الأندلس فى قوله : وحيثما سار المسافر من الأقطار يجد الحوانيت فى الفلوات والصحارى والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة... ^(٤) . وقوله : وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ، ودخلتهم من اللحم كل يوم ... حاشا أنواع

(١) المعجم الوسيط ١/١٦٤-١٦٥ .

(٢) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس : ٧٠ .

(٣) نفع الطيب ٢/١٠٤ .

(٤) نفع الطيب ١/٢١٦ .

الطير والحوث ثلاثة عشر ألف وطل...^(١) . فالحوث فى هذين النصين تعنى السمك بكل أنواعه .

الدجاج : الدجاج طائر معروف ، وهو اسم جنس واحده دجاجة . وسميت بذلك لإقبالها وإدبارها ، والجمع دجاج ودجاج^(٢) .

ولقد كان الدجاج من الأطعمة المعروفة عند الأندلسيين ، ولهم فى طبخه طرق متعددة ، فكان عندهم الدجاج المشوى بالتوابل المختلفة على السفود ، والدجاج المشوى فى القدر فى الفرن ، والدجاج المطبوخ بخلطة الثوم^(٣) .

وكانوا يفصلون صدور الدجاج ويأكلونه وحده مشوياً بالتوابل . ومخلّياً - كما نفعل اليوم - ، ويحدثنا المقرئ عن الوزير أبى جعفر ابن سعيد لما سُجن فى مالقة ، ودخل عليه ابن عمه فبكى لما رآه مكبولاً ، فقال أبو جعفر : أعلى تبكى بعدما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها ، فأكملت صدور الدجاج ، وشربت فى الزجاج ، ولبست الديباج...^(٤) .

ومن حكايات أهل الأندلس فى العفو أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن إلى النحلى البجليوسى الشاعر ، ثم إن النحلى سار إلى إشبيلية ، فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه :

أباد ابن عباد البربرا وأبنى ابن معن دجاج القرى

ونسى ما قاله ، حتى حلّ بالمرية ، فأحضره ابن صمادح لمناذمته ، وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير الدجاج ، فقال النحلى : يامولاي ، ما عندكم فى

(١) نفع الطيب ١٠٢/٢ .

(٢) اللسان ١٣٢٨/٢ ، التاج ٣٨/٢ .

(٣) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٢٩ ، ٤٦ .

(٤) نفع الطيب ٣٣٩/٥ .

المرية لحم غير الدجاج ؟ فقال : إنما أردنا أن نكلبك فى قولك : وأبنى ابن
معن دجاج القرى^(١) .

السَّمَكُ : حيوان مائى ، وهو أنواع كثيرة ، لكل نوع اسم خاص يميزه ،
والجمع سمك وسموك وأسماك ، والواحدة سمكة^(٢) .

ومن أشهر الأماكن الأندلسية المعروفة بالسّمك المملّح جزيرة شلطيّش ،
وهى - كما يقول المقرئ - أهلة ، وفيها مدينة ، وبحرها كثير السمك ، ومنها
يحمل مُملّحاً إلى إشبيلية^(٣) .

وكذلك مدينة إشبيلية رغم أنها كانت تستجلب السمك المملوح من جزيرة
شلطيّش فإنها كانت غامرة بأنواع السمك الأخرى ، بسبب نهريها الذى يضاهى
دجلة والفرات والنيل ، وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى^(٤) .

الشَّوَاءُ : كل لحم يعلّق فى التنور ونحوه فيشوى ، والقطعة من الشواء :
شواء ، وشوَاهم وأشواهم : أطعمهم الشَّوَاء ، وما يُقَطع من اللحم شَوَاية ،
وما يقطعه الجازر من أطراف الشاء شَوَاية بالضم^(٥) .

وقد عرف المجتمع الأندلسى طرقاً متعددة لشوى اللحوم : الدجاج ،
والكباش الفتية السمينة ، الحمام ، الحجل ، اليمام ، العصفير ، وغيرها ،
وكان الشواء من بسائط الأطعمة عندهم ، وكان يؤخذ اللحم الفتى السمين
ويشرح بسكين قاطعة تشريحاً رقيقاً ، ويكون اللحم مخالطاً الشحم دون عظم
من المواضع الرخصة ، ويجعل فى غضار ، ويصب عليه قدر الحاجة من المرى

(١) نفع الطيب ١٥٨/٥ - ١٥٩ .

(٢) المعجم الوسيط ٤٦٧/١ .

(٣) نفع الطيب ١٦٥/١ .

(٤) نفع الطيب ٢٠١/١ .

(٥) اللسان ٢٣٦٧/٤ ، التاج ٢٠٤/١٠ ، كتاب التنوير ٥٠ .

النقيع والحلل والزعتر والفلفل والثوم المدقوق ويسير من الزيت ، ويضرب الجميع ويغمز فيه الشرائح ، ثم تنظم فى سفود نظماً لا تكون متداخلة لكى تمكنها النار ، ويدار السفود بها على نار فحم إدارة دائمة حتى تنضج وتحمّر ، وكذلك يصنع فى أنواع اللحوم الأخرى^(١) .

وكان الأندلسيون يفضلون أكل الشواء مع الرقاق ؛ وفى ذلك يقول أحد شعرائهم :

وللأرز الفضل إذ تطبخه باللبن
وللشواء والرقا ق من هيام أنثنى^(٢)

القتل : مصدر للفعل قَتَلَ ، وهى تعنى عند الأندلسيين اللحم المفروم الذى يُقَتَّل ويدخل فى صناعة طعام الكسكسو ؛ وشاهد ذلك قول أحد شعرائهم :

وهاه ذكّر الكسكسو فهو شريف وسنى
ولاسيما إن كان مصد نوعاً بقَتْل حسن
أرفع منه كوراً بهنٌ تدوى أذنئى^(٣)

الفروج : فرخ الدجاج ، وهو الفتى منه ، والجمع فراريج ، ويقال دجاجة مُفْرِج أى ذات فراريج^(٤) .

وقد كان الأندلسيون يفضلون أكل الفراريج مشوية ، وكانت الفروجة الفتية السمينة تؤخذ وتنظف وتسلق فى قدر بماء وملح وأبزار ، ثم تخرج من القدر ، وتصب مرققتها مع دسمها فى صحفة ، ويضاف إلى الصحفة أنواع

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٢٨ .

(٢) نفع الطيب ٢٦٩/٤ .

(٣) نفع الطيب ٢٦٩/٤ .

(٤) اللسان ٣٣٧١/٥ ، التاج ٨٤/٢ .

التوابل ثم تمرغ فيه الدجاجة المسلوقة ، ثم تحكم فى سفود وتدار على نار فحم معتدلة بحركة دائمة ، وتدهن دائماً حتى تنضج وتحمّر^(١) .

وقد ورد ذكر الفروج عند المقرئ على لسان أحد الشعراء فى قوله :

وجلدة الفروج مشبوحاً كثير السمن
من منقلى أقدية من ذا الجوع والتمسكن
وعلة قد استوى فيها الفقير والغنى^(٢)

وقوله :

وإن ذكرت غير ذا أطعمه فى الوطن
فابدأ من الثوم ما ت بالحن الممكن
من فوقها الفروج قد أنهى فى التسمن^(٣)

الفتية : حيوان أدق من الأرنب ، وأطيب فى الطعم ، وأحسن وبراً ، وكثيراً ما تلبس فراؤها ، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى ، ولا توجد فى بر البربر إلا ما جلب منها إلى سبتة فنشأ فى جوانبها^(٤) .

وهى تؤكل عند الأندلسيين مشوية ومطبوخة .

الكباب : الكباب بالفتح الطباهجة ، وهو اللحم المشروح المشوى ، قيل : فارسى معرب ، ومن المجاز : كيبوا اللحم ، والتكبيب عمله من الكباب ، وهو اللحم يكب عليه الجمر أى يلقى عليه^(٥) . وقيل الكباب من اللحم ، ما يلقى على الجمر فينضج^(٦) .

(١) كتاب الطيبين فى المغرب والأندلس ٢٩ .

(٢) نفع الطيب ٢٦٨/٤ .

(٣) نفع الطيب ٢٦٩/٤ . (٤) نفع الطيب ١٩٢/١ .

(٥) المخصص ١٢٧/١٤ ، شفاء الغليل ١٧٤ ، تاج العروس ٤٤٣/١ .

(٦) كتاب التوير فى الاصطلاحات الطبية ٥٠ .

وقد كان الكباب معروفاً عند الأندلسيين ، وكان يدخل فى تحضير نوع من الطبخ يُعرف عندهم بالتفايا ؛ وفى ذلك يقول المقرئ : وما اخترعوه من الطبخ اللون المسمى عندهم بالتفايا ، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلّى بالسنبوسق والكباب^(١) .

اللحم : اللحم من جسم الحيوان والطيور : الجزء العضلى الرخو بين الجلد والعظم ، والجمع ألحمٌ ولُحومٌ ولحامٌ ولُحمانٌ . واللحمة القطعة منه ، وفى الحديث : سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم^(٢) .

وقد كان اللحم عند الأندلسيين هو سيد الأطعمة ، ولا تخلو الموائد منه ، وقد كانت لهم فى صنعه طرق عديدة ، وكان متوافراً عندهم بشكل ملحوظ ، فالمقرئ يحدثنا أنه حيث سار المرء متنقلاً بين الأقطار الأندلسية يجد الحوانيت فى الفلوات والصحارى والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة^(٣) .

وقال بعض من أرخ للأندلس : كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمئة وخمسين فتى ، ودُخِلَهم من اللحم كل يوم - حاشا أنواع الطيور والحوت - ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أربال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطيور وضروب الحيتان^(٤) .

إذا كان هذا بالنسبة للخدم فما بالك بأبناء الأندلس من الملوك والأثرياء وغيرهم ، ويحدثنا الذهبى أن المعتمد بن عباد خُلِعَ عن ثمانمائة سُرَّة ، ومائة وثلاثة وسبعين ولداً ، وكان راتبه فى اليوم الواحد ثمانمائة رطل لحم^(٥) .

(١) نفع الطيب ١١٢/٤ .

(٢) تاج المروس ٥٦/٩ ، المعجم الوسيط ٨٥٢/٢ .

(٣) نفع الطيب ٢١٦/١ .

(٤) نفع الطيب ١٠٣/٢ - ١٠٤ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٢٢/٣ .

وصاحب كتاب الطبخ يذكر لنا أنواعاً كثيرة من طبخ وشى اللحوم ، الأمر الذى يؤكد أن الأندلسيين كانوا يتفنون فيه .

وقد أورد المقرئ لأحد الشعراء الأندلسيين أبياتاً يفضل فيها اللحم المطبوخ فى القدر وعليها أنواع من التوابل ، ومنها البسباس ، منها قوله :
واللحم بالبسباس قد الفّتْ لطبخه فى القدر الاحطاب^(١)

خامساً : الفاظ البقول والتوابل

مجموع ألفاظ هذا المبحث ثمانية الفاظ ، للبقول خمسة الفاظ هى :
الباقلاء ، الحمض ، العدوس ، الفول ، الهليون .

وللتوابل ثلاثة هى : التابل ، الكزبرة ، الملح الأندرانى . والبقول تسمى عند الأندلسيين القطانى واحداً قطنية ، وسميت ذلك لأنها تقطن السيوت وتدوم فيها مدة ، وألفاظ البقول هى :

الباقلاء : تطلق عند الأندلسيين على الفول الأخضر واليابس ، وهو نبات حولى معروف ، أوراقه مركبة ريشية ، وأزهاره بيض فراشية ، ثممرته قرن ، وثمره ويلدوره غذاء للإنسان والحيوان ، واحدته باقلاء ، وقيل الواحد والجميع سواء^(٢) .

والأندلسيون ينطقونها ممدودة : باقلاءً ، ومقصورة : باقلاً ؛ ويحكى المقرئ أن ابن شهيد كان يوماً مع جماعة من الأدباء عند القاضى ابن ذكوان ، فجنى بياكورة باقلاً ، فقال ابن ذكوان : لا يتفرد بها إلا من وصفها ، فقال ابن شهيد : أنا لها ، وارتجل قائلاً :

(١) نفع الطيب ٣٠٣/٦ .

(٢) المعجم الكبير ٤٦٧/٢ .

إن لآليك أحدثت صلحا فاتخذت من زُمرد صدفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب والفول يهواه كل من ظرفاً^(١)

وفى نور الفول يقول أبو جعفر أحمد الشريشى :

على حسن نور الباقلاء أدّهما على الصبّ كاسى خمرة وجفون
يذكرنى بلى الحمام وتارة يؤكد للأشجان شهل عيسون^(٢)

الحمص : حب يؤكل ، من القطاني ، وهو نافع ملين مدرّ جيد الغذاء ، وأكثر العامة يقولون حمص بضم الحاء والميم المشددة ، والحمصة حبة الحمص ، وهو أبيض وأحمر وأسود وكرسنى ، ويكون برياً وبستانياً ، والأسود أقوى وأبلغ فى أفعاله ، وللحمص فوائد طبية كثيرة ، وهو نبات زراعى عشبي حولى حبي ، ويسمى حبه الأخضر فى مصر : ملاثة^(٣) .

ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بالحمص مدينة سرقسطة التى يقول عنها المقرئ : لا يتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح من مائة سنة ، والفول والحمص من عشرين سنة ...^(٤) .

ولقد بلغ من رفاهية أهل الأندلس أنهم كانوا يطعمون سمك البحيرة الخبز والحمص الأسود ، فيحدثنا المقرئ أن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله لما بنى مدينة الزهراء ، واتخذ فيها بحيرة للسمك ، كان المرتب من الخبز لحيّتان هذه البحيرة اثنى عشر ألف خبزة كل يوم ، وينتفع لها من الحمص الأسود ستة أفقزة كل يوم ...^(٥) .

(١) نفع الطيب ٢١٤/٤-٢١٥ .

(٢) نفع الطيب ٢١٢/٥ .

(٣) المخصص ٦٢/١١ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ١٠٣-١٠٥ ، محيط المحيط ١٩٤ ، معجم النبات والزراعة ٤٣٧/١ ، الملجم الوسيط ٢٠٥/١ .

(٤) نفع الطيب ١٩١/١ .

(٥) نفع الطيب ١٠٣/٢ .

العدس : العدس جمع عدس ، وهو عشب حولى دقيق الساق ، من الفصيلة القرنية ، أوراقه مركبة ريشية ذات أذينات دقيقة ، وثمرته قرن مفلطح صغير فيه بذرة أو بذرتان ، تنقشر كل بذرة عن فلتتين برتقائيتي اللون ، وإذا لم تنقشر فهو الذى يقال له فى مصر : عدس أبو جبة ، وهو اسم جنس واحدته عدسة^(١) .

وكان الأندلسيون يطبخون العدس باللحم مطبياً بالكزبرة والبصل والشبث والفلفل والكرأويا ، كما كانوا يطبخونه بلحم جمل سمين ، أو بالسمن فقط ، أو بدهن اللوز والسلق .

وقد ورد ذكره على السنة شعرائهم ، ومنه قول أحدهم :

وتحمن الفكرة بالـ عدوس والسمنسنى
واللحم مع شحم ومع طوابق الكبش الشنى^(٢)

الفل : نبات عشبي من الفصيلة القرنية ، أزهاره بيض ذات عُرْف ، يزرع فى الخريف وينضج فى الربيع ، ويستعمل غذاء للإنسان والحيوان^(٣) ، ويُعرف عند الأندلسيين بالبقلاء ، وكانوا يأكلونه أخضر ومُدْمَساً ، ولم يكن يقبل على أكله إلا الطبقات الفقيرة فى المجتمع الأندلسى ، ويؤكد ذلك ما أورده المقرئ على لسان الشاعر أبى القاسم لب يرد بأبيات على الوزير عبد الملك بن جهور عندما هجاه بطول لحيته :

قال أمين الله فى عصرنا لى لحية أرى بها الطول
وابن جهير قال قول الذى مأكله القرضيل والفل

(١) المعجم الوسيط ٦٠٨/٢-٦٠٩ .

(٢) نفع الطيب ٢٦٨/٤ ، أرجح أن يكون السمنسنى هو السمن .

(٣) المعجم الوسيط ٧٣٣/٢ .

والقريضيل : شوك له ورق عريض تأكله البقر^(١) .

وأما أكل الأندلسيين للفول أخضر فيؤكدده قول المقرئ : ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ماعدا أهل الطاقة مذخرجوا من إشبيلية إلا الفول الأخضر ، الذى يجدونه فى طريقهم ، وكان الزمان زمان ربيع . . .^(٢) .

وأما أكلهم الفول مُدْمَساً كالمصريين ، فيؤكدده قول المقرئ : كان لشخص قينة ، فبينما هو ذات يوم قد رام تقييلها على أثر سواك أبصره بمبسمها إذ مرَّ فوأل ينادى على فول يبيعه ، فقال :

ولم أنس يوم الأنس حين سمحت لى وأهديت لى من فيك فول سواك
ومر بنا الفوأل للفول مادحاً وما قصده فى المدح فول سواك^(٣)

الهليون : هو المعروف عند الأندلسيين والمغاربة بالإسفراج ، ورقه كورق الشبث ، ولاشوك له ، وله بزر مدور أخضر ، ثم يسود ويحمر ، وفى جوفه ثلاث حبات كأنها حب النيل صلبة ، ومنه صنف كثير الشوك ، وهو بستانى ، وهو أكثر غذاء من سائر البقول ، يلطف ويهضم سريعاً ، وهو مشهور بالشام ، وتسميه العامة فى مصر : كشك الماس^(٤) . ويرجع الفضل فى معرفة الأندلسيين لهذه البقلة إلى ررياب الموسيقى المشهور ؛ فهو - كما قال المقرئ - أول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الإسفراج ، ولم يكن أهل الأندلس يعرفونها قبله^(٥) .

أما الألفاظ الخاصة بالتوابل فهى ثلاثة: التابل، الكزبرة، الملح الأندرانى .

(١) نفع الطيب ١٥٤/٥ .

(٢) نفع الطيب ٢٧/٤ .

(٣) نفع الطيب ١٥/٥-١٦ .

(٤) المعتمد فى الأدوية المقردة ٥٣٦-٥٣٥ ، تذكرة داود ١/٣٣٥ ، المعجم الوسيط ٢/١٠٣٣ .

(٥) نفع الطيب ١١٢/٤ .

التابل : هو أبرار الطعام ، وتوابل القدر : ما يوضع فيها من أبرار الطعام ؛ واحدها تابل ، وكل ما يُطَبَّب به القدر مثل الملح والخل والزعفران فهو تابل^(١) :

والفرق بين الأبرار والتوابل أن الأبرار تطلق على ما يطيب به الغذاء من الأشياء الرطبة واليابسة ؛ فهو عام ، أما التوابل فهي لليابسة فقط ؛ والأبرار الرطبة مثل الكزبرة والننع الرطبين ، واليابسة مثل الكمون والكراويا والكزبرة اليابسة والننع اليابس . وهناك الأفحاء والأقزاح والأفواء ؛ وكلها بمعنى البزر والتابل^(٢) .

وقد وردت هذه اللفظة جمعاً : التوابل عند المقرئ في قوله : فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأساً من الغنم ، ونصف أردب أرز ، وقنطار حب رمان ، وربع قنطار سكر ، وثمانى فانوسيات شمع ، وتوابل الطعام ...^(٣) .

الكزبرة : هى الكسبرة بالسین أيضاً ، وهى بقلة زراعية حولية من الفصيلة الخيمية ، تضاف أوراقها إلى بعض الأطعمة ، وتستعمل ثمارها فى الطعام والصيدلة ، وهى رطبة ويابسة ، وأجودها الحديث الكبار الضارب إلى صفرة^(٤) .

وكانت الكزبرة بنوعيهما : الخضراء واليابسة معروفة عند الأندلسيين ، وكانت تدخل فى مكونات بعض الأطعمة الأندلسية المشهورة ، كالتفايا التى يقول عنها المقرئ : هى لون طعام يعمل بالكزبرة...^(٥) .

(١) كتاب التنوير ٥٦ ، تاج العروس ٢٣٩/٧ ، المعجم الكبير ٣/٣٤-٣٥ .

(٢) كتاب الطيب للبغدادى ص ٨ ، كتاب التنوير ص ٥٧ .

(٣) نفع الطيب ١٦٨/٦ .

(٤) اللخصص ٦٣/١١ ، تاج العروس ٥٢١/٣ ، المعتمد ٤٢٤ ، تذكرة داود ٢٧٢/١ ، المعجم الوسيط

٨١٧/٢ .

(٥) نفع الطيب ٢٩٢/٤ .

ويقول عنها أيضاً : «وما اخترغوه من الطبخ اللون المسمى عندهم التفايا ، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكياب»^(١) .

ويقول صاحب كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس عن الكزبرة اليابسة : تدخل فى جميع الألوان ، وهى مخصوصة بالتفايا والحشى ، ولها خاصية ؛ وذلك أنها توقف الطعام فى المعدة ؛ ولا ينزل سريعاً حتى يتم هضمه^(٢) .

الملح الأندرانى : هو نوع من ملح الطعام المعدنى النقى الذى يشبه البلور فسى نقائه ، وسمى بالأندرانى نسبة إلى أندران ، وهو موضع بنواحى نيسابور^(٣) .

وفى التاج : وملح ذُرَّانِى بتسكين الراء ويحرك ، فيقال ذُرَّانِى أى شديد البياض ، وهو مأخوذ من الذُّرَّة بالضم ؛ ولا تقل أندرانى فإنه من لحن العوام ، ومنهم من يهمل الدال^(٤) .

ولكن هذا الملح مشهور فى الأندلس بالأندرانى ، ومن أشهر المدن الأندلسية إنتاجاً له مدينة سرقسطة ؛ وفى ذلك يقول المقرئ : وذكر غير واحد أن فى كورة سرقسطة الملح الأندرانى الأبيض الصافى الأملس الخالص ، وليس فى الأندلس موضع فيه مثل هذا الملح...^(٥) .

(١) نفح الطيب ١١٢/٤ .

(٢) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٨٠ .

(٣) كتاب الطبخ للبغدادى ص ٧-٨ .

(٤) تاج العروس ٦٧/١ .

(٥) نفح الطيب ١٤٩/١ .

سادساً : الفاظ الخبز والإدام

مجموع الفاظ هذا البحث ثمانية عشر لفظاً ؛ للخبز منها ثلاثة عشر لفظاً ؛ وللإدام خمسة الفاظ ؛ وألفاظ الخبز هي : البقسماط ، الخنطة ، الخبز ، الدرملك ، الدقيق ، الرقاق ، السميد ، الشعير ، القرصة ، القمح ، اللظافة ، المدائن من العجين ، الميرة . أما ألفاظ الإدام فهي : الجبن ، الجلجلان ، الزبد ، الزيت ، الزيتون .

الفاظ الخبز وهي :

البقسماط : اسم لنوع من الخبز مجفف على حرارة نار هادئة ، ويقال له فى المغرب : البُجْماط أو البُشْماط ، وفى العراق البُقْصم ، وهو تركى معرب ، وفى التركية بكسيمات^(١) ، وقيل هو معرب بكسمات بالفارسية^(٢) ، وقال عنه الشهاب الخفاجى : بقسماط : خبز يابس معروف ، مولد ، كذا ذكره ابن البيطار فى مفرداته ، وأهل عوام المغرب يقولون : بشماط^(٣) . وقيل البقسماط : قطع من الحلوى الناشفة المجمرة تصبر على مدى الشهور ، والكلمة من أصل رومى ، ورد ذكرها علاوة على المقرئى فى الوثائق التركية^(٤) .

ويقول الدكتور عبد العزيز الأهوانى : والبجماط كلمة لا تزال تستعمل فى المغرب ، وهى معربة ، وتطلق على نوع مستدير صغير من الخبز الأبيض ،

(١) المعجم الكبير ٢/٤٥٦ ، المعجم الوسيط ١/٦٧-٦٨ .

(٢) محيط المحيط ٤٨ .

(٣) شفاء الغليل ٤٠ .

(٤) ألفاظ الحضارة فى الوثائق العربية ، د. عبد الهادى التاوى ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج ٦٤ ،

ص ٢٤٧ .

وهو نوع من البسكويت وشكله الخالى فى اسبانيا لا يزال حتى الآن يؤيد وجه التشبيه ، ومافى اللغة المصرية (بقسماط) هو من نفس الاصل^(١) .

وقد ورد ذكر لفظة البقسماط عند المقرئ نقلاً عن المقرئى فى قوله : وهى كل ما تحتاج إليه فى سفرها من اصناف الحلوات والسكر والدقيق والبقسماط^(٢) .

ويبدو أن هذا النوع من الخبز لم يكن شائعاً عند الأندلسيين ، وإنما هو خبز مشهور فى المغرب وعند المشارقة ، بدليل أنه لم يرد ذكره عند المقرئ فى كتابه كله بأجزائه العشرة إلا فى هذا الموضع الذى ينقل فيه عن المقرئى .

الحِنطة : الحِنطة بالكسر البُرّ ، وهو حب القمح المعروف ، والجمع حِنَط كعنب ، وبائعها حِنَّاط ، وحرفته الحِنَاطة بالكسر^(٣) .

ومن أشهر المدن الأندلسية إنتاجاً للحنطة مدينة طليطلة ، ومن خواصها أن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين ، يتوارثها الخلف عن السلف^(٤) .

الخَبْز : الخَبْزَةُ : الطُّلْمَة ، وهى عجينة يوضع فى المِلَّة حتى ينضج ، والمِلَّة : الرماد والتراب الذى أوقد فيه النار ، والخبز الذى يؤكل ، والخبز الذى مهنته ذلك ، وحرفته الخبارة ، وفى التهذيب : اختبز فلان إذا عالج دقيقاً يمعجته ثم خبزه فى مِلَّة أو تنور . والخبز اسم لما يصنع من الدقيق المعجون المنضج بالنار ، والخبْزَة : القطعة من الخبز ، وما يوضع من الخبز مرة فى الفرن^(٥) .

(١) الزجل فى الأندلس ١٧٧ . (٢) نفع الطيب ١٦٨/٦ .

(٣) تاج العروس ١٢١/٥ .

(٤) نفع الطيب ١٤٤/١ .

(٥) اللسان ١٠٩٢/٢ ، تكملة المعاجم العربية ١٥/٤ ، المعجم الوسيط ٢٢٣/١ .

وقد كان الخبز يباع فى الحوانيت فى كل مكان فى الأندلس : فى الفلوات والصحرى والأودية ورؤوس الجبال^(١) .

ومن كثرة الخبز فى الأندلس كان الملك عبد الرحمن الناصر يرتب منه لحيتان بحيرة الزهراء اثنى عشر ألف خبزة فى اليوم^(٢) .

ولم يكن الخبز يتخذ فقط من القمح والشعير عندهم ؛ وإنما كان يتخذ من بعض الفواكه المشهورة كالتين والسفرجل والقسطل ، ولهم فى أخذ الدقيق من هذه الفواكه صنعة خاصة ذكرها ابن العوام فى كتابه الفلاحة .

وقد ارتبطت لفظة : كسرة خبز بـ : قدح لبن عند المقرى كثيراً ، ويبدو أن هذا كان طعام الفقراء والزهاد آنذاك ، ويتضح ذلك من قول المقرى : فقال صاحب البقرة : ما أظنك أكلت الليلة شيئاً ، فذهب وجاءنى بكسرة خبز وقدح لبن^(٣) .

الدَّرْمَك : فى اللسان : الدرمك : دقيق الحَوَّارى ، وقال ابن الأعرابى : الدرمك : النقى الحوارى ، وفى الحديث فى صفة أهل الجنة : وترتبتها الدرمك ، وهو الدقيق الحَوَّارى^(٤) ، والحَوَّارى الدقيق الأبيض الخالص ، وهو لباب الدقيق وأجوده .

ويقول دوزى : درمك : دقيق الحوارى ، وهو أجود دقيق ، وهو تعريب كَرْمَه الفارسية التى بمعناه^(٥) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى على لسان أحد الشعراء يصف مدينة

(١) نفع الطيب ٢١٦/١ .

(٢) نفع الطيب ١٠٣/٢ .

(٣) نفع الطيب ١٢٩/١٠ .

(٤) اللسان ١٣٦٧/٢ وانظر التاج ١٢٨/٧ .

(٥) تكملة المعاجم العربية ٣٤٠/٤ ، وانظر : الألفاظ الفارسية المعربة ٦٢ .

صنعت من العجين فى عيد النيروز بقوله :

مدينة مسورة تحار فيها السحرة
لم تبناها إلايد عذراء أو مخدرة
بدت عروساً تجتلى من درمك مزعفرة
ومالها مفاتح إلا البنان العشرة^(١)

الدقيق - دقيق الحواري : الدقيق : الطحين فعيل بمعنى مفعول ،
والدقيقى : بائع الدقيق ، ودققت الشئ وأدقته : جعلته دقيقاً^(٢) . والحوارى
هو الدقيق الأبيض الخالص ، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه ، وهو الذى
نخل مرة بعد مرة ، ومنه : الحواريون أصحاب عيسى كأنهم اخلصوا ونقوا من
كل عيب^(٣) .

وقيل الحواري : هو مأبّل ، وقشر بالدق ، ثم طحن ، ويسمى خبز الموائد^(٤) .
وقد ورد ذكر الدقيق ، ودقيق الحواري عند المقرئ ، فى قوله : سدك
الله تعالى إلى غرض التوفيق ، وأعلقك من الحق بالسبب الوثيق ، وجعل
قدومك مقروناً برخص اللحم والزيت والدقيق^(٥) . وقوله على لسان أحد
الزهاد يوصى آخر : فكن لقالى المجبنة قالياً ، ولحوت السلة سالياً ، وأبد
لدقيق الحواري رهد حواري ، وإرهد فيما بأيدي الناس من العواري^(٦) .

الرقاق : الرقاق ، بالضم الخبز المنبسط الرقيق ، نقيض الغليظ ، يقال :

(١) فتح الطيب ٥ / ٢١٠ ، ٢٧٣ .

(٢) اللسان ٢ / ١٤٠٢ ، التاج ٦ / ٣٤٦ .

(٣) تاج العروس ٣ / ١٦١ .

(٤) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ٥٠ .

(٥) فتح الطيب ٨ / ٣٠٤ .

(٦) فتح الطيب ٨ / ٣٠٣ .

خبز رُقاق ورقيق ، وتقول : عندى غلام يخبز الغليظ والرقيق ، والرُقاقة :
الواحدة ، وفى الحديث : أنه ما أكل مُرَقَّقاً قط ، هو الارغفة الواسعة
الريقة ، يُقال رقيق ورُقاق كطويل وطُول (١) .

والرُقاق : ضرب من الفطائر المحشوة أو من الطُّم (٢) .

وقد ورد ذكر الرقاق عند المقرئ على لسان أحد الشعراء الأندلسيين فى
قوله :

ولى إلى الإسفنج شو ق دائم يطربنى
وللأرز الفضل إذ تطبخه باللبن
وللشواء والرقا ق من هيام اثنى (٣)

السميد : هو الحوَّارى ، وهو لباب الدقيق ، وقيل : هو الدقيق الناعم
الناصح البياض ، وهو بالذال : السميد ، وبالذال : السميد ، ولكنه بالذال
أفصح (٤) . وقيل السميد : مانقى ، وبُلْ ، ثم طُحن ، ويسمى أيضاً خبز
الموائد (٥) .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرئ يحمل الدلالة السابقة ؛ فى قوله : بينما
هم كذلك ، فإذا بحمَّال سميد ، فقال لها : هذا السميد أسير وأسهل من
القمح (٦) .

(١) لسان العرب ١٧٠٧/٣ .

(٢) تكملة المعاجم العربية ١٨١/٥ .

(٣) نفع الطيب ٢٦٩/٤ .

(٤) تاج الغروس ٣٨١/٢ ، المعجم الوسيط ٤٦٥/١ .

(٥) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ٥٠ .

(٦) نفع الطيب ٤٠٠/٢ .

الشعير : نبات عشبي حصى ، من الفصيلة النجيلية ، وهو دون البرّ في الغذاء ، الواحدة شعيرة ، وأجوده ما كان نقياً أبيض ، ومنه نوع بغير قشر ؛ يسمى السُّلت ، وفعله قريب من الذى بالقشر ، ومنه ماسنبلته مبسوطة ذو حرفين ، ومنه مربع كسنبل الحنطة ، وأجوده الحديث البالغ النضيج الرزين^(١) .

ومن أشهر المدن الأندلسية إنتاجاً للشعير مدينة شنترة ، قال ابن اليسع ، عند ذكره هذه المدينة : إن من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى أربعين يوماً من رراعتة^(٢) . ويحدثنا المقرئ عن ررياب الموسيقى المشهور أن عبد الرحمن بن الحكم أمر أن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ؛ ثلثاها شعير وثلثها قمح ، وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة ويساتينها ومن الضياع ما يُقوّم بأربعين ألف دينار^(٣) .

القرصة : وردت هذه اللفظة عند المقرئ تعنى : خبزة صغيرة مبسوطة مدورة متخذة من شعير ، وذلك فى قوله : دخلت فاطمة عليها السلام ، ويدها كسرة شعير ، فقال : ما هذا يافاطمة ؟ فقالت : يارسول الله ، خبزت قرصة وأحببت أن نأكل منها^(٤) .

ومن أخطاء العامة فى الأندلس أنهم يقولون قرصنا العجين إذا بسطوه ، وليس كذلك ، وإنما تقريص العجين تقطيعه لبسط ، يقال : قرّصت المرأة العجين إذا قطعت له لتبسطه ، وكل مقطع فهو مُقرّص ، قال أبو عبيد : ويُقال : حوّرت الخبزة تحويراً إذا هيأتها وأدرتها لتضعها فى الملة^(٥) .

(١) المخصص ٦١/١١ ، المتصد فى الأدوية المفردة ٢٦٣-٢٦٤ ، تذكرة داود ٢١٥/١ ، معجم النبات والزراعة ٣١١/١ ، المعجم الوسيط ٥٠٤/١ .

(٢) نفع الطيب ١٦٢/١ . (٣) نفع الطيب ١١٠/٤ . (٤) نفع الطيب ٢٢٣/١٠ .

(٥) ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام النخعي ص ٥٠ .

القمح : نبات عشبي من الفصيلة النجيلية ، حبه مستطيل مشقوق الوسط أبيض إلى صفرة ، ينمو فى سنابل ، ويتخذ من دقيقه الخبز ، ويسمى : البرّ ، والحنطة^(١) .

والقمح فى الأندلس كثير ومتوافر ، لدرجة أن مدينة شترة يزرع بها القمح والشعير ويحصدان بعد أربعين يوماً^(٢) .

ولك أن تتخيل أن مدينة سرقسطة يظل بها القمح مائة عام صالحاً دون أن يفسد ، لأن هذه المدينة - كما يقول المقرئ - لا يتسوس فيها شئ من الطعام ، ولا يعفن^(٣) .

وكان يطلق على القمح والشعير عند الأندلسيين : الطعام العام ، لأن الجميع يأكل خبزهما ؛ ويؤكد ذلك قول المقرئ عن الإقطاعات التى أقطعها عبد الرحمن بن الحكم لزرياب : وأن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ؛ ثلثاها شعير وثلثها قمح^(٤) .

اللطافة : هى تحريف لكلمة اللطافة بالطاء ، وهى اليسير من الطعام وغيره ، يقال : طعم طعاماً لطفاً ، ولُطِفَ الشئ لطافة معناه صغر ودق^(٥) .

وقد وردت هذه اللفظة بالطاء عند المقرئ تعنى اليسير من الخبز واللبن ، وذلك فى قوله : فأواهما الليل إلى مجشر ، فسالا عن صاحبه ، فدُلّا ، فاستضافاه فأضافهما ، فبسط قطيفة بيضاء ، ثم عطف عليهما بمخبز ولبن ، وقال لهما : استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر عشاؤكما^(٦) .

(١) المعجم الوسيط ٧٨٧/٢ .

(٢) نفع الطيب ١٦٢/١ .

(٣) نفع الطيب ١٩١/١ .

(٤) نفع الطيب ١١٠/٤ .

(٥) تاج العروس ٢٤٥/٦ .

(٦) نفع الطيب ٢٣٢/٧ .

المدائن من العجيين : المدائن جمع مدينة ، والعجيين : المعجون من الدقيق ، وقد كان من عادة الأكابر والأغنياء فى الاندلس أن يتخذوا عجينة من دقيق الدرمك الأبيض الخالص الناعم المخلوط بالزعفران ، ويصنعون من هذا العجيين مدناً مختلفة الصور ، وذلك مع قدوم فصل الربيع والاحتفال بعيد النيروز ، ثم تخبز وتؤكل فى هذه المناسبة ؛ ويحدثنا المقرئ أن أبا عمران موسى الطريائى لما دخل يوم نيروز إلى بعض الأكابر، وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة، فنظر إلى صورة مدينة ، فأعجبته ، فقال له صاحب المجلس : صنفها وخذها ، فارتجل قائلاً :

مدينةٌ مُسَوِّرةٌ	تُحار فيها السحرة
لم تبناها إلا يدُ	عذراءٍ أو مُخَدَّرَةٍ
بدت عروساً تُجَتَلَى	من درمكٍ مزعفرة
ومالها مفاتيح	إلا البنان العشرة ^(١)

الميزة : الميرة بالكسر الطعام يمتاره الإنسان ، وقيل جلب الطعام للبيع ، والميَّار كشنداد : جالب الميرة^(٢) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ تعنى : كل ما يمسك الرمق من الطعام ؛ من أى نوع كان ؛ وذلك فى قوله : فأغاثهم رِياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم...^(٣) . وقوله : «ثم انتقل العدو إلى حصار مالقة ، وكان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح وأطاعوا. صاحب البيازين ، وأتى إليها النصرارى بالميرة...»^(٤) .

(١) نفع الطيب ٥/ ٢١٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٢) تاج العروس ٣/ ٥٥٢ . (٣) نفع الطيب ٤/ ١٦ ، ١٧ .

(٤) نفع الطيب ٦/ ٢٧٥ .

ونلاحظ أن لفظة الميرة ارتبطت عند الأندلسيين بالمواقف الحربية التي يكون فيها المحاربون على وشك الموت ، ثم يؤتى لهم بالطعام فيسمى عندئذٍ الميرة ، وصارت لفظة الميرة تعنى عندهم الطعام المنقذ من الموت .

الفاظ الإدام وهى :

الجبن : ما انمقد من اللبن إما بالأنفحة أو بغيرها من المجمدات كالخرنوب والقرطم ، وجيد الجبن ورديته يتبعان اللبن ، وليس جميع الألبان تجمد ، وتقبل التجبن ، وإنما يتجن من اللبن ما كان الغلظ عليه أغلب ، وأفضل الجبن الحديث ، وخاصة المتخذ من لبن حامض ، والجبن الرطب إذا أكل بلا ملح كان مغذياً طيب الطعم^(١) .

وأشهر المدن الأندلسية إنتاجاً للجبن مدينة شريش ، ولطيب جبنها يدخل فى صناعة نوع من الحلوى معروف عند الأندلسيين ؛ وهو المجبنات ؛ ويقول المقرئ عن هذه المدينة : وما اختصت به إحسان الصنعة فى المجبنات ، وطيب جبنها يعين على ذلك...^(٢) .

ومن المدن الأندلسية المشهورة بالجبن أيضاً مدينة إشبيلية التى كان الجبن يباع فى حوانيتها مع الخبز والفواكه واللحم والسمك^(٣) .

الجلجلان : هو السمسم ، وهو صنفان : أبيض وأسود ، وتسمى العرب دهنه السليط ، وقيل الجلجلان : السمسم فى قشره قبل أن يحصد ، وكذلك ثمرة الكزبرة يقال لها الجلجلان^(٤) .

(١) المعتمد فى الأدوية المفردة ٦٣-٦٤ ، تذكرة داود ١٠٣/١ .

(٢) نفح الطيب ١٨٠/١ .

(٣) نفح الطيب ٢١٦/١ .

(٤) المعتمد فى الأدوية المفردة ٧١ ، المعجم الوسيط ١٣٣/١ .

وقد وردت لفظة الجلجلان عند المقرئ تعنى : حب السمسم ، وذلك فى قوله : أكل ابن شاطر يوماً مع أبى القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلاناً ، فقال له أبو القاسم : إن فى هذا الجلجلان لضرباً من طعم اللوز ، فقال ابن شاطر : وهل الجلجلان إلا لوزة دقة^(١) ؟ . ومارال هذا اللفظ موجوداً فى الإسبانية حتى اليوم ؛ فهو فيها : ajonjolí^(٢) .

الزبد : هو السمن قبل أن يسلاً ، والقطعة منه ريدة ، وهو ما خلص من اللبن إذا مخض^(٣) .

وقد ورد ذكر الزبد فى شعر للسان الدين بن الخطيب فى قوله :

نزلنا على يعقوب نجل أبى خدّو فعرفنا الفضل الذى ماله حدّ
وقابلنا بالبشر واحتفل المقرئ فلم يبق لحم لم ننله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد^(٤)

الزيت : دهن الزيتون ، وهو المراد عند الإطلاق ؛ فإن أريد غيره قيّد بالإضافة ؛ فيقال : زيت الخروع وزيت السمك ؛ أو قيّد بالوصف ؛ فيقال : الزيت الحار ، والجمع زيوت^(٥) .

ولقد كان الزيت متوافراً فى الأندلس بشكل ملحوظ نظراً لكثرة أشجار الزيتون بها ، وأكثر المدن الأندلسية إنتاجاً له مدينة إشبيلية ؛ التى يقول عنها المقرئ : وبها أسواق قائمة ، وتجارات رابحة ، وأهلها ذرو أموال عظيمة ، وأكثر متاجرهم الزيت ، وهو يشتمل على كثير من إقليم الشرف...^(٦) .

(١) نفع الطيب ٢٣٥/٧ .

(٢) مدخل إلى الألفاظ الأسبانية المأخوذة من العربية ٢٦٧ .

(٣) تاج العروس ٣٦١/٢ . (٤) نفع الطيب ٢٠٢/٩ .

(٥) تكملة المعاجم العربية ٣٩٤/٥ ، المعجم الوسيط ٤٢٣/١ .

(٦) نفع الطيب ١٥٧/١ .

وريتون إشبيلية يظل مدة طويلة لا يتغير لجودته ، وفى ذلك يقول المقرئ :
 «وعسل الشرف يبقى حيناً لا يترمل ولا يتبدل ، وكذلك الزيت والتين...»^(١) .
 ولقد كان زيت إشبيلية يُصدّر إلى البلاد الشرقية ، وبلغ الإسكندرية ، وفى ذلك يقول المقرئ : أى شرف قد حار ماشاء من الشرف ، إذ عم أقطار الأرض
 خيره ، وسفر ما يعصر من ريتونه من الزيت حتى بلغ الإسكندرية^(٢) . وكيف
 لا يتحقق لإشبيلية هذه الشهرة من إنتاج الزيت وبها جبل يدعى جبل الشرف ،
 وهو تراب أحمر طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً ، وعرضه من
 المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلاً ، يشتمل على مائتين وعشرين قرية ، قد
 التحفت بأشجار الزيتون واشتملت^(٣) .

ومارال حتى اليوم زيت الزيتون الأسباني له شهرة عالمية ، وكان
 الأندلسيون يستخرجون الزيت من الزيتون بعد نضج ثمرته ، ثم يطبخ بالنار بعد
 طحنه وعصره بمعاصر الزيت ، وهو يسمى عندهم الزيت العذب أو الطيب أو
 البكر .

الزيتون : شجر مثمر زيتى ، تؤكل ثماره بعد ملحها ، ويعصر منها الزيت ،
 وثمره أيضاً يسمى الزيتون ، والواحدة زيتونة^(٤) . والأندلس أكثر بلاد الله
 زراعة للزيتون ، وخاصة إقليم الشرف التابع لمدينة إشبيلية ، وهذا الإقليم على
 تل عالٍ من تراب أحمر مسافته أربعون ميلاً فى مثلها ، ويمشى السائر به فى
 ظل الزيتون والتين...»^(٥) ، وقال بعضهم فى شرف إشبيلية : ولو لم يكن لها

(١) نفع الطيب ١/ ٢٠٠ .

(٢) نفع الطيب ٤/ ١٨٨ .

(٣) نفع الطيب ١/ ١٥٨ .

(٤) للمحم الوسيط ١/ ٤٢٣ .

(٥) نفع الطيب ١/ ١٥٧ .

من الشرف إلا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير
المعتد فراسخ فى فراسخ لكفى...»^(١) .

ويقول المَقْرَى عن ريتون إشبيلية : «وريتون إشبيلية يخزن تحت الأرض
أكثر من ثلاثين سنة ، ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو
طرى...»^(٢) ، فهو لا يتغير طعمه بل يبقى أعواماً برقته وعذوبته لا يؤثر فيه
طول مكث .

وتأتى بعد مدينة إشبيلية فى زراعة الزيتون مدينة قرطبة ؛ وهى مدينة
عظيمة أولية من بنيان الأوائىل ، طيبة الماء والهواء ، أهدقت بها البساتين
والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب...»^(٣) .

وقد جمعت لفظة الزيتون عند الأندلسيين على الزياتين ؛ وهو جمع على
غير قياس ، وذلك فى قول المقرئ : والتفت بسوره الزياتين المفيدة^(٤) ، ويقول
أيضاً : ويسامتها شرقاً جبل ررهون ، المنبجس العيون ، الكثير الزياتين
والأشجار^(٥) . ومازال هذا اللفظ موجوداً فى الأسبانية حتى اليوم^(٦) .

(١) نفح الطيب ١/ ٢٠٠ .

(٢) نفح الطيب ١/ ٢٠١ .

(٣) نفح الطيب ٢/ ٧ .

(٤) نفح الطيب ٨/ ٣٤٥ .

(٥) نفح الطيب ٨/ ٣٤٦ .

(٦) مدخل إلى الألفاظ الأسبانية ٢٦٧ .

القسم الثانى : الفاظ المشرب

جعلت هذا القسم فى مبحثين : تناولت فى المبحث الاول الفاظ الخمر وما يتعلق بها ، وتناولت فى المبحث الثانى الفاظ المشروبات الاخرى ، ومجموع الفاظ هذا القسم ثمانية وأربعون لفظاً ، منها ستة وثلاثون لفظاً للخمر ، واثنى عشر لفظاً للمشروبات الاخرى .

اولاً : الفاظ الخمر وما يتعلق بها

مجموع الفاظ هذا المبحث ستة وثلاثون لفظاً : هى : ابنة العنب ، ابنة العنقود ، الإسفنط ، الأنس ، بنت الدنان ، بنت الدوالى ، بنت الكروم ، التبر واللجين ، التلث والتسديس ، الجريال ، الحمراء المزوجة ، الحمياً ، الخمر ، الخندريس ، دم الزق ، الراح ، الرحيق ، الزرجون ، السيثة ، السلافة ، الشراب ، الشمول ، الصبروح والغبوق ، الصهباء ، الطلا ، العقار ، القرقف ، القهوة ، الكاس ، الكميت ، المدامة ، المسطار ، المعتقة ، النبيذ ، النجيج ، النطَف .

ابنة العنب : اسم أطلقه شعراء الأندلس على الخمر ، لأنها متخذة من عصير العنب ، وذلك فى قول أحدهم :

كما قلت للأفق لما أن بدا صلفاً
بشمسه عندما لاحت من الحجب
إن تهت بالشمس يافق السماء فلى

شمان : وجه ندى وابنة العنب^(١)

وقول آخر فى مطلع موشحة له :

هات بنت العنب واشرب

(١) نفع الطيب ٢/ ٣٣٧ .

وفدّه بأبى ثم بى^(١)

ولقد كانت مجالس الشراب عند الأندلسيين مشتملة إلى جانب الخمر على أصناف الفواكه والرياحين ؛ وفى ذلك يقول أحدهم : وهل تكتمل لذة دون إحضار خدود الورد ، وعيون النرجس ، وأصداع الآس . ونهود السفرجل ، وقودود قصب السكر ، ومباسم قلوب الجوز ، وسُرر التفاح ، ورُضاب ابنة العنب ؟^(٢)

ابنة العنقود : اسم أطلقه الشعراء الأندلسيون على الخمر ، لأنها متخذة من عصير عناقيد العنب ، وفى ذلك يقول أبو محمد بن سارة :

أعندك أن البدر بات ضجيعى فقضيتُ أوطارى بغير شفيح
جعلت ابنة العنقود بينى وبينه فكانتُ لنا أمّا وكان رضيعى^(٣)

وقول لسان الدين بن الخطيب معزياً أحد الناس فى فقد أخيه ومذكراً بما تفعله الأيام : «فرقت بين التيجان والمفارق ، والحدود والنمازق ، والطلق والعقود ، والكأس وابنة العنقود ، فما التعلل بالفان ، وإنما هى إغفاء أجفان»^(٤) .

الإسفنط : فى التاج : الإسفنط : المطيب من عصير العنب ، وقيل : هى خمر فيها أفاويه ، وقيل : ضرب من الأشربة ، وقال الأصمعى : هو الخمر بالرومية ، أو أعلى الخمر وصفوتها ، وقيل سميت بذلك لأن الدنان تسفطتها أى تشربت أكثرها فبقيت صفوتها ، وقد وردت فى الشعر الجاهلى ؛ فقد قال الأعشى يصف الريق :

(١) نفع الطيب ١٩/٥ .

(٢) نفع الطيب ٤٤/٥ .

(٣) نفع الطيب ١٠/٥ .

(٤) نفع الطيب ١٣٢/٩ .

وكان الخمر من الإسم غنط ممزوجة بماء رلال^(١)

وفى المعجم الكبير : الإسفط كلمة يونانية تطلق على نبات يدخل فى تركيب نوع خاص من الخمر ، ودخلت الكلمة فى السريانية ، وفى التلمود صارت اسماً لخمر مرة يدخل فى تركيبها ذلك النبات^(٢) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ تحمل دلالة ضيقة تنحصر فى : أعلى الخمر وصفوتها ؛ وذلك فى قول أحد الشعراء :

يرنحها مر النسيم إذا سرى كما مال نشوان تشرب إسفطاً^(٣)

وقول شاعر آخر فى المدح :

ويجمع بين القبض والبسط كفه بحكمة من فى كفه القبض والبسط
خلائق قد طابت مذاقاً ونفحة كما مزجت بالبارد العذب إسفطاً^(٤)

الأنس : اسم من أسماء الخمر أطلقه الشعراء الأندلسيون عليها لأنها تؤنس صاحبها من الوحشة ، وذلك فى قول أبى الفضل ابن الأعمى :

وعشبة كالسيف إلا حده بسط الربيع بها لتعلى حده
عاطيت كاس الأنس فيها واحداً ماضراً أن كان جمعاً وحده^(٥)

وقول الوزير أبى فارس عبد العزيز الفشتالى :

مادام منزل سعده يرتاده نصر يرف لواؤه المنشور
ومشت به مرحاً جساد مسرة وأدار كاس الأنس فيه سمير^(٦)

(١) تاج العروس ٥ / ١٥٤ . (٢) المعجم الكبير ١ / ٢٩٠ .

(٣) نفع الطيب ٨ / ١٨٥ .

(٤) نفع الطيب ٩ / ١٧٦ .

(٥) نفع الطيب ٥ / ١٨٠ ، ٢٢٢ .

(٦) نفع الطيب ٨ / ١٨٨ .

بنت الدنان : الدُّنُّ : الراقود أو هو أطول من الحُبِّ مستوى الصنعة
 فسى أسفله كهيئة قونس البيضسة أو أصغر من الحُبِّ له عسرس لا يقعد إلا
 ان يحفر له^(١) . وهو يشبه البرميل الآن ، وهو وعاء ضخم للخمر ، والجمع
 دنان .

وقد أطلق الشعراء الأندلسيون هذا الاسم : بنت الدنان على الخمر لأنها
 كانت تقدم فى الدنان ، وهو من باب الكناية عن الموصوف .

ويتضح ذلك من قول الأمير أبى الحسن بن نزار فى مطلع موشحة له :

نارَعَكِ البدرُ اللِّياحُ بِنْتَ الدِّنانِ
 فلم يدع لك اقتراح على الزمان^(٢)

بنت الدوالى : هى أجود الخمر عند الشعراء الأندلسيين ؛ والدوالى جمع
 دالية ، وهى عنب أسود غير حالك ، وعناقيده أعظم العناقيد كلها ، وعنبه
 جاف يتكسر فى الفم ، مدحرج ، ويزبب ، يتخذ منه أجود الخمر . ويتضح
 ذلك من خلال قول أحدهم :

رائر قد أتى بجيد الغزال مُطلع تحت جَنَحِهِ للهِلال
 بلحاظ من سحر بابل صيغت ورُضابٍ يفوق بنتَ الدوالى^(٣)

بنت الكروم : اسم أطلقه الشعراء الأندلسيون على الخمر المتخذة من
 عصير العنب ، وذلك فى قول الوزير أبى جعفر أحمد الوقشى :

ورنجى أتى بقضيب نَورٍ وقد رُقَّت لنا بنتُ الكروم .

(١) تاج المروس ٢٠٢/٩ .

(٢) نفع الطيب ٤٢/٥ .

(٣) نفع الطيب ٣١٦/٥ .

فقال فتى من الفتیان صفها فقلت الليل أقبل بالنجوم^(١)
وقول يحيى السرقسطى :

هاتها عسجدية كثرية بثت كرم رحيقة عطرية
كلما شغها النحول تقوت فاعجبوا من ضعيفة وقوية^(٢)

التبر واللجين : التبر الذهب الخالص غير المضروب ، واللجين الفضة
الصفانية ، وقد أطلقهما الشعراء الأندلسيون على الخمر الصفراء التى بلون
الذهب ، والماء الصفافى الذى يمزج بها ؛ والذى يشبه الفضة ، ويستضح ذلك
فى قول أحدهم :

قوى امزجى التبر باللجين واحتلمى الرطل باليدين
واغتتمى غفلة الليالى فرما أيقظت لحين^(٣)

التثليث والتسديس : تعنى عند الأندلسيين شرب ثلاث كؤوس من الخمر
إن كان عدد الشاربين كثيراً ، أو شرب ست كؤوس إن كان المجلس يضم عدداً
قليلاً والخمر كثيرة .

وفى ذلك يقول أبو ذكريا يحيى بن هذيل أحد شيوخ لسان الدين بن
الخطيب :

وقام بها البطريقُ يسعى ملياً وقد لئن الناقوسَ رفعاً وتأنيساً
فقلنا له أمتاً فإننا عصابة أثينا لتثليث وإن شئت تسديساً
وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما لحناً له فى القول خبثاً وتدليساً^(٤)

(١) نفع الطيب ٢٨٩/٤ .

(٢) نفع الطيب ٢٩٨/٥ .

(٣) نفع الطيب ١٩٠/١ .

(٤) السابق ٤٠/٨ .

وقول لسان الدين بن الخطيب :

وحانة خمار هداña لقصدها شميم الحُميا واصطكاك النواقيس
بكرنا وقلنا إذ نزلنا بساحه عن الصافنات الجرْد والضمر العيس
أيا عابد الناسوت إنا عصاة أئينا لتثليث ، بلى ولتسديس^(١)

الجريال : الجريال بالكسر صبغ أحمر ، وقيل حمرة الذهب ، وقيل
سلافة العصفر ، وقيل ما خلص من لون أحمر وغيره ، وقيل هو الخمر ،
وهو دون السلاف فى الجودة ، أو لون الخمر^(٢) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ تعنى الخمر ؛ وذلك فى قول ذى
الرياستين :

نفس الذليل تعزُّ بالجريال فيقاتل الأقرانَ دون قتال^(٣)
وقول ابن زيدون :

وأدرُ هناك من المدام كؤوسها وأتمها وأشفها جريالا^(٤)
وقول ابن الخطيب :

فأدرت من ذكراك كأس مدامة وشربت من حبى لها جريالا^(٥)

الحمراء المزوجة : تعنى عند الشعراء الأندلسيين الخمر ، لأنها حمراء
اللون تمزج بالماء الصافى ليخفف من حدتها ؛ ويتضح ذلك من قول أحدهم :

(١) نفع الطيب ١٩٣/٩ .

(٢) تاج العروس ٢٥٥/٧ .

(٣) نفع الطيب ٢٠٠/٢ .

(٤) السابق ٤٤/٦ .

(٥) السابق ٧٩/١٠ .

عاطيته حمراء ممزوجة كأنها تعصر من وجنتيه^(١)

الحُمَيَّا : الحُمَيَّا من الكأس سورتها وشدتها ، أو أول سورتها وشدتها ،
أو إسكارها وشدتها ، أو أخذها بالرأس ، يقال : سارت فيه حميا الكأس أى
سورتها ، والمعنى ارتفعت إلى رأسه ، وقال الليث : الحميا بلوغ الخمر من
شاربها ، وقال أبو عبيد : الحميا ديبب الشراب^(٢) .

والحميا تعنى عند الأندلسيين الخمر التى لها سورة وشدة تصرع شاربها ،
وذلك فى قول ابن صارة :

نحن فى مجلس به كمل الآن حس ولو زرتنا لزاد كمالا
طلعت فيه من كؤوس الحميا ومن الزهر أنجم تتلالا^(٣)

وقول ابن دحية : « فلما مثل بين يديه وحياً ، أمر الساقى بمناولته كأس
الحميا ، فتقبَّض متأففا ، وأبدى تمعراً وتقشفاً ... »^(٤)

وقول ابن خفاجة :

لله نُورِيَّةُ المُحَيَّا تحمل نارِيَّةُ الحُمَيَّا
دُرْنَا بها تحت ظل دوح قد راق مرأى وطاب رِيَا^(٥)

وقول أبى القاسم أحمد بن محمد اللخمى لأبيه :

قد كنت أرجو المتاب مما فُتِنْتُ جهلاً به وغَيَا
لولا ثلاث شيوخ سوء أنت وإيليس والحُمَيَّا^(٦)

(١) نفع الطيب ٢٠١/٥ .

(٢) تاج العروس ٩٩/١٠ .

(٣) نفع الطيب ٣٧١/٤ .

(٤) السابق ٥٣/٥ .

(٥) السابق ١٦٣/٥ .

(٦) السابق ٢١٩/٥ ، ٢٨٨ .

وقول لسان الدين بن الخطيب :

وحانة خمار هداناً لقصدها شميم الحميا واصطكاك النواقيس^(١)

الخمر : الخمر ما أسكر من عصير العنب خاصة أو ما أسكر من عصير كل شئ ؛ لأن المدار على السكر وغيوبة العقل ، والخمرة بالهاء القطعة منها ؛ وسميت خمراً لأنها تخمر العقل وتستره ، أو لأنها تركت حتى أدركت واختمرت ، أو لأنها تخامر العقل أى تخالطه ، والجمع لها خمور ، وهى الخمرة كتمر ، وتمر وتمر^(٢) .

والأمر اللافت للنظر أن الخمر ورد ذكرها فى نفع الطيب فى مائتين وثلاثين موضعاً ؛ وهو عدد كبير ؛ إن دل على شئ فإنما يدل على أن الخمر صارت ظاهرة منتشرة بين جميع الأندلسيين عامتهم وخاصتهم ؛ حتى تطرف بعض الشعراء واعتبر عدم شرب الخمر من السيئات ؛ فقال :

لو مضى الوقت دون راح وقصفٍ لعددنا ذلك من السيئات^(٣)

ويحدثنا المقرئ أن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فى إشبيلية غير منكر لأناه عن ذلك ولا متقد ، مالم يؤد السكر إلى شر وعريضة ، وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك ؛ فلم يستطيعوا إزالته^(٤) .

وكان نبيذ العنب من أغلى وأجود أنواع الخمر ، ولذا لجأ العامة فى الأندلس من الفقراء إلى اصطناع أنواع رخيصة ؛ مثل الخمر المتخذة من الذرة أو من العسل ، ولذا لما هم الحكم المستنصر بقطع شجرة العنب من الأندلس ،

(١) نفع الطيب ٩/١٩٢ ، ونظر ٦/٤٣ - ٨/١٨٣ .

(٢) تاج العروس ٣/١٨٦-١٨٧ .

(٣) نفع الطيب ٥/١٨٤ .

(٤) نفع الطيب ٤/١٨٨ .

بعد ماكره له العلماء شرب الخمر ؛ قيل له : فإنها تعصر من سواها ، فأمسك عن ذلك^(١) .

وجدير بالذكر أن مدينة مالقة كانت من أشهر المدن الأندلسية تصنيماً للخمر ، لكثرة الكروم بها ، ويحدثنا المقرئ أنها خُصت بالشراب الحلال والحرام ، حتى سار المثل بالشراب المالحى ، وقيل لأحد الخلاء ، وقد أشرف على الموت : اسأل ربك المغفرة ، فرفع يديه ، وقال : يارب أسألك من جميع ما فى الجنة : خمر مالقة وزيبى إشبيلية^(٢) .

وقد وصفت الخمر عند الأندلسيين بثلاث صفات : الصُّوف للدلالة على نقائها وصفائها ، الرقيق للدلالة على طيبها وحسن رائحتها ، العتيق للدلالة على قدمها وطيبها أيضاً .

وقد كان الأطباء الأندلسيون يداورون بعض مرضاهم بالخمر العتيق ، ويحدثنا المقرئ أنه لما اعتل ابن ذى الوزاريتين أبى عامر بن الفرج ، وزير المأمون ابن ذى النون ؛ فوصف له أن يتداوى بالخمر العتيق^(٣) .

الخندريس : فى التاج : الخندريس الخمر القديمة ؛ رومية معربة ، وحنطة خندريس قديمة ، وتمر خندريس قديم^(٤) .

وقد أطلق الأندلسيون على الخمر الخندريس لقدمها وعتقها ، وذلك فى قول أحدهم :

حيارى يمد بهم شجوههم كأنهم ارتضعوا الخندريساً^(٥)

(١) نفع الطيب ١٨٩/٤ .

(٢) نفع الطيب ١٩٣/٤ .

(٣) نفع الطيب ٣٦٥/٤ .

(٤) التاج ١٣٦/٤ .

(٥) نفع الطيب ٣٢/٩ .

وقول الآخر :

وجئ بها خندريساً من خد ساقيه تُعصر^(١)

دم الزُّق : الزُّق وعاء من جلد يُجزُّ شعره ولا يستف ، يتخذ للشراب وغيره ، وجمعه أرقاق ورقاق .

ودم الزق اسم أطلقه الأندلسيون على الخمر ؛ لأنها تشبه الدم وهى فى الوعاء ؛ وذلك فى قول أحدهم :

ويوم كظلِّ الرمح قصرٌ طوله دمُ الزُّق عنا واصطفاق المِزاهر^(٢)

الراح : فى التاج : الراح : الخمر ؛ اسم له ؛ وسميت راحاً لارتياح شاربها إلى الكرم ؛ وقيل : لأن صاحبها يرتاح إذا شربها^(٣) .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرئ فى مائة وتسعين موضعاً ؛ وهذا يدل على كثرة إطلاق الأندلسيين هذا اللفظ على الخمر ، إما لارتياحهم وشوقهم إليها ، وإما لأنهم يرتاحون بشربها .

وقد ارتبط لفظ الراح بلفظ الريحان عند الشعراء الأندلسيين : الراح والريحان ؛ ويبدو أنهما كانا متلازمين فى مجالس الشراب ؛ ويؤكد ذلك قول أحدهم :

على أنه لم يكمل الظرف مجلس إذا لم يكن فيه مع الراح ريحان^(٤)

وقول آخر :

(١) نفع الطيب ٢٩٦/٩ .

(٢) نفع الطيب ٨٥/٥ .

(٣) التاج ١٥٠/٢ .

(٤) نفع الطيب ١١٩/٥ .

أيام أحياء بالغواني والغنى وأموت بين الراح والريحان^(١)

وقد جمعت لفظة الراح عند الأندلسيين على غير قياس جمع مؤنث سالماً :
الراحات ، وذلك في قول المقرئ : «وإنما عرض للإسكندراني بأنه كان يشهد
مجالس الراحات في أول أمره ومعرفة الغناء...»^(٢) .

وقد وصفت لفظة الراح بلفظة الأصفر للدلالة على صفرة لون الخمر ،
كما أضيفت إلى كؤوس : كؤوس الراح في مواضع عديدة^(٣)

الريحيق : من أسماء الخمر ، أو أطيبها ، وهو صفوة الخمر أو اعتقها
وأفضلها ، أو الخالص منها ، وقيل : هو الشراب الذي لا غش فيه ؛ وقيل :
هو السهل من الخمر أو الصافي ؛ ومنه قوله تعالى : «يسقون من رحيق
مختوم» ، قال الزجاج : الرحيق الشراب الذي لا غش فيه ، والمختوم المصون
الذي لم يتبدل لأجل ختامه^(٤) .

وقد استعمل الأندلسيون لفظة الرحيق للدلالة على صفوة الخمر ؛ ويتضح
ذلك من خلال قول ابن سهل الشاعر :

ما رأينا مثل ثغر نضّده أقمحاً عَصِرَتْ منه رحيق^(٥)

وقول ابن زمرّك :

نشوان لم يشرب رحيقاً لكن إلى الحسن صبّأ^(٦)

وقول ابن جابر الأندلسي الهواري :

(١) نفح الطيب ١٨١/٥ .

(٢) نفح الطيب ٨٥/٥ .

(٣) نفح الطيب ١٢٧/٥ - ٦٨/٨ ، ١٩٩ ، ٣٠٦/٩ ، ٣١٣ .

(٤) التاج ٣٥٥/٦ .

(٥) نفح الطيب ٢٨٧/٩ .

(٦) نفح الطيب ٩٦/١٠ .

فقلتُ مارأيك فى نزهة ما بين كاسات وروض أنيق
فقال معنى خده واللّعى هذا هو الروض وهذا الرحيق^(١)

الزَّرْجُونُ : فى التاج : الزَّرْجُونُ محرّكة الخمر ؛ هو فارسيّ معرب لأن
رر بالفارسية الذهب ؛ وجون اللون ؛ وهم مما يعكسون المضاف والمضاف إليه
عن وضع العرب ، وسميت بذلك لشبه لونها بلون الذهب ، وقيل : الزرجون
الكَرْمُ ؛ وقال ابن شميل : الزرجون شجرة العنب ، كل شجرة ررجونة ؛ أو
الزرجون قضبانها بلغة أهل الطائف والغور . وقال أبو حنيفة : الزرجون
القضيب يغرس من قضبان الكَرْمِ^(٢) .

وقد وردت لفظة الزرجون عند المقرئ تعنى شجر الكَرْمِ ؛ وذلك فى قوله :
فوجدته مبنياً من وجه الماء بصمّ الحجارة فوق زَرْجُونٍ وضع بينها وبين الماء
بأحكام صناعة . . .^(٣) .

السَّيِّئَةُ : فى التاج : السيئة ككرمة الخمر مطلقاً ؛ وسبأ الخمر واستبأها
: اشتراها ؛ وإذا اشتريت الخمر لتحملها إلى بلد آخر قلت سبيتها بلا
همز وسبأتها بالهمز ؛ وإذا جلبتها من أرض إلى أرض فهي سيئة ، قال حسان
ابن ثابت :

كَأَنَّ سَيِّئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ^(٤)

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرئ يحمل مدلول : الخمر بعامه^(٥) .

السَّلَافَةُ : فى التاج : السلافة : الخمر كالسَّلاف بغير هاء ؛ وهو أول ما

(١) نفع الطيب ١٠ / ١٩٠ .

(٢) تاج العروس ٩ / ٢٢٦ ، تكملة المعاجم العربية ٥ / ٣٠٠ (الترجمة العربية) .

(٣) نفع الطيب ١ / ٢٤٧ .

(٤) تاج العروس ١ / ٧٥-٧٦ .

(٥) نفع الطيب ٩ / ٢٧٢ .

يعصر منها ؛ وقيل ماسال من غير عصر ؛ وقيل هو أول ما ينزل منها ؛ وفي التهذيب : السَّالِف والسُّلَاف من الخمر أخلصها وأفضلها ؛ وذلك إذا تحلَّب من العنب بلا عصر ولا مرث ، وكذلك من التمر والزبيب ما لم يعد عليه الماء بعد تحلَّب أوله^(١) .

وقد وردت لفظتنا السلاف والسلافة - بهاء وبغيرها - عند المقرئ تعنى أخلص الخمر وأفضلها ، وذلك في قوله : «... حتى التاح في أفق الخلافة ، وارتاح إليها بعطفه كنشوان السُّلَافَة...»^(٢) .

وقول قاسم بن عبود الرباحي :

كل شئ رأيت غير شئ ما خلا لذة الهوى والسُّلَافَة^(٣)

وقول أبي الحسن المريني في مطلع موشحة له :

في نعمة العود والسلافة والروض والنهر والنديم
أطال من لامننى خلافة فظل في نصحه مُلِيم^(٤)

وقول سليمان بن المرتضى الملقب بالغزال :

قدم الربيع عليك بعد مغيب فتلقه بسُلافةٍ وحبيب^(٥)

وقول أبي الحسن الجياب :

سقاني فاهلاً المدامة والساقى سَلافاً بها قام السرور على ساق^(٦)

(١) التاج ١٤٤/٦ .

(٢) نفع الطيب ١/٣٨٥ .

(٣) نفع الطيب ٢/١٤ .

(٤) نفع الطيب ٢/٢٢ .

(٥) نفع الطيب ٥/١٣٠ .

(٦) نفع الطيب ٨/٢٥٩ ، انظر أيضاً : ٥/٣٥٢ - ٧/٣٤٠ - ٨/٤٠ - ٩/٢٩٠ .

الشُّرَاب : فى التاج : الشراب : ما يُشرب من أى نوع كان على أى حال كان ؛ وجمعه أشربة ؛ وقيل : لا يجمع ؛ وفى اللسان : الشراب اسم لما يشرب فى كل شئ لا مضغ فيه^(١) .

وقد تخصصت دلالة هذه اللفظة عند الأندلسيين ؛ وانحصرت فى إطلاقها على الخمر ؛ وذلك فى قول نزهون بنت القلاعى : «وتراك ياأستاذ ، قديم النعمة بمجمر نذ وغناء وشراب ...»^(٢) . وفى قول المقرئ عن مدينة مالقة : «وقد خُصَّت بطيب الشراب الحلال والحرام ، حتى سار المثل بالشراب المالحى...»^(٣) .

وقوله عن المعتمد بن عباد : «وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولى الملك ، فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب...»^(٤) .

الشَّمُول : فى التاج : والشمول كصبور : الخمر أو الباردة الطعم منها ؛ كالشمولة ؛ لأنها تشمل ريحها الناس أى تعم ، أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال ؛ وشمل الخمر يشملها شملاً : عرضها للشمال فبردت وطابت ؛ ولذا يقال لها مشمولة ؛ وهو مجاز^(٥) .

وقد وردت هذه اللفظة فى استعمال الأندلسيين تعنى الخمر الباردة الطيبة ؛ وذلك فى قول القارئ البغدادي :

ومابال خفاق النسيم يمينى هل الريح راح والشمال شمول^(٦)

(١) تاج العروس ٣١٢/١ .

(٢) نفع الطيب ١٨٦/١ .

(٣) نفع الطيب ١٩٣/٤ .

(٤) نفع الطيب ٣٦٣/٤ .

(٥) تاج العروس ٣٩٦/٧ - ٣٩٧ .

(٦) نفع الطيب ٣٣/١ .

وقول أبى بكر بن القَبْرُنة :

ياأخى ، قم تر النسيم علياً باكرِ الروضَ والمُدَامَ شمولاً^(١)
وقول ابنِ شَهِيدٍ فى الحرشف :

أقسمت لا أطعمها أكيلي ولاطعمتها على شمول^(٢)

وقول ابن زيدون فى نونيته المشهورة :

ناسى عليك إذ حُتَّتْ مشعشةٌ فينا الشمول وغنَّانا مغنيا^(٣)

الصَّبُوحُ والغُبُوقُ : فى التاج : الصبوح : ما حلب من اللبن بالغداة ؛ أو ما شرب بالغداة فما دون القائلة ، والصبوح أيضاً كل ما أكل أو شُرب غدوة ؛ وهو خلاف الغبوق ؛ والصبوح : ما أصبح عندهم من شراب فشربوه ؛ والصبوح : الناقة تحلب صباحاً^(٤) .

والغبوق كصبور : ما يُشرب بالعشى ؛ خلاف الصبوح ؛ وخص بعضهم به اللبن المشروب فى ذلك الوقت ؛ وقيل : هو ما أمسى عند القوم من شرابهم فشربوه^(٥) .

وقد استعمل الأندلسيون اللفظتين متلازميتين : الصبوح والغبوق للدلالة على شرب الخمرة فى الصباح والمساء ؛ وذلك فى قول المقرئ :

« فلا يزال معه فى صبحٍ وغبوقٍ ، وهو مجدد له كل يوم كرامة . »^(٦) .

(١) نفع الطيب ١٧٠/٢ . (٢) نفع الطيب ٢١٦/٤ .

(٣) نفع الطيب ٢٤٥/٤ وانظر اللفظة فى المواضع الأخرى ٣٤٧/١ - ٤٥/٥ ، ٥٤ - ٣٣٨/٧ - ١٠/٨ .
- ٣١١/٩ - ١٤٤/١٠ .

(٤) تاج العروس ١٧٥/٢ .

(٥) تاج العروس ٣١/٧ .

(٦) نفع الطيب ١٨٩/١ .

وقوله : وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة جرى فى صباه طُلُقَ الجموح ، ولم يزل يعاقب بين غبوق وصبوح ، إلى أن دعاه النذير ، فاهتدى منه بسراج منير . . . (١) .

كما أفردوا لفظة الصبوح بالاستعمال وحدها ، وجمعت عندهم جمع مؤنث سالماً ، وصارت الصبوحيات ، للدلالة على خمر الصباح ، ويتضح ذلك فى قول أحدهم : طاب الصبوح لنا فهناك وهات (٢) .

وقول المقرئ : « فاستحسن المأمون مارأى ؛ وعزم على الصبوح . . » (٣) .
وقوله : « ثم تعداها إلى وصف الصبوح ، وأجهز على الزق المجروح . . » (٤) .
وقد كان للسان الدين بن الخطيب مجموعة موشحات سماها الصبوحيات (٥) ، ونلاحظ كثرة استعمالهم للصبوح فى الخمر وقلة استعمالهم للغبوق فيها ، ويبدو أن غبوقهم كان لبناً فى أغلب الأوقات .

الصَّهْبَاءُ : فى التاج : الصهباء : الخمر سميت بذلك للونها الأصفر الضارب إلى شئ من البياض والحمرة ؛ أو المعصورة من عنب أبيض ، وقال أبو حنيفة : الصهباء اسم لها كالعلم (٦) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ تعنى عند الأندلسيين الخمرة الصفراء الضاربة إلى شئ من الحمرة والبياض « البرتقالى » وذلك فى قول أحد الشعراء :

(١) نفع الطيب ٣٥٠ / ٤ .

(٢) نفع الطيب ١٠٤ / ٤ .

(٣) نفع الطيب ١١٦ / ٤ .

(٤) نفع الطيب ٣٥٥ / ٨ .

(٥) نفع الطيب ١٠٥ / ١٠ .

(٦) تاج العروس ٣٤٧ / ١ .

على قدرك الصَّهْبَاءُ توليك نشوةً بها سئى اعداء وسرَّ صحاب^(١)
وقول ابن سفر المرينى :

فى أرض أندلس تُلتذُّ نعماء ولا يفارق فيها القلب سراً
وليس فى غيرها بالعيش مُتَّعٌ ولا تقوم بحق الأئس صهباء^(٢)
وقول نور الدين بن سعيد :

يانهر حمص ، لاعدتك مسرةً ماء يسيل لديك أم صهباء^(٣)
وحمص فى البيت هى مدينة إشبيلية ، وقد كان أهل الأندلس يشبهونها
بحمص الشام ، ونهرها هو المسمى بالوادى الكبير .

وكتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبى يستدعى بعض إخوانه إلى مجلس
أنس : «نحن فى مجلس أغصانه الندامى ؛ وغمامه الصهباء...»^(٤)
وقال ابن صارة فى النار :

لو ترانا من حولها قلت قوم يتعاطون أكؤس الصهباء^(٥)
الطلاء : فى التاج : الطلاء ككساء القطران وكل ما يُطلى به ، وبعض
العرب يسمي الخمر الطلاء ، يريد بذلك تحسين اسمها لا إنها الطلاء بعينه ؛ قال
عبيد بن الأبرص للمنذر حين أراد قتله :

هى الخمر تكنى الطلاء كما الذئب يكنى أباجعة
والطلاء أيضاً خائر النصف ؛ وهو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب

(١) نفع الطيب ٧٥/١ .

(٢) نفع الطيب ٢٠٢/١ ، ٢١٦ .

(٣) نفع الطيب ٢٢٤/٢ .

(٤) نفع الطيب ٣١٦/٤ .

(٥) نفع الطيب ٣٩٦/٤ وانظر اللفظة أيضاً فى : ٢١٨/٤ - ١٨٨/٥ - ٣٨٤/٨ .

ثلاثاء ، وفى الأساس : شرب الطلاء أى المثلث ، شبه فى خثورته بالقطران^(١) .
وقد وردت لفظة الطلاء مقصورة ومحدوفة الألف أيضاً عند المقرئ تعنى الخمر ،
وذلك فى قول الأمير الحسن بن نزار :

ومهما تكن فى ضيقةٍ فأدر لها كؤوس الطلاء ؛ فالسكر يوسع ماضاقاً^(٢)

وقول أبى عبد الله ابن عائشة :

وبت أسقيه كؤوس الطلاء ولم أزل أسهر شوقاً إليه^(٣)

وقول ابن زمرك :

إذا مانهانى الشيب عن أكؤس الطلاء تدير على الخمر منها بأكؤس^(٤)

وقول ابن الخطيب :

وأكؤس الطلل مترعات بأغل السوسن الندى^(٥)

وقوله أيضاً :

وأبتعت جعفرأ الفضل وكم بات الطلاء يسقيهما صريف الطلاء^(٦)

العقار : فى التاج : والعقار بالضم : الخمر ، سميت لمعاقرتها أى
للملامستها الدنّ ، يقال عاقره إذا لارمه وداوم عليه ، والمعاقرة الإدمان
ومعاقرة الخمر : إدمان شربها ، قيل هو مأخوذ من عقر الخوض لأن الواردة
تلارمه ، وقيل سميت عقاراً لأن أصحابها يعاقرونها أى يلازمونها ، أو لعقرها

(١) تاج العروس ٢٢٧/١٠ .

(٢) نفع الطيب ٤٣/٥ .

(٣) نفع الطيب ٢٠١/٥ .

(٤) نفع الطيب ٣٥/١٠ .

(٥) نفع الطيب ١١٦/١٠ .

(٦) نفع الطيب ١٧٢/١٠ .

شاربها عن المشى ، أو لأنها تعقر العقل أى تغلبه ، ويقال عاقره إذا لارمه
وداوم عليه ، والمعاقرة : الإدمان ، وفى الحديث : لا يدخل الجنة معاقر
خمر^(١) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ تعنى الخمر ، وذلك فى قول الشاعر
أبى الحسن المرينى :

واخرج معى للوادى لشرب العقار^(٢)

وقول المقرئ : ولبسوا برود السرور ومانضوها ، حتى صرعتهم
العقار^(٣) . وقوله : «وأفصححت الثالث والثانى ، بما استنزل من مرقب
الوقار ، وسرى فى النفوس مسرى العقار...»^(٤) ؛ وقوله : «والقادر بالله
رحمه الله قد التحف الوقار وارتهاء ، وحكم العقار فى جوده ونده...»^(٥) .
وقوله : «فقال الأمير : يا ابن عاصم ، ما يصلح فى يومنا هذا ؟ فقال : عقار
ينفذ الدنان ، وتؤنس الغزلان...»^(٦) .

وقول ابن خفاجة :

عقاراً نمامها الكرم فهى كريمة ولم تزن بابين المزن فهى حصان^(٧)

القرقف : القرقف كجعفر ؛ والقرقف مثل عصفور اسم الخمر التى يرعد
عنها صاحبها من إدمانه إياها ؛ قال ابن الأعرابى : سميت بذلك لأنها ترعد

(١) تاج العروس ٤١٧/٣ .

(٢) نفع الطيب ٢٤/٢ .

(٣) نفع الطيب ١٦٩/٢ .

(٤) نفع الطيب ١٧٢/٢ .

(٥) نفع الطيب ١٧٦/٢ .

(٦) نفع الطيب ٢١٨/٤ .

(٧) نفع الطيب ٣٠٨/٤ وانظر اللفظة فى : ٣٩١/٤ - ٢٩٨/٥ - ٥٥/٦ ، ٢٤٥ - ٣٥٦/٨ - ١٩٤/٩ .

٣١٢ ، ١٢/١٠ .

شاربها ، وقال الليث : القَرْقَفُ توصف به الخمر ، ويوصف به الماء البارد ذو الصفاء^(١) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ تعنى الخمر ، وذلك فى قول أبى عيسى ابن الجُبُون :

قم يانديم ادرْ على القَرْقَفَا او ماترى زهر الرياض مفوقاً^(٢)

وقول أبى بكر البلنسى لأبى بحر صفوان بن إدريس :

خليلى أبا بحر وما قرقف للمى بأعذب من قولى خليلى أبا بحر^(٣)

وقول أبى عبد الله محمد بن يحيى الباهلى :

وصلت صحيفتكم فهزّت معطنى فكأنما أهدت كؤوس القَرْقَف^(٤)

وقول آخر :

وأحور وسانان الجفون كأنما سقى لحظه من ريق فيه بقرقف^(٥)

القهوة : فى التاج . القهوة الخمر ، يقال سميت بذلك لأنها تقهى شاربها عن الطعام ؛ أى تذهب بشهوته أو تشبعه ، والقهوة الشبعة المحكمة ، وبه سميت الخمر قهوة لأنها تشبع شاربها ، وقيل : القهوة : الخمر الرقيق الصافى الأبيض^(٦) .

وقد وردت هذه اللفظة عند الأندلسيين تعنى الخمر ، وقد وصفت بلفظة :

(١) تاج العروس ٦ / ٢٢٠ .

(٢) نفع الطيب ٢ / ٢٠٢ .

(٣) نفع الطيب ٤ / ٢٣٩ .

(٤) نفع الطيب ٧ / ٢٣٦ .

(٥) نفع الطيب ٩ / ٣٠٢ .

(٦) تاج العروس ١٠ / ٣٠٨ ، كتاب التتوير ٥٨ .

الصهباء للدلالة على صفرة لونها الضارب إلى البياض والحمرة ، ووصفت كذلك بلفظة : ذهبية للدلالة على أن لونها لون الذهب ، وذلك في قول المقرئ : فظرب ، وشرب ، واستزاده ، فغناه :

من لى على رغم الحسود بـقهوة بكرٍ ربيبة حانة عذراء^(١)
وقوله على لسان صاعد البغدادي :

وقهوة من فم الإبريق صافية كدمع مفاجعة بالآلف معبار^(٢)
وقوله على لسان ابن الزقاق الأندلسي :

وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف يكاد معطفه ينقد بالنظر^(٣)
وقوله على لسان أبي عبد الله الجذامي :

لا تؤاخذ من أخل به قهوة في الكاس كالقبس^(٤)
وقوله على لسان الرمادي الشاعر :

نور وغيث مُسْبِل وقهوة تَسْلَسِل^(٥)
وقوله على لسان أبي جعفر ابن عبد الملك بن سعيد :

وكان الكأس والقهم حوة دينار ودرهم^(٦)

الكاس : في التاج : الكاس الإناء يشرب فيه أو مادام الشراب فيه ، فإذا

(١) نفح الطيب ١/ ١٩٠ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ٨٣ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٢٥٨ .

(٤) نفح الطيب ٥/ ١٦ .

(٥) نفح الطيب ٥/ ٢٢١ .

(٦) نفح الطيب ٥/ ٣٣٤ وانظر هذه اللفظة أيضاً في : ٢٨٤/٢ - ٢٨٣/٥ ، ٢٩٧ - ٣٩١/٦ - ٤٧/٧ -

٢٩٠ ، ٢٧٦/٩ - ٢٥٩/٨ .

لم يكن فيه فهو قدح ، وهى مؤنثة ، قال الله تعالى : بكأس من معين
بيضاء ، وهى مهمورة ، وقد يترك الهمز تخفيفاً ؛ وقيل : الكاس الشراب
بعينه ، وفى المحكم : الكأس الخمر نفسها ؛ اسم لها ومنه قوله
تعالى : «يطاف عليهم بكأس من معين» ؛ والجمع أكؤس وكؤوس وكاسات
وكناس^(١) .

وقد استعمل الأندلسيون لفظة الكأس للدلالة على الخمر ؛ وذلك فى قول
المعتمد بن عباد فى جارية اسمها وداد :

اشرب الكأس فى وداد ودادك وتأنس بذكرها فى انفرادك
قمر غاب عن جفونك مرأ وسكناء فى سواد فؤادك^(٢)

الكُمَيْت : فى التاج : الكُمَيْت : الخمر لما فيها من سواد وحمرة ، وقال
أبو حنيفة : هو اسم لها كالعلم ؛ يريد أنه قد غلب عليها غلبة الاسم العلم ؛
وإن كان فى أصله صفة^(٣) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ تعنى الخمر ؛ وذلك فى قول أحد
الشعراء الأندلسيين :

وحمرأ فى الكأس مشمولة تحت على العود فى كل بيت
فلا غرو أن جاءنى سابقاً إلى الأنس خلّ يحث الكُمَيْت^(٤)

المُدَامَة : فى التاج : المُدَام والمُدَامَة بالضم الخمر ؛ سميت بذلك لأنه
ليس شراب يستطيع إدامة شربه إلا هى ؛ وفى الأساس لأن شربها يدام أياماً

(١) تاج العروس ٢٢٨/٤ - ٢٢٩ .

(٢) نفع الطيب ٢٣٩/٥ ، أيضاً : ٣٥٥/٨ .

(٣) تاج العروس ٥٧٩/١ .

(٤) نفع الطيب ٣٣٧/٩ .

دون سائر الأشربة ، وفى المحكم : وقيل لإدامتها فى الدنّ زماناً حتى سكنت
بعدما فارت ؛ وقيل سميت مدامة إذا كانت لا تنزف من كثرتها ، وقيل
لعتقها^(١)

وقد وردت هذه اللفظة بالتاء وبدونها : المدامة والمدايم عند المقرئ فى مائة
وستين موضعاً ؛ وهذا يدل على كثرة استعمال الأندلسيين لهذه اللفظة للدلالة
على الخمر ، ومن هذه المواضع قول المقرئ :

أين العساكر والدسا كر والندامى فى المدامة^(٢)
وقوله أيضاً :

وكان الاوقات فيك كؤوس دائرات وأنهنّ مُدام^(٣)
وقول ابن اللبّانة فى ميروقة :

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلّة ريشه الطاووس
فكانما الأتھار فيه مدامة^(٤) وكأنّ ساحات الديار كؤوس^(٥)

وقول ابن سقر المرينى فى الأندلس :

وأين يُعدل عن أرضٍ تحضُّ بها على المدامة أمواه وأفياه^(٥)

المُسْتَطَار : فى التاج : المُسْتَطَار بالضم وبالكسر : الخمرة الصارعة
لشاربها ، من سطره إذا صرعه ؛ أو الحامضة ، وقال الجوهري : ضرب من
الشراب فيه حموضة ، وزاد فى التهذيب : لغة رومية ، أو هى الخمر الحديثة

(١) تاج العروس ٢٩٦/٨ .

(٢) نفع الطيب ١٤/١ .

(٣) نفع الطيب ٢٣/١ .

(٤) نفع الطيب ١٦٦/١ .

(٥) نفع الطيب ٢٠٢/١ ، ٢١٧ .

المتغيرة الطعم والريح ، وقال الأزهري : هي التي اعتصرت من أبكار العنب حديثاً بلغة أهل الشام^(١) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ تعنى عند الأندلسيين : عصير العنب أول ما يعصر ، وقد أخذ عليهم الزبيدي وابن هشام اللخمي ذلك ؛ بقولهما : ويقولون لعصير العنب أول ما يعصر مُصْطَار ، وإنما المصطار الخمر التي فيها حموضة ، وقيل التي فيها حلاوة^(٢) .

وهذا تعسف من الزبيدي وابن هشام اللخمي ، لأن الأزهري يؤكد أن المصطار هي التي اعتصرت من أبكار العنب حديثاً بلغة أهل الشام ؛ واستعمال الأندلسيين لهذه اللفظة بهذا المعنى لا خطأ فيه .

ويؤكد الدكتور عبد العزيز الأهواني أن هذه اللفظة عربت في المشرق بدليل ورودها عند الجوالقي في المغرب ، وعنه انتقلت إلى الأندلس ، وهي في اللاتينية mustum والصفة منها mustarius ، وفي الأسبانية mosto ، ومعناها في اللاتينية والأسبانية يتفق مع المعنى العامي : عصير العنب أول ما يعصر^(٣)

وموضع ورود هذه اللفظة عند المقرئ جاء في قصيدة لابن خميس :

خذها على تنعيم مِصْطَارِهَا بين خوابيها وبين الدَّوَالِ
في روضةٍ باكرٍ وَسَنِيبِهَا اخمَلْ دَارِينَ وَأَنْسَى أَوَالِ^(٤)

المُحَقَّقة : في التاج : والمُعْتَقَة كمعظمة : الخمر القديمة التي عتقت زماناً ؛

قال الأعشى :

(١) تاج العروس ٢٦٧/٣ .

(٢) ألفاظ مغربية ٦١ ، لحن العامة للزبيدي ١٧٤ .

(٣) ألفاظ مغربية ٦١ . وانظر الكلمة في المغرب للجوالقي ص ٣٢١ حيث قال «المصطار : من صفات

الخمر . يقال هو رومي مغرب ، وهو بالسين أيضاً ط الثالثة ، دار الكتب ، ١٩٩٥ م .

(٤) نفع الطيب ٣٣٨/٧ .

وسبيطة مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

وعتقت الخمر : حسنت وقدمت^(١)

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ في شعر ساقه لابن اللبانة في قوله :

شربنا وجفنُ الليل يغسل كحله بماء صباح ، والنسيمُ رقيقُ
معتقة كالشبر ، أما نهارها فضخمٌ ، وأما جسمها فرقيق^(٢)

النبيذ : النبيذ فعيل بمعنى المنبوذ ، وهو الملقى ، ومنه ما نبذ من عصير ونحوه كتمر وزبيب وحنطة وشعير وعسل ، وهو معيار ، وفي النهاية : يقال نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً ، فصُرِفَ من مفعول إلى فعيل ، وصار اسماً للشراب كأنه من الجوامد بدليل جمعه على أنبذة ككتيب وأكثبة ، وفي المحكم : وإنما سُمِيَ نبيذاً لأن الذي يتخذهُ يأخذ تمرّاً أو زبيباً فينبذه في وعاء أو سقاء ويصب عليه الماء ، ويتركه حتى يفور فيصير مسكراً ، والنبز : الطرح ، ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ كما يقال للنبيذ خمر^(٣) .

وقد وردت لفظة النبيذ عند المقرئ تعني الخمر المتخذة من عصير العنب ، وذلك في قوله : «وكان خليعاً ماجناً مشتهراً بالنبيذ...»^(٤) وقوله عن زرياب : «فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غناؤه...»^(٥) . وقوله : «وبعثوا صاحباً لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ، ونظام مسرتهم ، ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه في لجين رجاجه ... ، واتفق أن فارساً من الجنند ركض فرسه

(١) تاج العروس ٧/ ٤-٥ .

(٢) نفع الطيب ٦/ ٢٠ .

(٣) تاج العروس ٢/ ٥٨٠ ، كتاب الأشرية لابن تقيّة ، تحقيق مدوح حسن محمد ، ص ٢٨ .

(٤) نفع الطيب ١/ ١٩٠ .

(٥) نفع الطيب ٤/ ١١٠ .

فصدمه وكسر قُمْعَلُ النبيذ الذى كان معه»^(١) . وقوله : «من فكّر فى كرب الخُمار تنغصت عنده لذة النبيذ»^(٢) .

وقول ابن حزم :

أما النبيذ فإنى لست أشربه ولا أجيتك إلا كسوتى بيدي^(٣)

النجيع : فى التاج : النجيع من الدم ما كان إلى السواد ، أو هو الدم مطلقاً ، وقال يعقوب : هو الدم المصبوب ، أو دم الجوف خاصة ، وقيل هو الطرى منه ، وقيل النجيع ما نجع فى البدن من طعام أو شراب ، وتنجّع تَلَطَّخَ بالدم^(٤) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ معنى الخمر ؛ لأنها تشبه الدم فى حمرتها ؛ وذلك فى قول أبى الحسن الحرالى :

أجريح كاساتٍ أرقّتَ لجميعها طَلَبُ الترات يعزُّ منه خِصَاص
لا تسفكن دم الزجاجة بعدها إن الجروح كما علمت قصاص^(٥)

النطفة : فى التاج : النطفة بالضم الماء الصافى قل أو كثر ، وما يستدرك عليه : قول ذى الرمة : تقطع ماء المزن فى نطف الخمر . فجعل الخمر نطفة وأما النابتة الجمعدى فجعل الناطف الخمر فى قوله :

وبات فريق ينضحون كأنما سقوا ناطفاً من أذرعات مفلقلا^(٦)

وقد وردت لفظة النُطْف جمعاً للنطفة عند المقرئ معنى الخمر ؛ لأنها

(١) فتح الطيب ٧١٣/٤ .

(٢) فتح الطيب ٤٢/٩ .

(٣) فتح الطيب ٢٧٦/٩ .

(٤) تاج العروس ٥١٩/٥ .

(٥) فتح الطيب ٢٤٧/٧ .

(٦) تاج العروس ٢٥٧/٦-٢٥٨ .

صافية نقية كماء المطر الصافى ؛ وذلك فى قول لسان الدين بن الخطيب :

نُطِّف من النور المين تجسَّمت حتى حسبنا أنهنَّ هُذاكِ
يحلون على الأفواء طيب مذاقها لولا التجسد خلتهن ثناكا^(١)

ثانياً : الفاظ المشروبات الأخرى

مجموع الفاظ هذا المبحث اثنا عشر لفظاً ، وهى الجلاب ، الحسا ،
السكنجيين ، الشهد ، الضرب ، العسل ، قصب السكر ، الألبان ، الماذى ،
المذح ، المن ، النقل .

الجلاب : فى التاج : الجُلَّاب كزُّنار : ماء الورد ، وهو فارسى معرب ،
كُلاب وكِلاب ، وفى حديث عائشة رضي الله عنها كان النبى ﷺ إذا اغتسل من
الجنابة دعا بشئ مثلاً الجلاب فأخذه بكفه فبدأ بشق رأسه الأيمن ثم الأيسر ،
قال أبو منصور : أراد بالجلاب ماء الورد^(٢) .

وعند أى شير : الجُلَّاب والجُلَّاب : العسل أو السكر عقد بوزنه أو أكثر
من ماء الورد ، مركب من : كل أى ورد ، ومن آب أى ماء^(٣) . ويعرّف
القمري الجُلَّاب بقوله : هو حلالات تنحل فى الماء ، مثل العسل والسكر
والترنجيين ونحوها^(٤) .

وأما عن طريقة تصنيع الجلاب عند الأندلسيين فهى : يؤخذ من ماء الورد
العطر خمسة أرتال ، ومن السكر رطلان ونصف ، ويطبخ الجميع حتى يأتى
فى قوام الأشربة^(٥) .

(١) نفع الطيب ٧٧/١٠ . (٢) تاج العروس ١٨٦/١ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة ٤٢ .

(٤) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ٦٠ .

(٥) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٢٣٩ .

وقد ورد ذكر الجلاب على السنة الشعراء الأندلسيين ، ومنه قول أحدهم :

أيام تبدى ثمرات بسدا فى جنباتهن الأرطاب
كانه فى العين ياقوت أو كانه فى الفم جلاب^(١)

الحسا : الحساء : طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن ، وقد يحلى ، ويكون رقيقاً يحسى ، وحسا الطائر الماء حسواً وهو كالشرب للإنسان ، وحسا ريد المرق حسواً : إذا شربه شيئاً بعد شئ^(٢) .

وقد ورد لفظ الحسا مقصوراً عند المقرئ يعنى : ضرباً من الشراب يتخذ من ماء ودقيق وكسور باردة ، وهو ما يعرف بالمرق أو فى العامية المصرية بالشورية ، وهو عند الأندلسيين شراب الفقراء والزاهدين ، ويتضح ذلك من خلال قول المقرئ : ثم قام وجاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة ، فجعل يفت فيها ، ثم أشار إلى أن اشرب ، فشربت ، ثم شرب إلى أن أتينا على آخرها^(٣) .

السكنجيين : معرب عن : سركا أنكيين الفارسي ، وسركا تعنى الخل ، وأنكيين تعنى العسل ، وعُرب فحذفت واؤه ، ويطلق اسم السكنجيين أصلاً على الشراب المركب منهما : الخل والعسل ، ثم سميت الأشربة بهذا الاسم ، وإن كان فيها مكان العسل سكر ، ومكان الخل رب بغض الفواكه^(٤) .

ولقد كان الأندلسيون يعرفون نوعين من السكنجيين : نوعاً يتخذ من الخل

(١) نفع الطيب ٣٠٤/٦ .

(٢) تاج العروس ٨٨/١٠ .

(٣) نفع الطيب ٣٠٣/٤ .

(٤) تذكرة داود ١٩٦/١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، مفاتيح العلوم ١٠٤ ، الألفاظ الفارسية المعربة ٩٢

الحاذق والسكر ويطبخ الجميع حتى يأتى فى قوام الاشربة ، ونوعاً يتخذ من الخل الحاذق والعسل والسكر ويطبخ الجميع حتى يأتى فى قوام الاشربة^(١) .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرئ فى معرض حديثه عن الفقيه الرحال أبى إسحاق إبراهيم ابن الحاج النميرى الذى كتب للرئيس أبى القاسم بن رضوان يطلب منه شراب سكنجيين ؛ وقصد التصحيف بقوله : أحسن زان بيتك ، لحبيب تُسرُّ به مرضى ، تصحيفه أحب شراب سكنجيين شربه بُرَّه مرضى^(٢) .

الشهد : فى انتاج : الشهد : عسل النحل مادام لم يعصر من شمعته ، واحدته شهدة ، والجمع شهاد^(٣) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرئ مفردة : الشهد ، ومجموعة : الشهاد ، وموصوفة بـ : المشور أى الذى جمع من خليته ، وشهى اللعس ، واللعس : الطعم واللون ؛ وذلك فى قول ابن حمدى الصقلى يصف بركة :

فكأنها ظنَّتْ حلاوة مائِها شهداً فذاقته بكل لسان^(٤)

وقول ابن الجيَّاب فى الأندلس :

أبى الله إلا أن تكون اليد العليا لا تذل من غير شرطٍ ولا ثنيا
وإن هى عضتها بنوب نواصب فصيرت الشهد المشور بها شرباً^(٥) .

وقول لسان الدين بن الخطيب فى وصف أديب : «يقيم أود المعانى ، ويشيد مصانع اللفظ محكمة المبانى ، ويكسو حلل الإحسان جسوم المثلث

(١) كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس ٢٤٤ .

(٢) نفح الطيب ٧٦/٨ .

(٣) تاج العروس ٣٩٢/٢ .

(٤) نفح الطيب ٣٩٢/٢ .

(٥) نفح الطيب ٣/٨ .

والثاني ، إلى نادرة لثلاثها يُشار ، ومحااضرة يجنى بها الشهد ويُشار .^(١)

وقول المقرئ في تهذيب النفس :

فلا تطعموها السم في الشهد ضلّةً فذلك سُمّ لا يداوى بدرياق^(٢)

وقول لسان الدين بن الخطيب في إحدى موشحاته :

بَدَرْتُمْ أَهَيْفُ حُلُو اللَّمَى ريقه شهد شهى اللعس^(٣)

وقال أحدهم في المدح :

شيم حلوة الجنى وسجايا شهد المجد أنها كالشهاد^(٤)

وقول المقرئ عن السيدة صبح : «وموّهت ذلك كله المرئى والشهد وغيره
من الأصباغ المتخذة بقصر الخلاقة...»^(٥)

الضَرْبُ : في التاج : الضَرْبُ بالتحريك : العسل الأبيض الغليظ ؛
الطائفة منه : ضَرْبَةٌ^(٦) .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرئ يحمل الدلالة السابقة : عسل النحل
الأبيض الغليظ ، وذلك في قوله عن القصر الزاهي الذي بناه المعتمد بن عباد :
«وكان القصر الزاهي من أجمل المواضع لديه وأبهائها ، وأحبها إليه وأشهاها ؛
لإطلاله على النهر ، وإشرافه على القصر ، وجماله في العيون ، واشتماله
بالزهر والزيتون ، وكان له به من الطرب ، والعيش المرزى حلاوة الضَرْبُ ،
مالم يكن بحلب لبني حمدان...»^(٧) .

(١) نفع الطيب ٣٥٦/٨ . (٢) نفع الطيب ١٤/٩ .

(٣) نفع الطيب ٢٩٠/٩ . (٤) نفع الطيب ٣٤٣/٩ .

(٥) نفع الطيب ٨٠/٤ .

(٦) تاج العروس ٣٤٨/١ .

(٧) نفع الطيب ٥٠/٦ .

العسل : فى التاج : العسل : لعاب النحل تخرجه من أفواهها ، وذلك أنها تأكل من الأزهار والأوراق ما يملأ بطونها ، ثم إنه تعالى يقلب تلك الأجسام فى داخل أبدانها عسلاً ، ثم تلقيه من أفواهها ، وقيل يخرج من أدبارها ، يذكر ويؤث ، والتأنيث أكثر ، والجمع أعسال وعسل وعسول وعسلان... (١).

ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بعسل النحل الجيد مدينتا أشبونة وإشبيلية ، ويحدثنا المقرئ عن أشبونة بقوله : وفيها عسلٌ يجعل فى كيس كنان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر... (٢).

وأما جبل الشرف بإشبيلية فعسله لا نظير له ، يقول عنه المقرئ : «وعسل الشرف يبقى حيناً لا يترمل ولا يتبدل»... (٣).

ولقد كان عسل النحل موجوداً بكثرة فى خروق الصخور بمدينة جليقية أيضاً؛ ويحدثنا المقرئ عن حصار المسلمين لبلاى النصرانى ومن معه بقوله : «ولم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح إلا الصخرة التى لاذ بها هذا العليج ومات أصحابه جوعاً إلى أن بقى فى مقدار ثلاثين رجلاً ونحو عشر نسوة ، ومالهم عيش إلا من عسل النحل فى جباح معهم فى خروق الصخرة»... (٤).

وفى موضع آخر يقول عنهم : «ولاطعام لهم إلا العسل يشارونه من خروق بالصخرة فيقتوتون به»... (٥).

وقيل لأديب : بم عرفت ربك ؟ قال : بنحلة فى أحد طرفيها عسل ، وفى الآخر لسع ، والعسل مقلوب اللسع... (٦).

(١) تاج العروس ١٦/٨ - ١٧ . (٢) نفع الطيب ١/١٥٢ .

(٣) نفع الطيب ١/٢٠٠ . (٤) نفع الطيب ١/١٣ .

(٥) نفع الطيب ٦/١٢٠ .

(٦) نفع الطيب ٧/٢٦٩ وتظهر اللفظة فى ٢٧٢/٩ - ٢٤٠/١٠ .

قصب السكر : نبات ساقه أنابيب وكعوب ، يستخرج من عصيره السكر ،
ولذا ارتبط اسمه بالسكر .

ولقد كان قصب السكر فى الأندلس كثيراً وخاصة فى سواحلها ويسمونه
القصب الحلو^(١) . ويحدثنا المقرئ عن ذلك بقوله : «وأما الثمار وأصناف
الفواكه ، فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد فى سواحلها قصب
السكر والموز المدومان فى الأقاليم الباردة...»^(٢) .

ومن المدن الأندلسية التى اشتهرت بقصب السكر : إشبيلية التى يقول عنها
المقرئ : حازت البر والبحر والزرع والضرع ، وكثرة الثمار من كل جنس
وقصب السكر...»^(٣) .

ويحكى الحميدى عن أبى عمرو الكلبي قال : كنت جالساً عند أبى عمرو
أحمد بن عبد ربه فأتاه من بعض إخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر
ومعه كتاب ، فأجابه ابن عبد ربه بديهة :

بعثت ياسيدى حلو الأنابيب عذب المذاق مخضراً الجلايب
كأنما العسل الماذى شيب به أو ريق محبوبة جاءت لمحبوب^(٤)

وكان قصب السكر يتنقل به على الشراب مع أنواع الفواكه والرياحين ،
ويؤكد ذلك قول أحدهم : وهل تكتمل لذة دون إحصار خدود الورد ، وعيون
الترجس ، وأصداغ الأس ، ونهود السفرجل وقودود قصب السكر ، ومباسم
قلوب الجوز ، وسرر التفاح ، ورضاب ابنة العنب؟^(٥) .

(١) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٩٠ .

(٢) نفع الطيب ١/ ١٩٣ . (٣) نفع الطيب ١/ ٢٠١ .

(٤) جذوة المتبس فى ذكر ولاية الأندلس للحميدى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ ،

ص ٤٠ .

(٥) نفع الطيب ٥/ ٤٤ .

الألبان : اللبن سائل أبيض يكون فى إناث الأدميين والحيوان ، وهو اسم جنس جمعى ، واحدته لبنة ، وهى الطائفة القليلة من اللبن ، والجمع البان ، ولبن كل شجرة : ماؤها . واللَّبُون التى نزل اللبن فى ضرعها ، واللبين المغذّى باللبن من الحيوانات^(١) .

ولقد كان اللبن يدخل فى كثير من المطبوخات الأندلسية كالأرز المطبوخ باللبن ، وكان الأندلسيون يخلطونه بكثير من الأطعمة الأخرى ، كما اتخذوا منه اللبن التى تدخل فى عمل حلوى المجبنات ، ويقول أحد الشعراء الأندلسيين فى اللبن :

واين الألبان لاكوابها فى بُرمِ الأرز تسكاب^(٢)

وقد ورد ذكر اللبن عند المقرئ فى مواضع عديدة منها : «فذهب وجاءنى بكسرة خبز وقده لبن...»^(٣) ، ومنها : «... ولكن لا يستعمل «قرم» إلا مع اللحم ، ولا يستعمل «عام» إلا مع اللبن ، فتقول ، عمتُ إلى اللبن...»^(٤) ومنها قول لسان الدين بن الخطيب :

نادت بمفخرى الأقالام معلنةً هذى المفاخر لأقْبَانٍ من لبن^(٥)

المأذَى : فى التاج : المَأْذَى بتشديد الياء : العسل الأبيض الرقيق ، والمأذية بهاء : الخمرة السلسة السهلة فى الحلق شبهت بالعسل^(٦) .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرئ فى بيتين ساقهما لابن قزمان ، وهما :

(١) المعجم الوسيط ٨٤٧/٢ .

(٢) نفح الطيب ٣٠٣/٦ .

(٣) نفح الطيب ١٢٩/١٠ .

(٤) نفح الطيب ١٣٣/١٠ .

(٥) نفح الطيب ٢٧٥/٩ .

(٦) تاج المروس ٣٣٩/١٠ .

ركبوا السيول من الخيول وركبوا فوق العوالى السمر رُرق نطاف
وتجمللوا الغدران من ماذيتهم مرتجة إلا على الاكتاف^(١)

المذخ : فى التاج : المذخ محرّكة ، وضبطه فى اللسان بإسكان الدال :
عسل يظهر فى جلتار المظ ، وهو رمان البر عن أبى خيفة ، ويكثر حتى
يتمذخه الناس أى يتمصصونه ، وقال السدينورى : يتمصه الإنسان حتى يتملئ
وتجرسه النحل^(٢) .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرئ على لسان أحد الشعراء فى قوله :

وأليت أن لا أرتوى غير مائها ولو حلّ لى فى غيره المن والمذخ
وأن لا أحط الدهر إلا بعقرها ولو بوأتنى دار إمرتها بلُـخ^(٣)

المن : فى التاج : المنُّ كلُّ طُلُّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو
وينعقد عسلاً ويجف جفاف الصمغ كالترنجبين ، وفى المحكم : طل ينزل من
السماء ، وقيل هو شبه العسل كان ينزل على بنى إسرائيل ، وأهل التفسير
يقولون إن المن شئ كان يسقط على الشجر حلو يُشرب^(٤) .

وقد وردت هذه اللفظة مفردة : المن ، ومجموعة : الأمان عند المقرئ

تعنى : ما ينعقد عسلاً من الطل ؛ وذلك فى قول أحد الشعراء :

وأليت ألا أرتوى غير مائها ولو حلّ لى فى غيره المن والمذخ^(٥)

وقد ينزل هذا المن على شجرة البلوط فى الأندلس ، ومنه نوع يسمى

(١) نفع الطيب ١٧٣/٥ .

(٢) تاج العروس ٢٧٨/٢ .

(٣) نفع الطيب ٣٤٨/٧ .

(٤) تاج العروس ٣٥٠/٩ .

(٥) نفع الطيب ٣٤٨/٧ .

القرمز ، يخرج منه اللون الأحمر الذى لا تفوقه حمرة يصنع به ، وفى ذلك يقول المقرئ : «وفى الأندلس من الأمان التى تنزل من السماء القرمز الذى ينزل على شجرة البلوط فيجمعه الناس ومن الشعرى ويصبغون به ، فيخرج منه اللون الأحمر الذى لا تفوقه حمرة...»^(١) .

النقل : فى التاج : والنقل بفتح النون وضمها وتسكين القاف : ما يعبث به الشارب على شرابه ، وقيل الذى يُنقل به على الشراب ، وقيل أكل الفواكه ونحوها ، وأصله الأكل مع الشراب ، والجمع أنقال^(٢) .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرئ يحمل مدلول : ما يتنقل به على الشراب من خمر وفاكهة وحلوى وغيرها ، وذلك فى قول محمد بن الحسن المذحجى :

ألا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل وبانت ليالى البين واجتمع الشمل
فسعدى نديمى ، والمداة ريقها ووجتها روضى ، وتقبلها النقل^(٣)
وقول أبى الحسن الجيَّاب :

سقانى ، فاهلاً بالمدامة والساقى سُلأفاً بها قام السرور على ساق
ولا نقل إلا من بدائع حكمية ولا كأس إلا من سطور وأوراق^(٤)

وقول لسان الدين بن الخطيب فى هدايا وصلت إليه :

وبها من النقل الشهى مُذكرٌ عهداً تولَّى ليته يتوالى^(٥)

(١) نفع الطيب ١٩٥/١ .

(٢) تاج العروس ١٤٣/٨ .

(٣) نفع الطيب ٨٢/٦ .

(٤) نفع الطيب ٢٥٩/٨ .

(٥) نفع الطيب ٧٨/١٠ .

خاتمة

وبعد أن طوّفنا مع المقرئ فى كتابه نفح الطيب واستخرجنا ألفاظ المأكّل والمشرب عند الأندلسيين ، وأجرينا عليها الدراسة اللغوية آن لنا أن نرصد أهم نتائج هذا البحث ، ويمكن أن نفرع هذه النتائج إلى خمسة تفرّيعات : نتائج كمية ، ونتائج صرفية ، ونتائج دلالية ، ونتائج معجمية ، ونتائج عن تنوع مستوى الاستعمال اللغوى بين المشارقة والأندلسيين .

أولاً : النتائج الكمية :

- ١ - مجموع ألفاظ المأكّل والمشرب التى خضعت للدراسة مائة وثمانية وأربعون لفظاً ، منها مائة لفظ للمأكّل ، وثمانية وأربعون لفظاً للمشرب ، وتوزعت ألفاظ المأكّل على ستة مباحث : كان عدد ألفاظ الفاكهة سبعة وثلاثين لفظاً ، وكان عدد ألفاظ الحلوى عشرة ألفاظ ، وكان عدد ألفاظ الطبخ ثلاثة عشر لفظاً ، وعدد ألفاظ اللحم والسّمك والبيض أحد عشر لفظاً ، وعدد ألفاظ البقول والتوابل ثمانية ألفاظ ، وعدد ألفاظ الخبز والإدام ثمانية عشر لفظاً . أما ألفاظ المشرب فقد توزعت على مبحثين : ستة وثلاثون لفظاً للخمر ، واثنى عشر لفظاً للمشروبات الأخرى .
- ٢ - كان عدد ألفاظ الفاكهة هو أكبر أعداد البحث ، وعددها سبعة وثلاثون لفظاً ، يليه ألفاظ الخمر ، وعددها ستة وثلاثون لفظاً .
- ٣ - كان أقلّ المجالات الدلالية فى عدد الألفاظ : البقول والتوابل ؛ للبقول خمسة ألفاظ وللتوابل ثلاثة ألفاظ .
- ٤ - كان أكثر الألفاظ شيوعاً فى نفح الطيب هو لفظ الخمر الذى ورد فى مائتين وثلاثين موضعاً ، يليه لفظ الراح الذى ورد فى مائة وتسعين موضعاً ، يليهما لفظ المدامة الذى ورد فى مائة وستين موضعاً .

ثانياً : نتائج صرفية :

١ - هناك ألفاظ ممدودة فى العربية تحولت فى الاستعمال الأندلسى إلى مقصورة من باب التخفيف ، وهذا جائز عند النحاة أن يحول الممدود إلى مقصور ؛ أما تحويل المقصور إلى ممدود فممتنع عند البصريين وجائز عند الكوفيين ؛ والألفاظ التى تحولت من ممدود إلى مقصور فى الاستعمال الأندلسى هى : الباقلاً ، وأصلها الباقلاء ، والحِسا ، وأصلها الحساء ، والصِبا ، وأصلها الصهباء ، والطلّاء ، وأصلها الطلاء والغنا وأصلها الغناء .

٢ - هناك ألفاظ جمعت عند الأندلسيين على غير قياسى لغوى ؛ مثل التفاح الذى جمع عندهم على التفافيج ، والعدس الذى جمع أيضاً عندهم على عدوس ، وكلاهما اسم جنس جمعى واحدته : تفاحة ، عدسة . وكذلك جمعت لفظة المَنّ على أمانان ؛ وهو مما اعتبره الصرفيون شذوذاً أن تجمع فَعَلَ على أفعال ؛ وقد أقره مجمع اللغة العربية لكثرة ما ورد منه فى الاستعمال . وكذلك لفظة الكسكسو التى وردت بالنون : الكسكسون ، وكأنها جمعت جمع مذكر سالماً بالواو والنون ، وهى لفظة بربرية استعملت فى المغرب والأندلس ، ثم انتقلت إلى مصر ، وكذلك لفظة الزيتون التى جمعت عندهم على الزيتتين ، وهى اسم جنس واحدته زيتونة وكذلك لفظة الراح التى تعنى الخمر جمعت عندهم جمع مؤنث سالماً : الراحات ، وهو جمع لم يرد عند العرب .

٣ - هناك ألفاظ معربة عوملت عندهم معاملة اسم الجنس الذى يأتى واحده بتاء التانيث نحو : الأترج ، والإجاص ، والأرز ، والإسفنج ، والبادنجان ، والبندق ، والجوز ، والسفرجل ، والسكر ، والسنبسق ، والفستق ، والليمون ، والموز ، والنانج .

٤ - هناك ألفاظ مهموزة فى العربية خفف همزها فى الاستعمال الأندلسى ؛
مثل : ثريد الراس بدلاً من الرأس ، والكاس بدلاً من الكأس .

٥ - هناك ألفاظ ابتدعها الأندلسيون ؛ وجاءت فى صورة الجمع ، ولم
يستعملوا لها مفرداً ؛ مثل التفايا التى أطلقوها على نوع من الطيخ ولا
مفرد لها فى استعمالهم .

٦ - هناك ألفاظ صُحِّت واستعملها الأندلسيون مصحَّقة ؛ مثل لفظة اللطافة
بالطاء ، وأصلها فى العربية اللطافة بالطاء .

٧ - رَحَّمَ الأندلسيون بعض الألفاظ فى الاستعمال فى غير مواضع الترخيم ؛
كترخيم الليمون وتسميته بالليم بحذف الواو والنون .

٨ - هناك مشتقات وردت فى الاستعمال الأندلسى من الأسماء الجامدة ؛ مثل
المُزْبَب من الزبيب ، والمثلث من ثلاثة ، والثوَّامات من الثوم ، والمجبَّات
من الجبن ، والمزعفر من الزعفران .

٩ - هناك أعلام تحولت فى الاستعمال الأندلسى إلى أسماء عن طريق زيادة ياء
النسب على هذه الأعلام ، فالسِّفْرِى صار اسماً لضرب من الرمان بعدما
كان علماً على شخص يدعى سَفَر بن عبيد الكلابى ، وكذلك المُرْسَى
صار اسماً أيضاً لضرب من الرمان بعدما كان علماً على مدينة مُرسية ،
والأندرانى صار اسماً لضرب من الملح بعدما كان علماً على مدينة
أندران . وكذلك المهلبى أو المهلبية صار اسماً لضرب من الحلوى بعدما
كان علماً على المهلب بن أبى صفرة ، والبرمكى صار اسماً لضرب من
الطيخ بعدما كان علماً على البرامكة .

ثالثاً : نتائج دلالية :

١ - هناك ألفاظ استعمالها الأندلسيون بدلالات تختلف عما كانت عليه في الاستعمال المشرقى ، مثل لفظة الإسفنج التى صارت تعنى عندهم ضرباً من الحلوى ، ولفظة التثليث التى صارت تعنى عندهم شرب ثلاث كؤوس من الخمر ، وكذلك لفظة التسديس التى صارت تعنى عندهم شرب ست كؤوس من الخمر ، ولفظة الثقلية التى صارت تعنى عندهم ضرباً من الطبخ ، ولفظة حب الملوك التى صارت تعنى عندهم القراصيا البعلبكي ، وآذان القاضى التى صارت تعنى عندهم ضرباً من الحلوى ، ولفظتا الصبوح والغبوق بمعنى شرب الخمر فى الصباح والمساء ، والعصير التى تعنى عندهم التين الرطب ، وعيون البقر التى تعنى عندهم الإرجاص ، والفُتْل التى تعنى عندهم اللحم المفروم ، والمثلث التى تعنى عندهم نوعاً من الطبخ ، والمشومات التى تعنى عندهم أيضاً نوعاً من الطبخ ، والمجبنات التى تعنى عندهم نوعاً من الحلوى ، والسفري التى صارت تعنى عندهم نوعاً من الرمان ، والمرسى كذلك ، والمزوار التى صارت تعنى عندهم نوعاً من الطبخ .

٢ - هناك ألفاظ تعممت دلالتها عندهم كلفظة الحوت التى صارت تعنى فى الاستعمال الأندلسى السمك بكل أنواعه ؛ وهناك ألفاظ تخصصت دلالتها عندهم كلفظة الشراب التى صارت تعنى فى الاستعمال الأندلسى الخمر ، وكذلك لفظة الأئس التى صارت تعنى عندهم الخمر ، ولفظة إريحى التى صارت تعنى أيضاً الخمر .

٣ - هناك ألفاظ استعملت عند الأندلسيين استعمالاً مجازياً مثل : ابنة العنب للخمر ، وابنة العنقود للخمر ، والإسفنج لنوع من الحلوى يشبه الإسفنج ، وبنات الجبن لنوع من الحلوى يُحشى بالجبن ، وبنات الدنان

للخمر ، وبنيت الدوالى للخمر ، وبنيت العنب وبنيت الكروم للخمر ،
والتبر للخمر لأنها تشبهه ، ودم الزق للخمر لأنها تشبهه ، والصهباء
للخمر ، وعيون البقر للإجاص لأنه يشبهها ، والتنجيع الذى بمعنى الدم
للخمر لأنها تشبهه .

رابعاً : نتائج معجمية :

١ - هناك ألفاظ استعملها الأندلسيون وكانت معروفة عند العرب منذ العصر
الجاهلى ، وهى موجودة فى المعاجم العربية ، مثل : الإسفنت ،
والخندريس ، والراح ، والزرجون ، والشمول ، والقهوة . وهناك ألفاظ
عُربت عن الفارسية وشاعت فى العصرين الأموى والعباسى ، واستعملها
الأندلسيون عن طريق العلماء المشارقة الذين رحلوا إلى الأندلس ، أو
علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق ، أو الرحالة الأندلسيين الذين
نقلوا ألفاظاً كثيرة إلى الأندلس ، وهذه الألفاظ مثل : السنبوسك ،
والدرمك ، والسميد ، والسكنجين . . . الخ .

٢ - هناك ألفاظ استعملها الأندلسيون ولا وجود لها فى المعاجم العربية بما فيها
المخصص لابن سيده ، وهذه الألفاظ هى : الأرة بمعنى الكمثرى ،
وحب الملوك (فاكهة) ، والزنبوع (فاكهة) ، والسفري (رمان) ، وشاه
بلوط (فاكهة) ، والشمام (فاكهة) ، والعصير (التين الرطب) ، وعيون
البقر (الإجاص) ، والليم (الليمون) ، والمرسى (رمان) ، وأذان القاضى
(حلوى) ، والإسفنج (حلوى) ، والبلياط (حلوى) ، وبنيت الجبن
(حلوى) ، والزلاية (حلوى) ، والمجبنات (حلوى) ، والتفايا (طبيخ) ،
والتقلية (طبيخ) ، والزبزن (طبيخ) ، والكسكو (طبيخ) ، والمثلث
(طبيخ) ، والمشومات (طبيخ) ، والمزوار (طبيخ) ، والقتل (اللحم

المفروم) ، والسقنلية (لحوم) ، والبقسماط (خبز جاف) ، والسكنسجيين (شراب) . ولذا تأتي أهمية هذه الألفاظ فى استكمال المعاجم العربية .

٣ - من خلال استقراء ألفاظ المأكّل والمشرب التى استعملها الأندلسيون وجدت أن هناك ألفاظاً منها مارالت موجودة فى الأسبانية حتى اليوم ؛ وهى : الباذنجان ، الجلجلان ، الزيت ، الزيتون ، الزبيب ، السفري ، الفستق ، الأرز ، السكر ، المجينات ، الرُّبُّ ، الفانيد .

٤ - لم يعتمد هذا البحث على المعاجم العربية وحدها فى الوصول إلى معانى الألفاظ وإنما استعان بكتب الفلاحة فى الأندلس ، ومفردات ابن البيطار، وكتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ، بالإضافة إلى كتب لحن العامة ؛ للزبيدي وابن هشام ، السخمي وغيرهما ، وهذا يؤكد أن النصوص الأندلسية تعطى مادة لغوية أكبر وأكثر فى التعرف على مفردات اللغة .

خامساً : نتائج عن تنوع مستوى الاستعمال اللغوى بين المشاركة والأندلسيين :

كشف هذا البحث عن تنوع الاستعمال اللغوى عند المشاركة والأندلسيين ؛ ويمكن أن نوزع هذا التنوع على مستويين :

المستوى الأول :

استعمال لفظين مختلفين لمسمى واحد ؛ فما يسمى عند المشاركة بالإجاص يسمى عند الأندلسيين عيون البقر ، وما يسمى عند المشاركة الكمثرى يسمى عند الأندلسيين الأُرّة ، وما يسمى عند المشاركة القراصيا يسمى عند الأندلسيين والمغاربة حب الملوك ، وما يسمى الخوخ عند المشاركة يسمى التفاح الفارسى عند الأندلسيين ، والأترج عند المشاركة يسمى الزنبوع عند الأندلسيين ،

والقسطل عند المشاركة يسمى الشاه بلوط عند الأندلسيين ، والعناب عند المشاركة يسمى الزفيزف عند الأندلسيين ، والليمون عند المشاركة يسمى الليم عند الأندلسيين ، والفول عند المشاركة هو الباقلاء عند الأندلسيين ، وبقلة الهليون عند المشاركة هي الإسفراج عند الأندلسيين .

المستوى الثاني :

استعمال مدلولين مختلفين للفظ واحد ؛ فالباكورة عند المشاركة تعنى أول ما يطيب من الثمار ، ولكنها عند الأندلسيين تعنى ما بكر من التين فقط ، والعصير تعنى عند المشاركة كل ما عصر من الثمار ، ولكنها تعنى عند الأندلسيين التين الرطب ، والفُتْل تعنى عند المشاركة كل ما يُفْتَل ، ولكنها تعنى عند الأندلسيين اللحم المفروم ، والحوت يُطلق عند المشاركة على نوع معين من الحيوانات المائية ، ولكنه يطلق عند الأندلسيين على السمك بكل أنواعه ، فكل سمك عندهم يسمى حوتاً ، والأنس عند المشاركة تعنى كل ما يؤنس ؛ وهى ضد الوحشة ، ولكنها تعنى عند الأندلسيين الخمر .

كشاف معجمى بالالفاظ الواردة فى البحث

الصفحة	مجالها الدلالى	اللفظة	الصفحة	مجالها الدلالى	اللفظة
٧٩	خمر	بنت العنب	٣٤	حلوى	آذان القاضى
٨٢	خمر	بنت الكروم	٧٩	خمر	ابنة العنب
٩	فاكهة	البندق	٨٠	خمر	ابنة العنقود
٥٤	بيض	البيض	٤	فاكهة	الأثرج
٦٥	توابل	التابل	٦	فاكهة	الإجاص
٨٣	خمر	التبر	٤٢	طبيخ	الأرز باللبن
٨٣	خمر	التثليث	٧	فاكهة	الأرز
٨٣	خمر	التسديس	٣٥	حلوى	الإسفنج
٤٤	طبيخ	التفايا	٨٠	خمر	الإسفنط
٩	فاكهة	التفاح	٨١	خمر	الأنس
٤٥	طبيخ	الثقلية	٤٢	طبيخ	الباذنجان
١٠	فاكهة	التمر	٦١	بقول	الباقلاء
١١	فاكهة	التوت	٧	فاكهة	الباكورة
١١	فاكهة	التين	٨	فاكهة	البطيخ
٤٥	طبيخ	ثريد الراس	٦٧	خبز	البقسماط
٧٥	إدام	الجبن	٣٦	حلوى	البلياط
٨٤	خمر	الجريال	٣٦	حلوى	بنت الجبن
٧٥	إدام	الجلجلان	٨٢	خمر	بنت الدنان
١٠٥	مشروب	الجللاب	٨٢	خمر	بنت الدوالى

اللفظة	مجالها الدلالى	الصفحة	اللفظة	مجالها الدلالى	الصفحة
الجوز	فاكهة	١٣	الرطب	فاكهة	١٦
حب الملوك	فاكهة	١٤	الرقاق	خبز	٧٠
الحجل	لحوم	٥٥	الرمان	فاكهة	١٧
الحسا	مشروب	١٠٦	الزبدة	إدام	٧٦
الحلوى	حلوى	٣٧	الزيزن	طبيخ	٤٦
الحمرء المزوجة	خمر	٨٤	الزبيب	فاكهة	١٨
الحمص	بقول	٦٢	الزرجون	خمر	٩٠
الحُمِيَّ	خمر	٨٥	الزلاية	حلوى	٣٧
الحنطة	خبز	٦٨	الزنبوع	فاكهة	١٩
الحوت	أسماك	٥٥	الزيت	إدام	٧٦
الحبز	خبز	٦٨	الزيتون	إدام	٧٧
الخمر	خمر	٨٦	السيئة	خمر	٩٠
الخندريس	خمر	٨٧	السفرجل	فاكهة	١٩
الخوخ	فاكهة	١٥	السفرى	فاكهة	٢٠
الخيار	فاكهة	١٦	السكر	حلوى	٣٨
الدجاج	لحوم	٥٦	البكنجبين	مشروب	١٠٦
الدرمك	خبز	٦٩	السلافة	خمر	٩٠
الدقيق	خبز	٧٠	السمك	أسماك	٥٧
دم الزق	خمر	٨٨	السميد	خبز	٧١
الراح	خمر	٨٨	السنبوسق	حلوى	٣٨
الرحيق	خمر	٨٩	شاه بلوط	فاكهة	٢١

اللفظة	مجالها الدلالي	الصفحة	اللفظة	مجالها الدلالي	الصفحة
الشراب	خمر	٩٢	الغبوق	خمر	٩٣
الشعير	خبز	٧٢	القتل	لحوم	٥٨
الشمول	خمر	٩٢	الفرصاد	فاكهة	٢٦
الشمام	فاكهة	٢٢	الفرؤج	لحوم	٥٨
الشهد	مشروب	١٠٧	الفتق	فاكهة	٢٧
الشواء	لحوم	٥٧	القول	بقول	٦٣
الصبوح	خمر	٩٣	القراصيا	فاكهة	٢٧
الصهباء	خمر	٩٤	القرصة	خبز	٧٢
الضرب	مشروب	١٠٨	القرقف	خمر	٩٧
طابق الكبش الشئ	طبيخ	٤٧	القسطل	فاكهة	٢٨
الطبرزد	حلوى	٣٨	قصب السكر	مشروب	١١٠
الطبيخ	طبيخ	٤٢	القمح	خبز	٧٣
الطُّلا	خمر	٩٥	القنلية	لحوم	٥٩
العدوس	بقول	٦٣	القهوة	خمر	٩٨
العسل	مشروب	١٠٩	الكأس	خمر	٩٩
العصيدة	طبيخ	٤٨	الكتاب	لحوم	٥٩
العصير	فاكهة	٢٢	الكروم	فاكهة	٢٩
العقار	خمر	٩٦	الكزبرة	توابل	٦٥
العناب	فاكهة	٢٣	الكسكو	طبيخ	٤٩
العنب	فاكهة	٢٤	الكميت	خمر	١٠٠
عيون البقر	فاكهة	٢٦	اللبخ	فاكهة	٣٠

اللفظة	مجالها الدلالى	الصفحة	اللفظة	مجالها الدلالى	الصفحة
اللبن	مشروب	١١١	المور	فاكهة	٣٢
اللجين	خمر	٨٣	الميرة	خبز	٧٤
اللحم	لحوم	٦٠	النارنج	فاكهة	٣٣
اللفظة	خبز	٧٣	النبيذ	خمر	١٠٣
اللور	فاكهة	٣٠	النجيع	خمر	١٠٤
الليم	فاكهة	٣١	النطف	خمر	١٠٤
الليمون	فاكهة	٣١	النقل	خمر	١١٣
الماذى	مشروب	١١١	الهريسة	حلوى	٤١
المثلث	طبيخ	٥٠	الهليون	بقول	٦٤
المثومات	طبيخ	٥١			
المجبنات	حلوى	٤٠			
المدامة	خمر	١٠٠			
المدائن من العجين	خبز	٧٤			
الملح	مشروب	١١٢			
المرسى	فاكهة	٣٢			
المرى	طبيخ	٥١			
المزوار	طبيخ	٥٣			
المسطار	خمر	١٠١			
المعتقة	خمر	١٠٢			
الملح الأندرانى	توابل	٦٦			
المن ^٥	مشروب	١١٢			

المصادر والمراجع

- ١ - ابن بصال :
 - كتاب الفلاحة ، نشر وترجمة وتعليق خوسى بيبكروسا ومحمد عزيزمان ، معهد مولاى الحسن ، تطوان ، ١٩٥٥ م .
- ٢ - ابن البيطار :
 - الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩١ هـ .
- ٣ - ابن سيده :
 - المخصص ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، د. ت .
- ٤ - ابن العوام :
 - كتاب الفلاحة ، نشر وترجمة خوسيه أنتوينو بانكيري ، مدريد ، ١٨٠٢ م .
- ٥ - ابن قتيبة :
 - كتاب الأشربة ، تحقيق مدوح حسن محمد ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة . ١٩٩٥ م .
- ٦ - ابن منظور :
 - لسان العرب ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .
- ٧ - أدي شير :
 - كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، دار العرب للبستانى ، ط الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٧-١٩٨٨ م .

٨ - الانطاكي : داود

- تذكرة أولى الألباب ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، د.ت .

٩ - الاهواني : د. عبد العزيز

- الزجل في الأندلس ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة . ١٩٥٧ م .

- الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام السلخمي في لحن العامة ، فضلة عن مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثالث ، مطبعة مصر ، ١٩٥٧ م .

١٠ - البستاني :

- محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

١١ - البغدادي : محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب

- كتاب الطيخ ، صححه وعلق حواشيه ونشره د. داود الجلبى ، مطبعة أم الربيعين ، الموصل ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .

١٢ - التازي : د. عبد الهادي

- الفاظ الحضارة في الوثائق العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء الرابع والستون ، مايو ١٩٨٩ م .

١٣ - الحميدى :

- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

١٤ - الحفاجي : الشهاب

- كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة ، ط الأولى ، ١٣٢٥ هـ .

١٥- الخوارزمي :

- مفاتيح العلوم ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

١٦- دوري : رينهارت

- تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلّق عليه د. محمد سليم النعمي (أصدر منه خمسة أجزاء وتوفى دون إكماله) ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م .

١٧- الذهبي : شمس الدين أبو بكر

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق إبراهيم الزبيق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ١٩٨٣ م .

١٨- الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن

- لحن العامة ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م .

١٩- الزبيدي : مُرتضى

- تاج العروس من جواهر القاموس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت (نسخة مصورة عن المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ) .

٢٠- القمري : أبو منصور الحسن بن نوح

- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية ، تحقيق وفاء تقي الدين ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د.ت .

٢١- لسان الدين بن الخطيب :

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عتّان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة والشركة المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣-١٩٧٧ م

٢٢- مجمع اللغة العربية :

- المعجم الكبير ، (ج١ ، ١٩٧٠م) ، (ج٢ ، ١٩٨٢م) ، (ج٣ ، ١٩٩٢م) .
- المعجم الوسيط ، ط الثالثة ، ١٩٨٥ م .

٢٣- مجهول المؤلف :

- كتاب الطيخ في المغرب والأندلس ، نشر وتحقيق أمبروزيو أويشي ميراندا ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلدان التاسع والعاشر ، ١٩٦١-١٩٦٢م .

٢٤- مجهول المؤلف :

- الجمانة في إزالة الرطانة ، بحث في لغة التخاطب في الأندلس وتونس ، لبعض علماء القرن التاسع الهجري ، مهد له وحققه وعلق عليه حسن حسني عبد الوهاب ، طبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

٢٥- محمد حسن آل ياسين :

- معجم النبات والزراعة ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٦- محمود علي مكي :

- مدخل إلى الألفاظ الأسبانية المأخوذة من العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء الرابع والستون ، مايو ١٩٨٩ م .

٢٧- المقرئ : أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق د. مريم قاسم طويل ود. يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٩٩٥ م .

٢٨- الملك المظفر : يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني
- المعتمد في الأدوية المفردة ، صححه وفهرسه مصطفى السقا ،
مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط الثالثة ١٩٨٣ م .

٢٩- يحيى بن عمر :
- كتاب أحكام السوق ، نشر وتحقيق د. محمود علي مكي ، صخيفة
المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدير ، المجلد الرابع ١٩٥٦ م .

المراجع الأجنبية

1 - Dozy : R.

- Supplement Aux Dictionnaires Arabes, Beyrouth 1991, 2 tomes.

2 - Steingass. F :

- Comprehensive Persian - English Dictionnary, Beirut 1975.

الاعتراض فى شعر شوقى

دراسة نحوية ودلالية

بقلم الدكتور
محمد عبد الوهاب شحاته

مقدمة :

ليس الاعتراض ترفاً لغوياً ، أو رينة تركييبية ، ولكنه مما يتوخاه المرء لتوضيح المعنى وتقويته وتسديده . وهو يشيع فى اللغات البشرية ، ويبدو فى بعضها أكثر وروداً واستخداماً . وفى العربية يكثر وقوعه فى القرآن الكريم ، وفصيح الشعر ، ومتنور الكلام .

لم يحظ الاعتراض باهتمام النحاة واللغويين فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ؛ إذ لم يرد ذكر له فى مؤلفاتهم ، باستثناء ما ورد فى المعاجم اللغوية من معان لمفهوم الاعتراض . وفى القرن الرابع أخذ الحديث عنه يظهر عند كل من : أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، وابن فارس (٣٩٥ هـ) . وفى القرن السادس كان الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) يتعرض له فى ثانيا تفسيره وتوضيحه لأيات القرآن الكريم فى « الكشف » ، ولكنه لم يذكر شيئاً فى كتاب « المفصل » ، وقد صنع ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) صنع الزمخشري فى « شرح المفصل » مع تفاوت بسيط بينهما .

وفى القرن الثامن الهجرى أشار أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) إلى هذا الموضوع بشئ من الإيجاز ، ولكن العناية به تبدو واضحة جلية عند ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) فى كتابه « مغنى اللبيب » ورسالته الصغيرة الموسومة بـ « اعتراض الشرط على الشرط » . لقد كان ابن هشام من المسع من تناولوا هذا الموضوع ، فدراسته له - فى إطار حديثه عن الجملة - متأنية مستوعبة شاملة لكثير من قضاياها ، ولذا فهو يأتى فى طليعة من أفردوا له حديثاً مستقلاً مسهباً ، وعلى هدى ابن هشام سار النحاة من بعده مع الاختلاف .

وهذا البحث موضوعه « الاعتراض فى شعر شوقى - دراسة نحوية ودلالية » ، والهدف منه إيضاح مفهوم الاعتراض فى ضوء دلالة المصطلحات البلاغية الأخرى ، مثل : الالتفات ، الاستطراد ، الحشو ، ثم بيان أهميته فى التركيب النحوى ، وأغراضه ، ومواضعه ، والمعانى التى يأتى لها ، والحروف التى يقرن بها ، ومكونات الجملة المعترضة ، والفرق بينها وبين الجملة الحالية ، ونحو ذلك من القضايا التى تتناولها الصفحات التالية .

وكان الاتجاه لدراسته فى شعر شوقى راجعاً إلى أن الاستخدام التركيبى لا يتضح بصورة بارزة إلا من خلال النصوص اللغوية شعراً أو نثراً ، وإلى أن شعر شوقى يمثل أبرز شعراء العربية فى العصر الحديث ، كما يتضح من خلال هذه الدراسة الدور الذى يكون للفرد فى إبراز مظاهرها ، والاثـر الذى يتركه مستخدم اللغة ، لاسيما إذا كان شاعراً مثل شوقى ، فكثرة شعره ، وغزارته ، ووفرة مادته تعطى كماً أكبر من العناصر التركيبية التى تساعد على إبراز ظاهرة ما . وأخيراً فهذه الدراسة تمثل جانباً من جوانب الدراسة اللغوية لشعر شوقى ، إذ تتصل بجانب من جوانب التركيب ، والمعنى السياقى لنمط من أنماط الجمل المستخدمة .

وقد جاء هذا البحث - بعد المقدمة - موزعاً على النحو التالي :

أولاً : تمهيد .

ثانياً : الاعتراض بين اللغة والاصطلاح .

ثالثاً : بين الاعتراض ومصطلحات أخرى .

رابعاً : الاعتراض في مفهوم الدرس اللغوى المعاصر .

خامساً : دوافع الاعتراض .

سادساً : الاعتراض بين جهود اللغويين والنحويين .

سابعاً : من قضايا الاعتراض .

ثامناً : الاعتراض في شعر شوقي .

١ - العناصر التركيبية للاعتراض (الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية ،

الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية) .

٢ - المعانى السياقية للاعتراض .

تاسعاً : خاتمة البحث .

عاشراً : المصادر والمراجع .

هذا ، وقد اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع التى يوضحها الجزء الخاص بها . وقبل الختام لا أنسى الشكر والتقدير لاستاذى العظيم أ.د. محمود حجازى ، جزاء ما قدم ولا يزال يقدم ، والامل فى الله كبير أن أكون قد وفقت فيما قدمت ، وإن كنت خلاف ذلك ، فإن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أولاً : تمهيد :

لا يخفى على أحد من الباحثين أن المعنى الذى يحسن السكوت عليه ، وتتم به الفائدة ، قوامه الجملة التامة ، أو التركيب النحوى المكتملة عناصره ؛ فالفائدة لا تتحقق من وحدات صوتية مجردة ، ولأمن وحدات صرفية مجردة ، بل لابد من وضعها فى إطار جمل معينة ، إذ الجملة - أيا كان النظام اللغوى - تعبر عن مجموع المكونات المباشرة ، وتوضح العلاقات بينها فى نظام موحد ، و « تنظم كل جملة نوعين من العناصر المتميزة ؛ أولاً : التعبير عن عدد ما من المعانى التى تمثل أفكاراً . وثانياً : الإشارة إلى بعض العلاقات التى بين هذه الأفكار »^(١) . هذه العناصر التى تنظم كل جملة لا يمكن تصورها إلا إذا تشكلت الجملة للتعبير عن المعنى المقصود ، مما جعل لغوياً مثل فندريس يصدق فى قوله : « نحن نفكر بجمال »^(٢) ؛ لكون كل جملة تمر فى تكوينها بمرحلتين أساسيتين غير ظاهرتين ، هما : مرحلة تحليلية ، وهى التى يميز بها العقل بين عدد معين من العناصر التى تنشأ بها علاقة معينة . ومرحلة تركيبية أو تأليفية ، وهى التى يركب بها العقل أو ينظم أو يؤلف بين هذه العناصر المختلفة لتكوين ما يسمى فى الاصطلاح بالصورة اللفظية ، هذا الفعل العقلى يتم فى الدماغ تبعاً لعوائد لا يشعر بها المتكلم نفسه^(٣) .

على كل حال فالباحث لا ينطلق فى دراسة الجمل من الوحدات الصوتية مباشرة ، بل عليه أن ينطلق من مستوى أعلى من مستوى الوحدة الصوتية ، إنه مستوى الوحدة الصرفية والوظيفية أو الدور الذى تقوم به فى الجملة - وفى هذا يكون التدرج منسجماً ومستويات الدرس اللغوى ، وهى : الصوتى ،

(١) فندريس - اللغة ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ١٠٤ وانظر د. محمود السمران - علم اللغة ٢٢٥ بتصرف يسير جداً .

والصرفي ، والنحوي ، والدلالي^(١) . ومن هنا « كانت أهم صفة للنحو الحديث أنه يستبعد كثيراً من الأصول الفلسفية القديمة ، ويستبعد التقديرات العقلية وما إليها من تأويل وتفسير . إن أهم ما يوصف به النحو الحديث أنه شكلي أو صوري ، إنه ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة التي تعرضها لغة من اللغات ، ثم يصنفها على أسس معينة ، ثم يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة وصفاً موضوعياً ، وهو وظيفي لأنه يقوم كذلك على إدراك الدور الذي تقوم به الكلمة في الجملة »^(٢) .

فالنحو موصول بالوصف اللغوي لمختلف الجمل المفيدة ، « والنظام النحوي يعتمد على أقل قدر من الكلام المفيد يتم بعنصري الإسناد ، وماسواهما زيادة ، قد تكون ضرورية ، وقد يستغنى عنها ، ولكنها لا تبنى جملة في الأساس من حيث هي »^(٣) فالجملة المفيدة هي المحور الأساسي للبحث النحوي .

إن دراسة الجملة تمثل جوهر النحو ومدار اهتمامه الأول ، إذ يركز على المعنى والشكل والوظيفة والعلاقات القائمة بين مكوناتها والتناسق بينها ، فالبنية النحوية للجملة أساس الوصف والتحليل . وليست الجملة النحوية نوعاً واحداً أو نمطاً ثابتاً ، بل تتنوع مبانيها ومعانيها ، وهي تنقسم إلى قسمين كبيرين ، هما : الجملة الخبرية ، والجملة الإنشائية ، وتحت كل منهما تعريفات متعددة ، وتصنفات غير قليلة . وقد حظيت الجملة باهتمام كثير من الباحثين

(١) هذا التقسيم أشيع التقسيمات ، فهناك من يقسمه إلى ستة مستويات ، وهي : الصوتي ، والصرفي ، والنحوي ، والجملي التركيبي ، المعجمي والأسلوبي (انظر : ريمون طحان - الأكسنة العربية ٢١ / ١

- ٢٥ - دار الكتاب اللبناني . بيروت - ط ١ / ١٩٧٢ م) .

(٢) د. محمود السمران - علم اللغة ٢٢٥ .

(٣) د. محمد حماسة عبد اللطيف - في بناء الجملة العربية ٤٦ .

والدارسين قديماً وحديثاً في مجال اللغة والنحو والبلاغة^(١).

ولما كانت الجملة النحوية ليست نوعاً واحداً ، وكان لكل جملة خصائص تركيبية ذات دلالة معينة ، وعلاقات نحوية محددة ، وغرض تسعى من أجله ، نقول لما كان الامر كذلك ، رأيت أن أدرس نمطاً من أنماط الجملة النحوية ، هو نمط الجملة الاعتراضية ، أو الاعتراض في الجملة العربية ، بهدف الكشف عن مفهوم الاعتراض والمصطلحات التي تدل عليه ، وبيان أحوال الجملة المعترضة والمعتَرَضَة ، وإيضاح الأسباب الداعية إليه ، وتفسير أهميته في التركيب النحوي ، ومحاولة الإجابة على عدد من التساؤلات ، مثل : هل الاعتراض

(١) نذكر من القدماء على سبيل المثال : سيويه - الكتاب ١/ ١٢ ، ٣٢ ، ابن جني - اللع ٤٦-٤٧ ، الخصائص ١/ ١٧ ، ١٩ ، ٢٩ ، ١١٠ ، الرماني - الحدود في النحو ٤٠ - بغداد ١٩٦٩ ضمن ثلاث رسائل في النحو ، عبد القاهر الجرجاني - المقتصد ١/ ١٠٥ ، دلائل الإعجاز ١٨٢ ، ابن عيش - شرح الفصل ١/ ١٨ ، المكبري - مسائل خلافة في النحو ٣١ ، ٤١ ، الاسترأباني - شرح الكافية ١/ ٣١ - ٣٣ ، ابن هشام - مفني اللبيب ٢/ ٣٧٤ - ٤٥٠ . كما نذكر من المحدثين على سبيل المثال أيضاً :

- د. فخر الدين قباوة - إعراب الجمل وأشباه الجمل ط ١٩٨٣/٤ ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت .
- د. عبد الفتاح الدجنى - الجملة النحوية نشأة وتطوراً وإعراباً - ط ١/ ١٩٧٨ - مكتبة الفلاح - الكويت .

- د. محمد حماسة عبد اللطيف - في بناء الجملة العربية - ط ١/ ١٩٨٢ - دار القلم - الكويت .
- د. محمد إبراهيم عباده - الجملة العربية - دراسة لغوية ونحوية ١٩٨٤ - منشأة المعارف - اسكندرية .

- د. نعمة رحيم المزراوى - الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة - بحث منشور في كتاب المورد - دراسات في اللغة من ١٤٥-١٧٨ - ط ١ / ١٩٨٦ - دار الشؤون الثقافية - بغداد .

- المصنف هاشور - بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية - ١٩٩١ - تونس .
- د. إبراهيم الشمان - الجملة الشرطية عند النحاة العرب - ط ١ / ١٩٨١ - القاهرة .
- د. زين كامل الخويكى - الجملة الفعلية - استهامة ومؤكدة في شعر المتنبي ١٩٨٦ - مؤسسة شباب الجامعة - اسكندرية .

إعاقه للجملة المعترضة ؟ هل يمثل عبثاً رائداً على التركيب المعترض ؟ هل هناك ضرورة ملحة تدفع مستخدم الاعتراض إلى الاتيان به ، والبحث عنه ، والتدبر فى أمره ، لهدف يقتضيه التركيب المعترض ؟ هذا ما تأمل السطور التالية فى الوفاء به .

ثانياً : الاعتراض فى اللغة والاصطلاح

الاعتراض والاعتراضية مصطلحان يطلقان على الجملة المعترضة^(١) . والاعتراض مصدر الفعل اعترض ، وهو مطاوع العرض ، يقال : عرضته فاعترض . وقد ورد المصطلح بدلالات متعددة ، منها : القصد ، يقال : اعترضت عرض فلان ، أى : نحوت نحوه ، ومنها : التكلف وإدخال المرء نفسه فى الأمر أو الشئ ، يقال : اعترضت عرض هذا الشئ ، أى أدخلت نفسى فيه ، ومنها أيضاً عدم الاستقامة للقائد أو الشغب ، قال الطرماح :
وارانى المليك رشدى وقد كنتُ أخا عُنْجُيَّةً واعترض^(٢)
أى احتجاج وشغب وعدم الطاعة .

قال ابن دريد : يقال : جعلت فلانا عرضة لكذا وكذا ، أى نصبته له ، قال الأزهري : وهذا قريب مما قاله النحويون ؛ لأنه إذا نُصِبَ فقد ضار معترضاً مانعاً^(٣) .

-والاعتراض عند النحويين هو ما يقع بين « شيئين متطالبين »^(٤) ، أو هو

(١) التهانوى - كشف اصطلاحات الفنون ٩٨٩/٤ .

(٢) البيت فى ديوانه ق ١٨ ، ب ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٣) راجع : العين ٢٧٢/١ ، تهذيب اللغة ٤٥٤/١ ، الصحاح ١٠٨٤/٣ ، مقاييس اللغة ٢٧١/٤ ،

اللسان ١٣٨/٩ ، ١٣٩ ؛ تاج عروس ٤٨/٥ - ٥٠ .

(٤) ابن هشام - مفتى الليب ٣٩٩/٢ .

« الاتيان بجملة ، أو أكثر لا محل لها من الإعراب فى أثناء كلام أو كلامين اتصالا معنى »^(١) . وهو إفادة عن الجملة المعترضة^(٢) ، وهى التى عرفها النحاة بأنها الجملة التى تعترض بين شيئين متلازمين أو متطالبيين . . . وتكون ذات علاقة معنوية بالكلام الذى اعترضت بين جزأيه ، وليست معمولة لشئ منه^(٣) . وقد يكون المتلازمان أو المتطالبان مفردين ، أو مفرداً وجملة ، أو جملتين متلازميتين أى متطالبتين ، سواء اقترنت واو الاعتراض بهن أم لا ، ولكن ليسا فى حكم الشئ الواحد ، كالصلة والموصول^(٤) .

وقد بدا الاهتمام بمصطلح الاعتراض مع الاهتمام بإعراب الجمل وأشباه الجمل ، إذ تعرض القدماء لموضوع الاعتراض ، وكان تعرضهم له مرتبطاً بتفسير آية من القرآن ، أو شرح بيت من الشعر ، أو توضيح جملة من النثر . ولم نجد حديثاً مفصلاً فى هذا الموضوع إلا فى القرن الرابع الهجرى عند اللغوى العظيم ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، إذ خصص باباً من أبواب خصائصه للحديث عن الاعتراض^(٥) ، وحديثه لا يختلف كثيراً عن أستاذه أبى على الفارسى ، الذى أشار إلى أن « الاعتراض قد شاع فى كلام العرب ، واتسع وكثر »^(٦) . وقد ورد المصطلح غير مرة فى مؤلفه الموسوم بالمسائل الحلييات^(٧) .

وظل المصطلح يتردد بين الحين والآخر بعد ابن جنى ، فلم يخصص له

(١) التهانوى - كشف اصطلاحات الفنون ٩٨٩/٤ .

(٢) يجوز أن يقال المعترضة بفتح الراء على أنه من باب الحذف والإيصال ، أى المعترض بها ، فحذف الجار وصار الضمير المجرور مرفوعاً ، وأوصل به على أنه مفعوله أيا لم مقام الفعل ، ويكرر الراء مستنداً إلى الضمير استتر فيه إسناداً مجازياً (راجع : حاشية الشنوائى ٩٣ ، وحاشية العطار ١٢٥) .

(٣) السيوطى - همع الهوامع ٢٤٧/١ .

(٤) راجع : حاشية الشنوائى ٩٣ ، وحاشية العطار ١٢٥ .

(٥) الخصائص ٣٣٥/١ - ٣٤١ .

(٦) أبى على الفارسى - المسائل الحلييات ١٤٣ .

(٧) راجع المسائل الحلييات ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

فصل أو موضوع بعينه ، ولم يتعرض له النحاة تعرضاً مباشراً ، لكونهم يركزون على إعراب الكلمة ، وليس إعراب الجمل . لقد كان الحديث عن هذا المصطلح يأتي فى ثانياً الحديث عن شئ آخر ، فالزمخشري مثلاً لم يذكره فى المفصل وهو مؤلف نحوى خالص ، ولكن يذكره فى الكشف خلال توضيحه أو تفسيره لآيات من الذكر الحكيم^(١) ، والامر لا يختلف كثيراً عن ابن يعيش شارح المفصل ، إذ ورد مصطلح « الجمل المعترضة » وروداً ثانوياً فى حديثه عن اجتماع الشرط والقسم إذ أوضح أن القسم إذا تقدمه شئ ثم أتى بعده المجازاة ، اعتمدت المجازاة على ذلك الشئ ، وألغى القسم . . . ولو قدمت القسم لزمك أن تأتى باللام ، فتقول : والله لزيد منطلق فبان الفرق أن القسم إذا وقع حشواً ألغى ، وكان من قبيل الجمل المعترضة فى الكلام^(٢) . فهو ينظر إلى الاعتراض على أنه من قبيل الحشو فى التراكم .

ويعد ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) أول من ركز على دراسة الجملة بشتى حدودها واختلاف أنماطها وأحوالها تركيزاً ملحوظاً فى كتابه المعروف بـ « مغنى اللبيب » . لقد كان فى مجال حديثه عن الاعتراض رائداً لامعاً حين خص هذا الموضوع بعناية فائقة ، فجمع مادة ضخمة ، فتحت باباً لم يكن له مثيل ، وقد تبعه النحويون الذين جاءوا بعده ، فأخلوا يدورون فى فلكه ، يفسرون عباراته ، ويلحقون بها الشواهد والأمثلة دون إضافة أو تغيير على ما أسس وشاد ، ولذلكبقى هذا الموضوع مرتبطاً بالقرن الثامن وصنيع ابن هشام^(٣) .

(١) الزمخشري - الكشف راجع مثلاً ٢٦/١ ، ٤٤ ، ٨٨ ، ٩٦ .

(٢) ابن يعيش - شرح المفصل ٥٨/٧ .

(٣) راجع مغنى اللبيب ٣٨٦/٢ - ٣٩٩ .

(٤) د. فخر الدين قباوة - إعراب الجمل وأشباه الجمل ٥ ، ٦ بصرف يسير .

ثالثاً : بين الاعتراض ومصطلحات أخرى :

ثمة عدد من المصطلحات التي ظنها البعض مرادفة لمصطلح الاعتراض ، أو مماثلة له ، وهذه المصطلحات تتمثل في : الإطناب ، الالتفات ، الحشو ، وللوقوف على ذلك فسوف نوضحها كما يلي :

لقد أشار التهانوي إلى أن الاعتراض عند أهل المعاني نوع من إطناب الزيادة كما أشار إلى أن قدامة سماه التفاتاً^(١) ، وفي هذا ما يوحى بمصطلحات البلاغيين عن الزيادة التي تدخل بين ما اتصل من الكلام ، فهل حقاً لا فرق بين هذه المصطلحات ومصطلح الاعتراض ؟

إن معرفة أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه المصطلحات ومصطلح الاعتراض تتطلب الوقوف على كل مصطلح لبيان دلالة . فالإطناب « المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه . . . يقال : اطنب في الكلام إذا أبعد وبألف فيه باجتهاد »^(٢) . وقد عرفه السكاكي (ت ٦١٧ هـ) بقوله : « الإطناب : هو أداء المقصود من الكلام بأكثر من عبارة ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل . . . وهو إكثار وتطويل »^(٣) .

فإذا كان السكاكي ينظر إلى الإطناب على أنه إكثار وتطويل ، وخلافه الإيجار ، فإن أبا هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) يرى من قبله أن لكل موضعه الذي يقع فيه ، ولا يجوز أن يستعمل أحدهما مكان الآخر^(٤) ، ثم هو يرى أن الإطناب ليس التطويل ، وأنه وجه من وجوه البلاغة ، يقول : « فالإطناب بلاغة ، والتطويل عيب ، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب ،

(١) التهانوي - كشف اصطلاحات الفنون ٩٨٩/٤ .

(٢) اللسان - طنب ٢٠٦/٨ .

(٣) السكاكي - مفتاح العلوم ٢٧٧ بتصرف يسير .

(٤) أبو هلال العسكري - الصنائع ١٩٠ .

والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نَزِهَ يحتوى على زيادة فائدة^(١) .

وتتعدد التعريفات على السنة البلاغيين ، فتتقارب حيناً وتبتاعد حيناً ، ولكن يبقى المضمون هو الرابطة بين هذه التعريفات ، وربما يكون تعريف ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) هو أوجز التعريفات وأيسرها ، إذ يعرفه بقوله : « الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة »^(٢) .

ويأتى الإطناب على أنواع مختلفة لأغراض منها : الإيضاح بعد الإيهام ، أو ذكر الخاص بعد العام ، أو ذكر العام بعد الخاص ، والتكرير لداع : إما الإنذار أو التحسر أو طول الفصل ، أو الإيغال ، أو الاحتراس ، أو التذليل ، أو الاعتراض . ويكون للإطناب بالاعتراض أغراض بلاغية ، هى : التنزيه ، والدعاء ، والتنبيه على أمر من الأمور ، والتحسر ، والتعظيم ، وهو فى رأى الدارسين لعلوم البلاغة أن الإطناب باعتراض ... لا يكمل المعنى فحسب ، وإنما يضيف عليه ظلالاً من الحسن^(٣) .

وأما الالتفات فهو من الفنون ذات الأثر الفعال فى تنويع أنماط الكلام تلبية لبواعث نفسية شتى . وقد عرفه ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) تعريفاً اصطلاحياً لأول مرة ، بقوله : « وهو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى مخاطبة ، وما يشبه ذلك ، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر »^(٤) .

وأشار إليه قدامة (٣٣٧هـ) بقوله : « ومن نعوت المعانى الالتفات - وبعض الناس يسميه الاستدراك - وهو أن يكون الشاعر أخذاً فى معنى ،

(١) أبو هلال العسكري - الصناعتين ١٩١ .

(٢) ابن الأثير - المثل السائر ٢١٧ .

(٣) راجع بالتفصيل د. عبد العزيز عتيق - علم المعانى ١٨٦ - ٢٠١ .

(٤) ابن المعتز - البديع ٥٨ .

فكانه يعترضه إما شك^(١) فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله ، أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً على ما قدمه ، فإما أن يؤكد أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه^(٢) . وقد جعل وصف قدامة للالتفات بأنه من نعوت المعاني ، وبعض الباحثين يذهب إلى أن هذا وجه جديد من وجوه الالتفات ، وأن قدامة أقدم من أشار إليه^(٣) .

ولعل الدافع إلى الإكثار من الالتفات عند العرب هو تفعيل نشاط المستمع ، وحثه على الإصغاء والاهتمام بما يقال ، قال السكاكي : « اعلم أن هذا النوع : أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني ، والعرب يستكثرون منه ، ويرون أن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب كان أدخل في القبول عند السامع ، وأحسن نظرية لنشاطه وأملأ باستدراار إصغائه ، وهم أحرىء بذلك^(٤) » .

وأما الحشو فقد أشار صاحب اللسان إليه بقوله : « والحشو من الكلام : الفضل الذي لا يعتمد عليه^(٥) » . وعرفه قدامة في مجال الشعر بقوله : « هو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن^(٦) » ، فقوله : « لإقامة الوزن » ، يعنى أنها ضرورة شعرية ، ومن ينظر فيما أورده من أمثلة شعرية فيها حشو ، ثم يتأمل ما يعقب به عقب كل بيت يجده يقول : « حشو لا

(١) قدامة بن جعفر - نقد الشعر ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) جليل رشيد فالح - فن الالتفات في مباحث البلاغيين ٧٣ بحث منشور بمجلة آداب المستنصرية بالجامعة المستنصرية - العراق - ص ٦٣ إلى ص ٩٧ - المجلد التاسع ١٩٨٤ .

(٣) السكاكي - مفتاح العلوم ٩٥ .

(٤) اللسان - حشو ٩٤/٣ .

(٥) قدامة بن جعفر - نقد الشعر ٢١٨ .

منفعة فيه «^(١) . وفى هذا ما يوحى بمخالفته للاعتراض من حيث الفرض والتركيب فلا ضرورة لوقوعه بين متلازمين .

وأورد التهانوى أن الحشو عند النحاة هو الصلة التى بها يتم الموصول ، وتسمى صلة أو حشواً وعند أهل المعانى هو أن يكون اللفظ رائداً لا لفائدة ، بحيث يكون الزائد متعيناً ، فبقيد « لا لفائدة » خرج الإطناب ، وبقيد التعيين خرج التطويل ، الذى سماه البعض بالحشو القبيح وهو قسمان : مفسد للمعنى ، وغير مفسد للمعنى يأتى للتوكيد «^(٢) .

والآن بعد إيضاح كل مصطلح من هذه المصطلحات على هذه الحال ، هل يمكن القول بمرادفة مصطلح الاعتراض لـ أى مصطلح منها ؟ وهل يمكن إطلاق أى مصطلح من هذه المصطلحات على ما يمكن تسميته بالاعتراض ؟ أليس هناك خلاف من الناحية التركيبية والدلالية بين الاعتراض وكل من الإطناب والالتفات والحشو ؟

بداية نقول إنه إذا كان ثمة شبه بين هذه المصطلحات الأربعة من حيث إن كلاً منها فى نهاية الأمر زيادة داخلية على التركيب الأسمى ، فلا يعنى ذلك المائلة أو المشابهة أو حتى المرادفة ، وذلك لما يلى :

أ - الاعتراض مقيد من حيث حدوثه بوقوعه بين شيئين متلازمين أو متطالبين ، سواء أكان هذان المتلازمان مفردين (فعل + فاعل) أو (فاعل + مفعول) أو (مبتداً + خبر) أم مفرداً وجملة ، أم جملتين متلازميتين ، وفى هذا دلالة على أن الاعتراض لا حرية له فى موقعه .

ب - قد يكون الاعتراض غرضاً من أغراض الإطناب ، وليس الإطناب غرضاً

(١) قدامة بن جعفر - نقد الشعر ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) التهانوى - كشف اصطلاحات الفنون ٢/ ٣٩٥ - ٣٩٦ بتصرف .

من أغراض الاعتراض ، مما يوحى بخصوصية الاعتراض ، وعدم تناخله مع غيره من المصطلحات فى المعنى اللغوى والاصطلاحى .

ج - المتأمل فى تعريف قدامة للالتفات والأمثلة التى ساقها يجد أن ما قال به ليس من الاعتراض فى شئ ، ولكنه يدخل تحت ما يعرف بالاستدراك أو التعقيب على ما سبق ؛ لكون ما بعده التفاتاً يأتى بعد تمام المتلارمين واتصالهما بلا فاصل بينهما ، على حين أن الاعتراض لا يكون إلا بين شيئين متطالبين ، كما أن الالتفات تحول فى استخدام الضمائر من التكلم إلى المخاطب إلى الغائب . وربما يصحبه تحول فى زمن الحدث ، ولعل هذا التحول والانتقال بين الحالات الثلاث لمستوى الحديث ، دفع واحداً مثل صاحب الطراز إلى تعليل التسمية بقوله : « وسمى بذلك أخذاً له من التفات الإنسان ميمناً وشمالاً ، فتارة يقبل بوجهه ، وتارة كذا ، وتارة كذا »^(١) .

د - لكون الالتفات تحولاً فى استخدام الضمائر ، فإنه يختلف عن الاعتراض من حيث تكون كل منهما ، فالالتفات مرتبط بشريحة لفظية معينة هى الضمائر بأحوالها الخطائية الثلاثة ، والاعتراض ليس كذلك ، بل يقع بحالات تركيبية متنوعة فى جمل تامة ، ويكون متسقاً فى معناه ودلالته بما يخدم الجزء الأول أو الجزء الثانى من المتلارمين .

هـ - لاشك أن الفرق بين الاعتراض والحشوبات واضحاً من خلال ما قيل عن مفهوم الحشو ، فهو أحياناً يقع من باب الترادف بين الالفاظ ، مثل : « أمس قبله » ، ف « قبل » حشو ، وأحياناً يقع صدر صلة الموصول ، ولا يأتى بين متلارمين ، وهو ما يتفاوت فيه مع الاعتراض .

(١) العلوى - الطراز ١٣١ / ٢ ..

نخلص من هذا كله إلى أن الاعتراض معنى قائم بذاته لا يلتقى فيه ومعنى آخر من معاني المصطلحات الثلاثة الأنفة الذكر ، وليس صحيحاً ما قيل بوجود ترادف بين الاعتراض ومصطلحات الإطناب أو الالتفات أو الحشو ، فلكل معناه ودلالته اللغوية والاصطلاحية ، وصورته التركيبية التي يأتى عليها ، والغرض الذى من أجله يستخدم .

رابعاً : الاعتراض فى مفهوم الدرس اللغوى المعاصر :

يربط اللغويون الغربيون بين الاعتراض parenthesis والتنغيم Intonation ، ويرون أن ثمة تغيراً فى طبقة الصوت أو درجته ، يبدو ذلك بوضوح حين ينطق بجملته فيها اعتراض ، كما توجد وقفات لها معانى ودلالات توحى بالاعتراض ، وهذه الوقفات غالباً ما تكون وسائل تعين على فهمه ومعرفته . وسنعرض لذلك بشئ من التفصيل من خلال ما وجدناه عند كل من : بلسومفيلد BloomField وجليسون Gleason و Sideny Greenbaum و Randolph Quirk من خلال ما كتبوه .

لقد أشار بلسومفيلد^(١) إلى أن الجملة الاعتراضية تعد تركيباً حراً ، ووسيلة من وسائل الفصل حين تطول الجملة الأساسية ، يقول : نظراً لأن مكونات الجمل تكون صيغاً حرة ، فإن المتحدث قد يفصل بين الجمل بمعانى الوقفات ، إذ غالباً ما تكون هذه الوقفات وسائل تمييزية ، لكونها تستخدم فقط عندما تكون الجمل طويلة ، وفى الإنجليزية تكون هذه الجمل مسبوقة دائماً بنغمات وقفية .

هذه التراكيب الحرة لا تكون مرتبطة بتركيب ، ولكنها قد تتصل بهذا

(١) See : Language, p. 185 - 186.

التركيب أو ذاك عن طريق ما يعرف بالإرداف أو الإبتاع parataxis^(١) (وهو ربط جملتين أو كلمتين بالتجاوز دون أداة ربط مع إنهاء التنغيم عند نهاية الجملة الأخيرة أو الكلمة الأخيرة) إذ مجرد انعدام أو تغييب الجانب الصوتي يعنى نهاية الجملة ، مثل قولنا : فى الساعة العاشرة {،} يجب الذهاب إلى البيت {.} وعادة فإن الإرداف فى الإنجليزية بنغم الوقف يبدو فى مكونات الجمل .

ويذهب بلومفيلد إلى أن الاعتراض ليس نوعاً واحداً ، فهناك الاعتراض المغلق الذى لا يحتاج إلى نغم وقفى ، مثل : تعال من فضلك ، أو نعم ياسيدى .

وثمة نوع خاص من الإردافات أو الاعتراضات ، ذلك الذى يستخدم فى الصيغ شبه المترادفة ، وهى التى تتماثل نحوياً ودلالياً فى جزء من الصيغة مع الجمل التى تلتحق بالاعتراض ، مثل : جون ، هو يجرى مسرعاً ، وفى الفرنسية عادة ما يستخدم هذا النمط فى نوع من الأسئلة ، مثل : جون ، متى حضر ؟

(١) مصطلح الإرداف عند قدامة بن جعفر * هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعانى فلا يأتى باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو رده وتابع له ، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع بمثالة قول عمر بن أبى ربيعة :

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لَتَوْفَلِي أَبُوهَا ، وَأَمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ

أراد أن يصف طول الجيد ، فلم يذكره بلفظه الخاص به ، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بعيدة مهوى القرط (نقد الشعر ١٥٥ - ١٥٦) . وهذا المعنى بعيد تماماً عما يقصد بمصطلح الإرداف فى الترجمة ، فالأول يركز على الدلالة ، والثانى يركز على التركيب والوضع فى الجملة .

وذكر الدكتور / بدوى طبانة الإرداف ذكراً خاصاً فى الضرب الذى يحسن استعماله للكتابة ، إذ أورده ضمن أربعة أقسام مما يحسن استعمالها فى الكتابة ، مثل : التمثيل ، والإرداف ، والمجاورة ، والكتابة التى ليست شيئاً مما سبق . وفى حديثه عن الإرداف لم يتغير مضمونه عما أورده قدامة ، وينقسم إلى خمسة فروع : فعل المبادأة ، باب « مثل » ، وما يأتى فى جواب الشرط ، الاستثناء من غير موجب ، وليس بشئ مما تقدم * (راجع د. بدوى طبانة - علم البيان ٢٤٨ - ٢٥٥ ط ١٩٧٧/٣ - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة) .

ثم يعرف بلومفيلد الاعتراض بقوله : الاعتراض أو التركيب الاعتراضى parenthesis ضرب من الإرداف parataxis لجملة يفصلها عن جملة أخرى تكون مرتبطة بها ، أو هو الذى يتوسط بين جملتين متصلتين يفصل بينهما . وعادة ما تكون الصيغة الاعتراضية مسبقة ومتبوعة بنغم وقفى ، أو بتغير فى طبقة الصوت أو درجته ، مثل : لقد رأيت الولد {،} أعنى الولد الصانع {،} .
يجرى فى الشارع {،} وقد يكون اعتراضاً مغلقاً يحدث دون تغير فى درجة الصوت ، مثل : هل يمكن أن تأتى من فضلك ؟ فإن كلمة من فضلك Please اعتراض مغلق A close parenthesis لا يحتاج إلى نغم وقفى أو يتم دون نغم وقفى pause - pitch .

ويستخدم مصطلح عطف البيان أو البدل apposition عندما تتابع التراكيب ولا تكون تامة المعنى ، مثل : جون {،} الولد الفقير . إذ عندما تظهر المجموعة البدلية متضمنة البدل ، فإن أحد مكوناتها يكون مساوياً للجملة الاعتراضية ، مثل : جون {،} الولد الفقير {،} خرج مسرعاً {،} .

ويشير بلومفيلد إلى أنه يوجد فى الإنجليزية ما يعرف بالبدل الملاصق أو المغلق Close apposition ، ويتم دون نغم وقفى ، وهو بدل يلاصق البدل منه مباشرة ، مثل : جون ملك ، جون أسمر اللون ، جون معمدانى .

كما يشير إلى أن هذه الأنواع من التراكيب الاعتراضية ، لا تتعارض وبقيّة التركيب الأصلية الذى يقوله المتحدث ، إذ مع ذلك يكون ذا معنى ، شريطة أن ينطق به كتركيب مستقل . وفى حالة قطع الجملة أو فصلها ، فإن المتحدث يفصلها عما بعدها ، مثل : أعتقد أنه ، ففى قطع الجملة فإنه يبدأ مرة ثانية ، مثل : لقد حان الوقت لنبدأ ... آه ، حسن ، أظن أنه يرغب فى الموضوع .
ويحدث هذا عندما يكرر المتحدث أو يردد شيئاً يبنى التنبيه إليه^(١) .

(١) راجع فى كل ما سبق BloomField, Language, p. 185 - 186 .

أما جليسون فقد أشار إلى الجمل الاعتراضية Parentheses تحت ما يعرف بعبارات الربط joining Clauses^(١) . ويعرف الجملة الاعتراضية statement parenthesis بأنها تعبير يقطع كلاماً آخر متصلاً بعضه ببعض . وهذا النوع من التعبيرات يكون على صلة بما يقطعه من الكلام ، وهو شائع في الإنجليزية كتابةً وتكلماً . والوسائل التي تشير إلى ذلك تختلف تماماً في الاثنين (الكتابة والكلام) . ففي الكلام فإن الجزء المتقدم من الجملة الحاضنة (الأساسية) matrix sentence عادة ما ينتهي بالفاصل ١٩١ juncture ، وهو رمز يكون في كل الأنواع الرئيسية فيقاطع الحديث ويكون غير مكتمل . وعندما يكون الاعتراض قصيراً parenthesis is short فإن اثنين من ١٩١ الفواصل يحيطان به ويكون مميزاً بشكل تام . كما أنه في الغالب يوجد تغيير في السابقة التنغيمية intonational key وأحياناً يمتد التغيير في نغمة الصوت إلى الجملة كلها . وفي نهاية الجزء المقحم فإن التنغيم العادي normal intonation يستأنف أو يعود للظهور مع استمرار الحديث . هذه الظواهر الصوتية توحى بتغير النمط أو النموذج الأصغر الذي يواجهنا أحياناً مستخدماً في الكتب الفنية لإبراز نص ثانوي أو ملاحظات أقل أهمية .

وفيما يكتب بالإنجليزية فإن الجمل الاعتراضية تعرف بعلامات معتادة ، هي : الأقواس () parens^(٢) ، و « هذه الأقواس تشير إلى أن العنصر المسور غير

(1) See : Gleason, Linguistics and English Grammar, p. 339-341.

(2) يذكر جليسون هامش (١) ص ٣٣٩ من المرجع السابق السبب في اختياره لهذا المصطلح فيقول : « لقد استخدمت المصطلح parens علامة على الجمل الاعتراضية بدلاً من المصطلح parenthesis ، لكونه مصطلحاً مختصراً للعلامة الاعتراضية parenthesis mark ، ولوضوحه في هذا الفصل ، كما أن الاستعمال الشائع لمصطلح ال parenthesis لهذا المعنى سيقودنا إلى معنى يخالف هذا المعنى في الاستخدام ، وأخيراً فإن هذا المصطلح لم يكتب له الشوبع إذ لا يعنى به في الشرح داخل حجرات الدراسة .

ملزم»^(١) . ومن علاماتها أيضاً الشرطة الأفقية المزدوجة - - أو زوجين متشابهين من علامات الترقيم .

وسواء أكان فى الحديث أم الكتابة ، فإن الجمل الاعتراضية تُعرّض أو تقدم بعبارات خاصة ، مثل : بالمناسبة incidentally ، والشئ بالشئ يذكر by the way ، وبخاصة That is ، على سبيل المثال For example . . . وهكذا^(٢) .

وتكون الجمل الاعتراضية أكثر سهولة فى تحديدّها عندما تقطع العبارة التابعة ولكن ليس بصفة دائمة يمكن معرفة ذلك بوضوح ، وخاصة عندما تأتى بين جمل تابعة مترابطة مغلقة Closely Connected Clause ، مثل :

١ - إذا أمطرت السماء - وأنا لا أعتقد ذلك جيداً - فسوف نقضى نزهتنا داخل البيت .

وعندما تضعف الرابطة ، فالجمل الاعتراضية تصبح مبهمّة أو يتعذر تمييزها تماماً . وما يدعو للاستغراب أن علامات الترقيم للمادة المقحمة أكثر تنظيمياً وإعانة على التمييز لها بشكل دقيق ، خاصة فى الحالات التى يسهل التعرف عليها ، سواء أكان بعلامة أو بدونها كما فى الجملة السابقة - قارن بين الجمل الآتية :

٢ - صديقى - يعيش فى نيويورك - جامع طوايع - لديه مجموعة رائعة من البريد الجوى البريطانى .

٣ - صديقى جامع طوايع - يعيش فى نيويورك - لديه مجموعة رائعة من البريد الجوى البريطانى .

يلاحظ أن الاعتراض فى الجملة (٢) هو نفسه فى الجملة (٣) يقاطع

(1) WinFred p. Lehman, Descriptive Linguistics, p. 181.

(2) Gleason, Linguistics and English Grammar, p. 339.

الكلام فى المرحلة بين صديقى جامع طوابع . ولديه مجموعة رائعة من البريد الجوى البريطانى . وإذا أردنا تحديد الاعتراض فى (٣) فهو غير ملحوظ بشكل جيد . فالجملة الاعتراضية لا تلاحظ فى الإنجليزية العادية المكتوبة بأى علامة من علامات الترفيم ، ومع ذلك فمن الممكن استخدام الأقواس . والإنجليزية السلسلة ثرنوا إلى وضع الكثير من الملاحظات الاعتراضية فى مثل هذه المواضع ، إذ يكون هناك كما هو واضح وقفات قليلة . إن النموذج الاعتراضى فى الجملة (١) يبدو أقل تفصيلاً وربما هى أكثر رصانة أو أكثر أدبية ، ومع ذلك فإن هذا لا يكون شكلاً أدبياً للاعتراض . وسيكون هذا صيغة الوصل غير المحدودة . ومن الممكن أن تأتى فى نفس المكان وفقاً لتتابع الجمل كما فى النموذج (٢) ، ولكنها لا تأخذ صيغة الجملة المستقلة أى تكون تابعة . وفى صيغة الوصل مع الكلمة الفاعلة فإن علاقتها الحقيقية بما جاروها ستوضح بالفواصل المناسبة للاعتراض ، لاحظ :

٤ - صديقى ، الذى يعيش فى نيويورك ، جامع طوابع ، عنده مجموعة رائعة من البريد الجوى البريطانى .

إن جملة الوصل غير المحددة ، تكون على نحو مصطنع مشابهة لجملة الوصل المحددة ، ومع ذلك فإن الأخيرة تكون جملة اعتراضية ، لكونها تودى وظيفة فى الجملة التى أقحمت فيها فى النموذج (٤) ، وهذه الوظيفة هى تعريف الصديق ، وفقاً لها ، فليست على نحو شائع تكون مُسَيِّجةً بزوجين من الفواصل ، كما فى النموذج (٥) .

٥ - صديقى الذى يعيش فى نيويورك جامع طابع . لديه مجموعة رائعة من البريد الجوى .

يلاحظ أن جملة الوصل المحددة لا يمكن أن تنفصل عن الجملة الاسمية^(١) ،

(1) Gleason, Linguistics and English Grammar, p. 340.

التي هي محور الدلالة . وينبغي أن يكون هناك عنصر داخل الجملة ، يكون متصلاً بها بشكل واضح . ولا تكون الأخيرة رقم (٥) أصيلة في جملة الوصل غير المحددة ، وهي جملة الوصل الاعتراضية ، والتي تكون أفضل نموذج للاعتراض . وعلى حين يكون الاتصال بالجملة الاسمية معناداً ، فالاسناد غير المحدد يكون ممكناً وأكثر شيوعاً . لاحظ :

٦ - روجها غسل كل الأطباق بعد حفلتها للعب الورق والتي كانت حقاً إيماء نبيلة .

فعبارة الوصل غير المحددة على نحو معين تكون بناء أدبياً ، ونادراً ما تكون في العامة حتى في النماذج الرسمية . ويبدو أن بعض الناس لم يستعملوها في لغة المخاطبة ، مع أن الكثير منهم يكتبونها على نحو شائع . ولهذا فإن المواطن الأصلي ليس ضرورياً أن يعرفها اللهم إذا تعلمها من النصوص المكتوبة .

وللغة الإنجليزية مجموعة من التقاليد التي من خلالها يمكن قراءة كل شيء مكتوب ، وجمل الوصل الاعتراضية ليست استثناء ، وهي عادة ما تقرأ بنغمة الجملة الاعتراضية ، مشتملة على مصطلحات صاعدة ١٩١ قبلها وبعدها . وليست القراءة الصوتية للجملة التقليدية بعلامات الترفيم المحيطة بها إلا طريقة أولية للقراءة الشفهية للإنجليزية ، وليست المتحدث أو المتكلمة . ولا يعرف المواطن الأصلي ولا يستخدم ولا يستجيب لهذه التنغيمات الصوتية ، إذ لا يعرف أكثر من التركيب حتى يتعلمه كجزء من القراءة النموذجية التقليدية للغة الإنجليزية الأدبية .

والعبارة غير المحددة ، هي النموذج الذي يكون جديداً وغريباً لأغلب تلاميذ المدارس . وينبغي أن تُعلم تركيبة جديدة بنفس الطريقة التي عليها البناء

النحوى للغة الفرنسية . ويفضل العودة للوسائل العامة للجمل الاعتراضية ، وبصورة مشابهة كثيراً لبناء الجملة الفرنسية ، وينبغى أن تدرس فما يتصل ببناء الجمل الانجليزية المختلفة تماماً ، وهى التى تؤدى نفس الوظائف . ولن يكون تعليمها بشكل مختلف عن علامات التقييم المتعلقة بها ، لكونها تنطق مع تنغيم مختلف ، والتنغيم إما أن يكون معروفاً أو غير معروف على نحو مطلق بالنسبة للطفل⁽¹⁾ .

كما سبق عرضه عند بلومفيلد وجليسون يلاحظ ما يأتى :

- تصنيف الاعتراض إلى اعتراض صوتى يتصل بالتنغيم والوقف ، واعتراض يتعلق بالكتابة ، ويكون مصحوباً بعلامات يدركها المرء بعقله ، ويراهم بعينه ، وهى أبسط من وسائل الاعتراض على المستوى الشفهي أو الصوتى .

- كما يلاحظ أن ما يتصل بالاعتراض على مستوى الحديث الشفهي صعب فى تحقيقه ، فحتى ابن اللغة الأصلى لا يراعى ولا يطبق ولا يدرك هذه الوسائل الصوتية .

- أخيراً يلاحظ أن الاهتمام بدراسة الجمل الاعتراضية أو الاعتراض عموماً لم يتطرق إلى الجانب التركيبى ، وبيان المكونات الوظيفية ، سواء أكان بالنسبة للجملة المعترضة أم الجملة المعترضة ، باستثناء إشارات خافتة كانت ترد فى ثانيا الكلام عن الاعتراض على المستوى الشفهي .

ومن الباحثين من يشير إلى أن هناك ما يعرف بالإضافات الاعتراضية ⁽²⁾parenthetical additions ، مثل : ed, ing ونحو ذلك ، ويبدو هذا بوضوح

(1) ibd, p. 341.

(2) Dwight Belinger, Meaning and Form, p. 84.

عند من أورد الجمل الاعتراضية تحت ما يعرف بعبارات التعليق comment clauses^(١) ، وإن كان يذلل على العرض الطابع التعليمي ، فإنه ربما يكون من المفيد معرفته في هذا الشأن .

إنَّ عبارات التعليق هي العبارات الاعتراضية parenthetical clauses المتعلقة بالمعنى العام للجملة . ومن الممكن أن تقع في بداية الجملة ، أو وسطها ، أو نهايتها ، وهكذا فإنها يوجه لها وحدة نغمة tone unit مستقلة ، مثل : كنج ستون / وربما تعرفها / عاصمة لجاميكا .

ونحن نميز بين الأنواع الآتية :

١ - ما يشبه الجملة الحاضنة matrix sentence للعبرة الأساسية main clause ، مثل : لا يوجد هناك متقدمون ، أعتقد ، لتلك الوظيفة .

٢ - العبرة الظرفية المحددة An adverbial Finite clause ، وهي المقدمة بـ As ، مثل : أعمل في الوردية الليلية ، كما تعرف .

٣ - عبارة الصلة الاسمية A nominal relative clause ، مثل : ما أزعجنا كثيراً ، أننا فقدنا حقائبنا .

٤ - العبرة غير المحددة كنموذج infinitive clause as style لعدم الوصل المبدوء بـ to ، مثل : أنا لست متأكداً بماذا أفعل لأكون شريفاً^(٢) .

٥ - العبرة الاعتراضية كنموذج لعدم الوصل parenthetical clause as style dishunet المنتهية بـ ing ، مثل : أشك ، كمتحدث عادي ، فيما إذا كان التلغار هو الناقل لهذه القصة .

(1) Sideny Greebaum and other, Astudent's Grammer, p. 325 - 326.

(2) Ibid, p. 325.

٦ - العبارة الاعتراضية كنموذج لعدم الوصل المنتهية بـ ed ، مثل : أعلن على نحو جلي stated bluntly أنه لم يكن لديه فرصة ليحقق فوراً .

فى كل نوع مما سبق ، توجد تعبيرات اصطلاحية ، أو تعبيرات مأثورة ، مثل : you see, As I say, What's more to the point, to be fair, Generally : Speaking, put bluntly, similarly. فى كل نوع يوجد على الأقل بعض الحرية لابتكار تعبيرات جديدة .

إن عبارات التعليق comment clauses التى تكون فى غاية الأهمية تشتمل عموماً على فعل متعدد ، أو صفة تحتاج إلى عبارة اسمية كما فى التهمة أو التكملة^(١) complementation ولذلك فإننا نجد تطابقاً بين الجمل التى تحتوى على مثل هذه العبارات والجمل التى تحتوى على تقرير غير مباشر ، مثل :

- لا يوجد هناك متقدمون ، أعتقد ، لتلك الوظيفة .

- أعتقد أنه لا يوجد هناك متقدمون لتلك الوظيفة .

نظراً لأن الـ That جزء من That - clause فإنه يكون عادة سهل الحذف ، والتنفيذ وحده (يتضح من خلال الفاصلة المستقلة فى الكتابة) يميز أول عبارة التعليق من أول العبارة الحاضنة أو الاسمية matrix clause ، مثل :

Comment clause	}	- أنت تعرف / أنا أعتقد أنك مخطئ
		- أنت تعرف أنا / أعتقد أنك مخطئ

ومثل :

- أنت / تعرف (ذلك) That أعتقد أنك مخطئ / matrix clause^(٢) .

(١) التهمة : ما ليس مستنداً ولا مستنداً إليه ، أو أى كلمة تتبع الفعل مثل المفعول به أو الخبر أو النعت
(د. محمد على الخولى - علم اللغة النظرى ٤٩) .

(2) See : Sidney, A student's Grammar, p. 326.

على هذا الحال تصنف العبارات الاعتراضية فى الدراسات الغربية ، وهى كما نرى تعتمد إلى حد كبير على الوسائل الصوتية ، دون التركيب والوظيفة النحوية والعلاقات بين مكونات التركيب الاعتراضى ، وهو ما يتباين مع الاعتراض فى العربية على نحو ما سنرى .

خامساً: دوافع الاعتراض :

الاعتراض نمط تركيبى شيع فى اللغات البشرية ، وتبدو صورته فى بعض اللغات أكثر وضوحاً . وفى العربية نجد كثير الوقوع والاستخدام ؛ وذلك لما جبلت عليه هذه اللغة فى خصائصها وسماتها من ميل إلى الوضوح والتأكيد .

ولا يقع الاعتراض فى نمط واحد من أنماط الجملة ، بل يستعمل فى الجملة الاسمية والفعلية ، بسيطة ومركبة ، « ويتوخاه المتكلم لتوضيح الاسم والمرجع الدلالى الاسمى وتقويته وتسديده ، فالتركيب الاعتراضى لا يقوم بوظيفة فى حد ذاته ، بل هو موصول بالإسناد والتلفظ ، ودرسه بعض اللسانين باعتباره توسعة موقعية ، وضرباً من ضروب العطف والربط . وللاعتراض تأثير فى الدلالة ، وإبراز للمركبات التى يهتم بها السامع والمخاطب »^(١) .

إن الاعتراض يحدد هيئة الاخبار وحالة المشاركين فى الأفعال ، ويرجع إلى إبراز المتكلم أو الكاتب . وتدل الجمل الاعتراضية على الإيجاز والأسلوب المتسم بالدقة فى تعيين مقامات الدلالة ، وتوضيح عدد من الوظائف النحوية الدالة على الزمان والمكان والوصف والهيئة والسبب^(٢) . فالاعتراض النحوى

(١) المتصف عاشور - بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ١٦٣ .

(٢) المرجع السابق ١٦٣ - ١٦٤ بصرف .

متصل بالعلاقات التركيبية الدلالية . ولا يفضل الانتهاء من التركيب النحوي التام إلا به .

ويصنفه الباحثون تحت ما يعرف بالجمل الإنشائية التي تشمل : النداء والتعجب والقسم والاعتراض ، وهو متصل بالعلاقات التركيبية الدلالية في العملية الإسنادية ، وأنه لا يحسن السكوت عن الجملة التامة إلا به . كما يذهب إلى أنه ضرب من التوسعة الضرورية للجملة واكتمال دلالتها ، وهي توسعة موقعية أو ضرب من العطف^(١) .

ومنهم من يعد الاعتراض وسيلة من وسائل إطالة بناء الجملة^(٢) ، فالجملة تعد قصيرة إذا اكتفى بعنصرها المؤسسين فحسب ، ففي الاسمية يكتفى بالمبتدأ والخبر المفرد ، وفي الفعلية يكتفى بالفعل والفاعل ، ولكن ثمة عناصر غير أساسية حددها النحاة يتم بها إطالة الجملة وتشابك بنائها بحيث تصبح جملة مركبة لا بسيطة .

من هذه العناصر طول الاعتراض ، فالنظام اللغوي يتبع أن يذكر بين عناصر الجملة جملة أخرى يسميها النحاة والبلاغيون الجملة الاعتراضية^(٣) .
ويستخدم الاعتراض في الجملة لأغراض متعددة ، نذكرها على النحو التالي :

- التوكيد والتثبيت على المعنى ، مثل قول عمرو بن شأس^(٤) :

أردت عراراً بالهون ، ومن يُردّ عراراً ، لعمري ، بالهوان فقد ظَلَمَ

(١) المتصف عاشور - بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ٢٢٧ - ٢٣٢ .

(٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف - في بناء الجملة العربية ٧٦ - ١١٣ .

(٣) المرجع السابق ١١١ .

(٤) القالي - الأمل ٦٨٩/٢ .

فجملته القسم « لعمري » اعتراضية جئ بها للتوكيد . وذلك مثل قول :
قد والله فعلت كذا .

- التبيين . وكشف حقيقة ما تليه الجملة الاعتراضية ، مثل : إنه - المسكين -
أحمق .

- التحسين والتزيين ، مثل قول زهير^(١) :

سئمت تكاليف الحياة ، ومن يعيش ثمانين حولاً ، لا أبالك ، يسأم
فقوله « لا أبالك » اعتراض جرى فيه على عادة العرب في إجرائهم إياه ،
مجرى المثل ، وليس الغرض منه الدعاء بفقد الأب ، بل الغرض منه ما أشير
إليه .

- التنزيه والتقديس ، مثل قوله تعالى : « ويجعلون لله البنائم سبحانه ولهم
ما يشتهون »^(٢) . فقوله « سبحانه » اعتراض الغرض منه تنزيه الله تعالى
وتقديسه عما ينسبونه إليه .

- الدعاء واستدراار العطف ، كقول العباس بن الأحنف^(٣) :

إن دام ذا الهجرُ يَظْلُم ولا تم فمالي في العيش من أرب
فجملته ولا تم « اعتراضية الغرض منها المسارعة إلى دعاء الله بآلا يقدر
وقوع هذا الهجر .

وقول أبي الطيب المتنبي^(٤) .

(١) زهير بن أبي سلمى - ديوانه ص ٢١ .

(٢) الآية رقم ٥٧ من سورة النحل .

(٣) العباس - ديوانه - ص ٣٣ شرح وتحقيق عائكة الخزرجي - ط ١ / ١٩٥٤ - مطبعة دار الكتب -
القاهرة .

(٤) المتنبي - ديوانه بشرح المكي ج ٤ / ٢٩٠ تحقيق مصطفى السقا وآخرين - دار المعرفة - بيروت -
لبنان (د.ت) .

وتحتقر الدنيا احتقاراً مجرباً يرى كل ما فيها وحاشاك فانياً
فقوله « وحاشاك » اعتراض الغرض منه الدعاء للمخاطب بطول العمر .

- التنبيه على أمر من الأمور ؛ لبيان أهميته وإيضاح قيمته ، كقول أبي خراش الهذلي^(١) :

تقول أراه بعد عروة لاهياً وذلك رء لو علمت جليل
ولا تحسبى أنى تناسيت عهدى ولكن صبرى يا أميم جميل

فقوله : « لو علمت » و « يا أميم » اعتراض الغرض منه التنبيه على عظم المصائب وشدة تأثيره فى نفسه ، وتنبيه المخاطب إلى جميل صبره .

- الترغيب فى فعل أمر مرغوب فيه أو التنفير منه ، مثل قوله تعالى :
« فاتوهن من حيث أمركم الله ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .
نساؤكم حرث لكم »^(٢) فقوله : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »
اعتراض بأكثر من جملة بين كلامين متصلين معنى ، فإن قوله (نساؤكم
حرث لكم) بيان لقوله (فاتوهن من حيث أمركم الله) بمعنى أن الماتى الذى
أمركم الله به هو مكان الحرث ، لأن الغرض الأصلى فى الاتيان طلب
النسل لا قضاء الشهوة ، والهدف من هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا
به ، والتنفير عما نهوا عنه^(٣) .

- التخصيص لأحد المذكورين بزيادة التأكيد فى أمر علق بهما ، كقوله تعالى
: « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين

(١) أبو خراش الهذلي - ديوان الهذليين ص ١١٦ - نسخة مصورة عن طبعه دار الكتب - الدار القومية - القاهرة - ١٩٦٥ .

(٢) الأيتان رقم ٢٢٢ ، ٢٢٣ من سورة البقرة .

(٣) الشنتراني - حاشيته ٩٤ .

أن اشكر لى ولوالديك»^(١) ، فقله أن اشكر لى تفسير لوصينا ، وقله حملته اعتراض بينهما ، إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً لحقها العظيم مفرداً^(٢) .

- المطابقة والاستعطف ، كقول المتنبي :

وَحُفُّوْ قُلُوبِ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَهُ يَاجَتِّى لَطَلَّتْ فِيهِ جَهَنَّمَا^(٣)
فقله ياجتتى اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطف .

- بيان السبب لأمر فيه غرابة ، مثل :

وقد أدركتنى والحوادث جمـة أسنة قوم لأضعاف ولا عزل^(٤)
فقله « والحوادث جمـة » اعتراض لبيان السبب مع الغرابة فى الأمر .

- الاستحالة وعدم إمكانية حدوث الحدث ، مثل قوله تعالى : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار »^(٥) ، إذ اعتراض بقوله : « ولن تفعلوا » لإفادة استحالة معارضة القرآن وعجزهم عن الاتيان بشئ من نوعه .

- التحسر وإظهار الأسى على شئ عزيز ، مثل : وإنى وإن بعدت عني لقريب منك ، فقله « وإن بعدت عني » اعتراض لإظهار الأسى والتحسر على ما ألم بابنه .

- التعظيم والتفخيم ، كما فى قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه

(١) الآية رقم (١٤) من سورة لقمان .

(٢) الشنوائى - حاشيته ٩٤ .

(٣) المتنبي - ديوانه شرح المكبرى ج ٤ / ٢٨ تحقيق مصطفى السقا وآخرين - دار المعرفة - بيروت لبنان (د.ت) .

(٤) البيت لجوهرية بن زيد (التخرجه مفصلاً انظر د. أميل يعقوب - المعجم المفصل ٧٧٣/٢) .

(٥) الآية رقم (٢٤) من سورة البقرة .

لقسم لو تعلمون عظيم»^(١) ، فهناك اعتراضات ، هما « وإنه لقسم عظيم » والثاني : « لو تعلمون » وهما لتعظيم القسم والمقسم عليه وتفخيم أمرهما ، والتنويه برفعة شأن القرآن الكريم .
- دفع الإيهام وحسن الاستفادة ، وهو ما يعنى تبين الأمر وتوضيحه وكشف حقيقة ما يتعلق بمعنى الجملة المعترضة .

وهكذا يتبين أن الاعتراض ليس ترفاً فى الجملة العربية ولا عبثاً رائداً عليها ، بل هناك من الأهداف والأغراض التى تقف وراء استخدامه ، وتدفع إلى الإكثار منه فى الشعر والنثر والفصيح من كلام العرب .

سادساً: الاعتراض بين جهود اللغويين والنحويين :

لقد اتضح لنا من خلال متابعة قضية الاعتراض فى مؤلفات القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، أنها لم تحظ باهتمام النحاة أو اللغويين أثناء تلك الفترة ، إذ لم يرد لها ذكر فى ثنايا مؤلفاتهم ، ومن ثم فليس بين أيدينا ما يشير إلى جهد لغوى أو نحوى فى هذا الشأن ، باستثناء ما ورد من معان لغوية فى المعاجم اللغوية التى ظهرت فى الفترة السالفة الذكر .

وفى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى نحظى بذكر لهذه القضية لدى عالين بارزين من علماء ذلك القرن ، وهما : أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) وتلميذه ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، إذ وردت عند أبى على إشارات عن الاعتراض ، وهى إشارات متناثرة ، جاءت تعليقاً على آية أو جزم منها ، أو على كلمة أو عبارة فى بيت من الشعر ، من ذلك تعليقه على قوله تعالى : « وأقرضوا الله »^(٢) ، قوله تعالى : « فأثرن به نقعاً »^(٣) ، يقول بعد تعليقه

(١) الأيتان رقم ٧٥ ، ٧٦ من سورة الواقعة .

(٢) راجع الآية رقم ٢٠ من سورة المزمل ، والآية رقم ٤ من سورة العاديات .

لإمكان وقوع العطف : « فإذا لم يجز أن يكون معطوفاً على الصلة لم تحمله على ذلك ، ولكن على وجوه أخرى ، منها : أن تجعل العطف اعتراضاً بين الصلة والموصول . . ثم يقول : أما حمله على الاعتراض هو أرجح الوجوه ؛ لأن الاعتراض قد شاع في كلامهم واتسع وكثر ، ولم يجر ذلك عندهم مجرى الفصل بين المتصلين بما هو أجنبي ، لأن فيه تسديداً وتبييناً ، فأشبهه من أجل ذلك الصفة والتأكيد ، فلذلك جاء بين الصلة والموصول ، والفعل والفاعل ، والابتداء والخبر ، والمفعول وفعله ، وغير ذلك »^(١) . وهي مواضع الاعتراض التي يذكرها أبو على بشئ من التفصيل مصحوبة بالشواهد .

على هذا النحو جاء حديث أبي على ، وفيه كما رأينا استخدامه للمصطلح مع عدم تعريفه أو إيضاحه بشكل مباشر ، وإن كان قد أشار إلى أنه يقع بين المتصلين ، ويفصل بينهم ، من خلال قوله : « لم يجر ذلك عندهم مجرى الفصل بين المتصلين » . كما أشار إلى شيعه واتساعه وكثرته في الاستخدام ؛ لما فيه من أهداف وأغراض يسعى إليها المتحدث أو الكاتب .

ثم أخذ الاهتمام بدراسة الاعتراض يتزايد شيئاً فشيئاً ، وقد بدا هذا الاهتمام على نحو ملحوظ لدى اللغوي العظيم ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، إذ أفرد له باباً خاصاً من أبواب خصائصه^(٢) ، ذكر فيه أهميته ، وبين مواضع وقوعه ، يقول ابن جنى : « أعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن ، وفصيح الشعر ، ومتشور الكلام . وهو جار عند العرب مجرى التأكيد ، فلذلك لا يشنع عليهم ، ولا يستنكر عندهم ، أن يعترض بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وغير ذلك ، مما لا يجوز الفصل فيه بغيره ، إلا شاذاً أو متاولاً »^(٣) .

(١) أبو على الفارسي - المسائل الخليليات ١٤٢ - ١٥٣ .

(٢) ابن جنى - الخصائص ١/ ٣٣٥ - ٣٤١ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٣٥ .

فإذا كان ابن جنى قد بين أن الاعتراض يجرى مجرى التأكيد عند العرب ، وهو ما يوضح قيمته ، ويبين أثره ، إذا كان قد أشار إلى ذلك ، فإنه عاد - بعد ذكره لمواضع الاعتراض - ليؤكد ما أسلف فيه القول ، مضيفاً إليه قيماً أخرى تتعلق بمستخدم الاعتراض من حيث استعداده اللغوى ، وحالته النفسية ، وجبلته التى جبل عليها ، قال ابن جنى : « والاعتراض فى شعر العربية ومنشورها كثير وحسن ، ودال على فصاحة المتكلم ، وقوة نفسه ، وامتداد نفسه ، وقد رأيت فى أشعار المحدثين ، وهو فى شعر إبراهيم بن المهدي أكثر منه فى شعر غيره من المولدين »^(١) .

لعل الدافع وراء إسباغ ابن جنى لهذه الصفات على المتكلم يعود إلى أن الاعتراض يؤدي إلى إطالة الكلام وامتداده ، وربما تؤدي إطالة الكلام إلى أن ينسى بعضه بعضاً ، لاسيما إذا وقع بين الكلام المتصل أكثر من اعتراض . كما أن انفصاله أو اتصاله أمر لا يتأتى لكل إنسان ، ولا يقدر عليه إلا من توافرت فيه صفات كالتى ساقها ابن جنى .

وأما كون الاعتراض يفيد التوكيد كما أشار أبو على وابن جنى^(٢) ، فذلك لأنه يؤدي إلى تطويل الجملة ، والعرب قد تطيل الكلام لتؤكد ، مع أنها إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد ، فالتوكيد للإسهاب والإطناب ، والحذف للاختصار والإيجاز ، وكان هذا مذهباً للعرب^(٣) . وفى هذا الإطار لا ننسى الإشارة إلى أن من الباحثين من يعد الاعتراض عنصراً من عناصر تطويل الجملة .

وفى القرن الرابع ذاته نظفر بما أورده ابن فارس (ت ٣٩٥) ، وما أورده

(١) ابن جنى - الخصائص ١/٣٤١ .

(٢) انظر : المسائل الحليات ٧٧ ، والخصائص ١/٨٢ .

(٣) ابن جنى - الخصائص ١/٨٣ ، ٢٨٩ .

ليس بالكثير . لقد عدّ ابن فارس الاعتراض سنة من سنن العرب ، يقول :
« ومن سنن العرب : أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام آخر »^(١) .

ويرى ابن فارس أنه يشترط في الاعتراض تمام المعنى ، وحصول الفائدة ،
ولذا « لا يكون هذا المعترض إلا مفيداً . . ومثل هذا في كتاب الله جلّ ثناؤه ،
وأشعار العرب كثير »^(٢) .

كان هذا موقف اللغويين وجهودهم في قضية الاعتراض حتى ابن فارس ،
ويلاحظ عليهم أنهم لم يعرفوا المصطلح تعريفاً واضحاً مباشراً ، صحيح أنهم
أشاروا إلى معناه من خلال وصفهم لما يحدث في التركيب الاعتراضى ، وهو
ينحصر فيما فصل بين الكلام وتمامه ، وعلى كل حال يظل حديث ابن جنى ذا
سمة تميزه من حديث أبى على الذى يزيد قليلاً عن ابن فارس فى هذا
الموضوع .

وفى القرن السادس الهجرى لم نظفر بحديث مفصل عن هذا الموضوع ،
فكتاب « المفصل » للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) كتاب موسوعى نحوى لم يرد فيه
ذكر للاعتراض ، مع أن مؤلفه كان يتعرض له فى « الكشف » خلال تناوله
لآيات القرآن الكريم بالشرح والتفسير ، كأن يشير بقوله مثلاً : هذه الآية فيها
اعتراض ، وهذه جملة اعتراضية ، وأحياناً كان يوضح الغرض من ذكره ،
وهل هو متعدد أم لا ، وهكذا . ويلاحظ أن تناوله لهذه القضية كان تناولاً
مورداً وفق وروده فى الآيات القرآنية^(٣) .

وفى القرن السابع نجد ثلاثة كتب ، أحدها : كتاب « شرح المفصل » لابن
يعيش (٦٤٣ هـ) وفيه لا نجد ذكراً لموضوع الاعتراض ، باستثناء استخدامه

(١) ابن فارس - الصحاح ٤١٤ .

(٢) المصدر السابق ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال لا الحصر : الزمخشري - الكشف ١/ ١٠ ، ٢٦ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٩٦ ، ٦٢/٤ .

لمصطلح « الجملة الاعتراضية »^(١) الذى ورد فى ثنايا حديثه عن اجتماع الشرط والقسم ، ويعود ذلك لكون الكتاب المشروح خالياً من ذكر هذا الموضوع .

وثانى هذه الكتب فى القرن السابع كتاب « شرح التسهيل » لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) وفيه نجد حديثاً مختصراً عن الاعتراض ، إذ يتحدث عن الجملة الاعتراضية وأهميتها ومواضع وجودها ، والفرق بينها وبين الجملة الحالية ، وهو حديث قريب من حديث ابن جنى فى الخصائص^(٢) .

وثالث الثلاثة كتاب « شرح الكافية » للرضى الاسترابادى (٦٨٨ هـ) ، وفيه نجد إشارة موجزة إلى الاعتراض ممثلاً فى مصطلح « واو لاعتراض » فى حديثه عن لاسيما^(٣) ، كما نجد إشارة أخرى إلى تعريف الجملة الاعتراضية فى تعليقه على حديث « اطلبوا العلم ولو بالصين » إذ يقول : الظاهر أن الواو الداخلة على الشرط فى مثله ، اعتراضية . ونعنى بالجملة الاعتراضية ، ما يتوسط بين أجزاء الكلام ، متعلقاً به معنى ، مستأنفاً لفظاً ، وقد يجئ بعد تمام الكلام^(٤) .

وفى القرن الثامن الهجرى نجد كتابين ، أحدهما : كتاب « ارتشاف الضرب » لأبى حيان (ت ٧٤٥ هـ) وفيه نجد إشارة إلى الاعتراض والجملة الاعتراضية والفرق بينها والجملة الحالية ، وأهمية الاعتراض وأثره فيما يعترض من التراكيب^(٥) .

وفى الكتاب الثانى نجد بحث الاعتراض يحظى باهتمام واضح أثره فى

(١) ابن عيش - شرح القصل ٥٨/٧ .

(٢) ابن مالك - شرح التسهيل ٢٧٥/٢ - ٣٧٨ وانظر المصدر نفسه ٢٥٩/٢ - ٣٦١ .

(٣) الرضى الاسترابادى - شرح الكافية ٢٢٩/١ .

(٤) المصدر السابق ٢٥٧/٢ .

(٥) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٣٧١/٢ - ٣٧٦ .

الدراسة المثانية المستوعبة التي أوردها ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) فى كتابه القيم المعروف بـ «مغنى اللبيب»^(١) ، إذ يعد أبرز من كتب فى هذا الموضوع ، ولذا فهو يأتى فى طليعة من أفردوا للاعتراض حديثاً مستقلاً مسهباً ، وإن كان حديثه ركز على الجانب التركيبى ، فلم يشر إلى أهمية الاعتراض والغرض من استخدامه إلا بشكل موجز . لقد عرف المصطلح ، ثم عدد مواضع الاعتراض ، فذكر له سبعة عشر موضعاً ، وميز بين الجملة الاعتراضية والجملة الحالية ، وهو تفصيل غير مسبوق .

ثم أخذ النحاة بعد ابن هشام يتناولون الاعتراض فى مؤلفاتهم ، دون زيادة شئ على ما أورده ابن هشام ، فقد أخذوا يرددون ما أورده فى هذا الخصوص ، نجد هذا عند السلسلى (ت ٧٧٠ هـ) ، والسيوطى (ت ٩١١ هـ) ، والأشمونى (ت ٩٢٩ هـ) ثم شراح الحواشى ، مثل : الشنوائى (ت ١٠١٩ هـ) ، والصبان (ت ١٢٠٦ هـ) ، والعتار (ت ١٢٥٠ هـ)^(٢) .

سابعاً : من قضايا الاعتراض

ثمة عدد من القضايا التى تتعلق بظاهرة الاعتراض ، وقد وجبت الإشارة إليها ، والوقوف عليها لما لها من أهمية واضحة فى إطار هذه الدراسة ، وهذه القضايا هى :

أ - مواضع الاعتراض .

ب - تعدد الاعتراض .

ج - أحرف الاعتراض .

(١) ابن هشام - مغنى اللبيب ٣٨٦/٢ - ٢٩٩ .

(٢) راجع السلسلى - شفاء الحليل فى إيضاح التسهيل ٢/ ٥٥٠ - ٥٥٢ ، والسيوطى - معجم الهوامع

٥٧-٥٠/٤ ، وشرح الأشمونى على الألفية ، حاشية العبدان على شرح الأشمونى ٤/ ٣٠-٣٣ ،

حاشية العطار على شرح الأهرية ١٢٥ - ١٢٦ ، حاشية الشنوائى ٩٢-٩٥ .

د - الاعتراض والوظيفة النحوية .

هـ - الاعتراض والفصل .

و - الاعتراض والحال .

ز - الاعتراض والصفة والتأكيد .

ح - الاعتراض والشرط .

ط - الاعتراض والاستئناف .

وسوف نتناول كل قضية من هذه القضايا على النحو التالي :

١- مواضع الاعتراض

ذكر أبو على الفارسي (٩) مواضع يقع فيها الاعتراض ، وذكر ابن جني (٧) مواضع ، وأورد ابن هشام (١٧) موضعاً^(١) . وكل منهم اتفق مع الآخر في ذكر مواضع ، واختلف معه في إيراد بعض المواضع التي لم يوردها الآخر . وسنورد ما اتفق فيه الجميع ، ثم نتبع ذلك بالمواضع التي ذكرت عند شخص ولم تذكر عند غيره .

لقد قال ثلاثهم بوقوع الاعتراض بين الفعل والفاعل في مثل قول امرئ القيس :

- ألا هل أتانا - والحوادث جمة - بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ يبقرا^(٢)
وقالوا بوقوع الاعتراض بين الفعل ومفعوله ، كما في قول أبي النجم :
- ويُدْكَتْ - والسدھر ذو تبدل - هيفاً دبوراً بالصبا والشمال^(٣)

(١) راجع : المسائل الحليّات ١٤٣-١٤٧ ، الخصائص ١/٣٣٥ - ٣٤١ ، معنى الليب ٢/٣٨٦ - ٣٩٩ .

(٢) البيت ورد في المسائل الحليّات ١٤٥ ، والخصائص ١/٣٣٥ ، ومعنى الليب ٢/٣٨٧ ، وهو في شرح القصائد السبع ٣٥٩ ، وراجع هامش ٦ من المسائل الحليّات ١٤٥ .

(٣) الرجز لأبي النجم في خزنة الأدب ٢/٣٩١ ، والخصائص ١/٣٣٦ (راجع المعجم للفصل ٣/١٢٣٧) .

كما قالوا بوقوعه بين المبتدأ والخبر ، فى مثل قول الشاعر :

- وفيهن - والأيام يعثرن بالفتى - نوادب لا يمللنه ونوائح^(١)

ومنه الاعتراض بجملة الفعل الملقى فى نحو : ريد - أظن - قائم ،
وبجملة الاختصاص فى نحو قوله ﷺ : نحن - معاشر الانبياء - لا نورث^(٢) .

وأشار أبو على إلى وقوعه بين اسم « إن » وخبرها ، وقال بذلك أيضاً
ابن جنى ، وهذا يتطابق مع ما قال به ابن هشام من وقوعه بين ما أصله المبتدأ
والخبر ، فى مثل ما حكاه سيويه من قولهم : إنه - المسكين - أحق ، فـ
« المسكين » خبر مبتدأ محذوف ، وقد اعترض بهما بين اسم « إن »
وخبرها^(٣) .

وقول ابن هشام : « ما أصله المبتدأ والخبر » يوحى بالواقع بعد الناسخ
الحرفى والفعلى ، ولكن يلاحظ أنه قدم نماذج للناسخ الحرفى ، لعل ، ليت ،
إن ، ولم يمثل لبقية النواسخ الحرفية والفعلية .

ومن المواضع التى قالوا بوقوع الاعتراض فيها ما يقع بين القسم وجوابه ،
كما أشار ابن هشام ، أو القسم والمقسم عليه كما أشار أبو على وابن جنى ،
وذلك فى مثل قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون
عظيم ، إنه لقرآن كريم »^(٤) . ففيه اعتراضان ، الأول بين قوله : فلا أقسم
بمواقع النجوم وجوابه « إنه لقرآن كريم » والآخر بين الموصوف الذى هو قسم
وبين صفته التى هى عظيم وهو قوله (لو تعلمون) .

(١) البيت لمن بين أوس فى ديوانه ص ٣٢ ، راجع الخصائص - هامش (٥) ٣٣٩/١ ، المعجم الفصل
١٦٦/١ .

(٢) ابن هشام - معنى اللبيب ٣٨٧/٢ .

(٣) أبو على الفارسى - المسائل الحليانيات ١٤٦ ، وابن جنى - الخصائص ٣٣٨/١ .

(٤) الآيات رقم ٧٥-٧٧ من سورة الواقعة .

ومثل الاعتراض بين القسم وجوابه ، قول الشاعر :

لَعَمْرِي - وَمَا عَمِرِي عَلَىٰ بَهَيْنٍ - لقد نطقت بطلا على الاقارع^(١)
ومن ذلك أيضاً الاعتراض بين الصفة والموصوف ، فى الموضع الذى أشير
إليه منذ قليل ، ومثله قوله تعالى : « ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه
يمترون »^(٢) .

ويقع كذلك بين الصلة والموصول ، كقول الشاعر :

ذَاكَ الذى - وَأَيُّكَ - يعرف مالك والحق يدفع ثُرَّهات السباطل^(٣)
لعل وقوع الاعتراض بين الصلة والموصول دفع عالماً كأبى على إلى إجارته
بين اسم إن وخبرها ، وبين المبتدأ والخبر ، وبين الفعل والفاعل لكون الصلة
أشد ارتباطاً بالموصول وتعلقاً به من غيرها ، مما يتركب تركيباً ثلاثياً ، يقول
أبو على : « فإذا جار الفصل بين الصلة والموصول بما ذكرنا من الاعتراض ،
فإنه يجوز الفصل بين اسم إن وخبرها بالاعتراض ، لأن اتصال الصلة
بالموصول أشد من اتصال المبتدأ بالخبر ، ألا ترى أنهما يجريان مجرى الاسم
الواحد ، وأن المبتدأ قد يحذف خبره ولا يستعمل إثباته . ثم يقول : وإذا جاز
ذلك فى الفعل والفاعل كان فى المبتدأ والخبر أجوز ، ألا ترى أن اتصال الفعل
بالفاعل أشد من اتصال المبتدأ والخبر ، فمن ثم لم يحذف الفاعل فى الموضع
الذى يحذف فيه المبتدأ ، ولكنه يضمن »^(٤) .

ومن ذلك أيضاً الاعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، مثل : هذا غلام -

(١) الآيات للناطقة الديباني فى ديوانه ص ٣٤ - راجع المعجم الفصل ١ / ٥٢١ .

(٢) الآية رقم ٣٤ من سورة مريم .

(٣) البيت لجرير فى ديوانه ص ٥٨٠ - راجع للمعجم الفصل ٢ / ٧٨٠ .

(٤) أبو على الفارسي - المسائل الحلييات ١٤٥-١٤٦ بتصرف يسير .

والله - ريد^(١) . ف « والله » اعتراض بين المضاف والمضاف إليه .

ومما ذكره أبو على وقوع الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، كما في قوله تعالى : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة »^(٢) ، فإن جملة « وترهقهم ذلك » معطوفة على « كسبوا السيئات » وما بينهما اعتراض بين به قدر جزائهم^(٣) .

هذا ما اتفق فيه ثلاثهم من مواضع الاعتراض ، ثم زاد ابن هشام عدداً آخر من المواضع لم يذكرها كل من أبي على وابن جنى ، وهذه المواضع هي : الاعتراض بين الشرط وجوابه ، مثل قوله تعالى : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار »^(٤) ومثل قوله : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر »^(٥) . وفي ذلك يرى أبو على أن الاعتراض « لو جاء بين الشرط والجزاء كان حسناً ؛ لأن الشرط والجزاء بمنزلة القسم والمقسم عليه »^(٦) .

ومن الاعتراض أيضاً ما وقع بين الجوار والمجرور ، مثل : اشتريته بـ - أرى - ألف درهم^(٧) .

ومنه أيضاً ما وقع بين الحرف الناسخ وما دخل عليه ، مثل قول الشاعر :

كأنَّ - وقد أتى حول جديد - أثافيها حمامات مثول^(٨)

(١) ابن هشام - معنى الليب ٣٥٢/٢ ، وراجع ابن جنى - الخصائص ٣٣٨/١ .

(٢) الآية ٢٧ من سورة يونس ، وانظر معنى الليب ٣٩١/٢ .

(٣) الآية ٢٤ من سورة البقرة ، والآية ١٠١ من سورة النحل .

(٤) أبو على الفارسي - المسائل الحليبات ١٤٧ .

(٥) ابن هشام - معنى الليب ٣٩٢/٢ .

(٦) البيت لأبي الفول الطهوى في الدرر ٢٧/٤ ، وشرح شواهد المعنى ٨١٨/٢ (راجع المعجم المفصل

. ٧١٦/٢)

كذا قال قوم ، ويمكن أن تكون هذه الجملة حالية تقدمت على صاحبها ، وهو اسم كأن .

ومنه ما وقع بين الحرف وتوكيده ، أو بين المؤكّد والمؤكّد ، مثل :

لَيْتَ وَهَلْ يَنْفَعُ شَيْئاً لَيْتُ لَيْتَ شَبَاباً بُوَعَ فَاشْتَرَيْتُ^(١)
فقوله : وهل ينفع شيئاً ليت اعتراض بين ليت فى مطلع الشطر الاول
وليت فى مطلع الشطر الثانى .

ومثله ما وقع بين حرف التنفيس والفعل ، مثل قول الشاعر :

وَمَا أَدْرِى وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِى أَقَوْمٌ أَلْ حِصْنِ أَمْ نِسَاءُ ؟^(٢)
فسوف ومابعداها اعتراض بين أدرى وجملة الاستفهام .

ومن ذلك أيضاً ما وقع بين قد والفعل ، كقول الشاعر :

أَخَالِدُ قَدْ وَاللهِ أَوْطَأَتَ عَشْوَةً وَمَا قَاتِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْتَفُ^(٣)
فجملة القسم والله اعتراض بين قد والفعل أوطأت .

ويشبهه ما وقع بين حرف النفى ومنفيه ، مثل :

(١) الرجز لرؤية فى ملحق ديوانه ص ١٧١ - راجع المعجم المفصل ١٧١/٣ .

(٢) البيت لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ص ٧٣ - راجع المعجم المفصل ١٧/١ .

(٣) هذا البيت مُلقًى من بيتين أولهما للفرزدق ، فالشطر الثانى من بيت للفرزدق فى ديوانه ٢٩/٢ والبيت يقول :

وما حل من جهل حبى حلمائنا ولا قاتل المعروف فينا يُعْتَفُ

وثانى البيتين لأخى يزيد بن عبد الله فى شرح شواهد الغنى ٤٨٨/١ ، والشطر الاول من البيت المذكور من بيت له يقول فيه :

أخالد قد والله وطئت عشوة وما العاشق المسكين فينا يبارق

(راجع المعجم المفصل ٥٧٦/٢)

وَلَا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً تُحَدِّثُ لِي نَكْبَةً وَتَنْكُوهَا^(١)

فجملته الفعل أراها اعتراض بين « لا » والفعل الناسخ تزال .

وأخيراً من موضع الاعتراض كذلك ما يقع بين جملتين مستقلتين ، مثل قوله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك »^(٢) . فقوله حملته أمه إلى قوله « عامين » اعتراض بين الجملة المفسرة ووصينا . . . والجملة المفسرة أن اشكر لي ولوالديك .

تلك هي المواضع التي يقع فيها الاعتراض كما أوردها أبو على وابن جنى وما زاده عليهما ابن هشام . ويلاحظ أن اهتمام القدماء اتجه إلى دراسة مكونات الجملة المعترضة ، وليس إلى الجملة المعترضة وأحوالها ، من حيث كونها اسمية أو فعلية ، خبرية أو إنشائية ، وغير ذلك من أحوال الجملة .

ب - تعدد الاعتراض

لا يقف الاعتراض عند حد الجملة الواحدة ، بل قد يتعدى الجملة الواحدة إلى جملتين أو أكثر . وقد أجاز الزمخشري الاعتراض بسبع جمل^(٣) ، وهو ما يعرف بـ « اعتراض في اعتراض » ، قال الزمخشري ، « وقوله : وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . اعتراض في اعتراض ، لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه ، وهو قوله : « إنه لقرآن كريم » ، واعترض بـ « لو تعلمون » بين الموصوف وصفته^(٤) .

(١) البيت لابن مرمة في ديوانه ص ٥٦ - (راجع المعجم المفصل ٢٣/١) .

(٢) الآية رقم ١٤ من سورة لقمان .

(٣) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٧٥ ، ٣٩٤ .

(٤) الزمخشري - الكشاف ٤/ ٦٢ ، والآية رقم ٧٥-٧٧ من سورة الواقعة .

ووقع الاعتراض بأكثر من جملة فى مواضع متعددة ، منها قول زهير :
 لممرك - والخطوب مغيرات^١ وفى طول الماشرة التقالى -
 لقد باليت مظعن أم أوفى ولكن أم أوفى لا تبالى^(١)
 فقد اعترض بجملتين بين القسم وجوابه .

ورغم أبو على الفارسي أنه لا يعترض بأكثر من جملة ، وقد علق على
 قول الشاعر :

أرأني - ولا كُفرانَ لله - أَيْهَ لِنَفْسِي قَدْ طَلَبْتُ غَيْرُ مَنِيْلٍ^(٢)
 علق عليه بقوله : إن أَيْهَ ، وهى مصدر « أويت له » إذا رحمته ورفقت
 به لا ينتصب بأويت محذوفة ، لئلا يلزم الاعتراض بجملتين ، وقد عدها
 مفعولاً لأجله منصوب بـ « كفران » ، وجملة هذا القول على ترك تنوين اسم
 لا مع أنه قد عمل فى « أَيْهَ » ، وهو ما لا يجيزه البصريون^(٣) . وقد اعترض
 ابن مالك على قول أبى على بالبيتين السابقين لزهير ، ويقول تعالى : « وما
 أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فأسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
 بالبينات والزبر »^(٤) . وقال الزمخشري فى الكشف : « ولو أن أهل القرى
 آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما
 كانوا يكسبون »^(٥) اعترض بين المعطوف والمعطوف عليه وهو : « فأخذناهم
 و « أفامن أهل القرى »^(٥) وهذا اعتراض بكلام تضمن سبع جمل^(٥) .

(١) البيتان لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ص ٣٤٢ (راجع المعجم المفصل ٧٥٠ / ٢) .

(٢) البيت لابن الدبنة فى ديوانه ص ٨٦ - راجع المعجم المفصل ٨٠٦ / ٢ .

(٣) ابن هشام - معنى اللبيب ٣٩٤ / ٢ .

(٤) الآية رقم ٤٣ ، ٤٤ من سورة النحل .

(٥) الزمخشري - الكشف ٩٨ / ٢ والآية رقم ٩٦ ، ٩٧ من سورة الأعراف .

وهناك من الشواهد ما يؤيد وقوع الاعتراض بأكثر من جملة ، كقول امرئ القيس :

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعى القومُ القومُ أتى أفر^(١)
إذ وقع الاعتراض بجملتى : القسم والسنداء بين التوكيد اللفظي للحرف « لا » دون حرف عطف . ومثله قول الآخر :

هل أنت ، ابن ليلى إن نظرتك رائح مع الركب ، أم غاد غداتك ، معى؟^(٢)
فقد اعترض بجملة النداء والشرط بين المبتدأ والخبر دون حرف عطف أيضاً .

هذه الأمثلة وغيرها تدل دلالة واضحة على أن الاعتراض بأكثر من جملة ممكن حدوثه بين المتلازمين . والذي يجب التنويه إليه هو أن الاعتراض بين المتلازمين قد يكون مقبولاً إذا كان محدود العدد ، فإذا زاد إلى الحد الذى جوزه الزمخشري « سبع جمل » فأنى أراه غير مرغوب ، لأن إطالة الفصل بين المتطالبين قد يفقد هما صفة الترابط ، ويتفرع بالمعنى المقصود إلى معان أخرى ، وربما يدفع القائل أو القارئ إلى عدم إصابة المراد من معنى المتلازمين ، ثم من معانى الجمل الاعتراضية التى كثرت ، ويصعب عليه إقامة العلاقة بين المعانى كلها ، مما يجعل المرء يضع المحاذير إزاء تعدد الاعتراض ، فلا يكثر منه ، ويقتصر على أقل عدد ممكن ما أمكن إلى ذلك سبيلاً :

ج - أحرف الاعتراض

تأتى الجملة الاعتراضية وقد اقترنت بها مجموعة من الأحرف ، تكون مميزة لها عما عداها من الجمل ، « وهى فى الأصل أحرف استئناف أو عطف .

(١) البيت فى ديوانه ص ١٥٤ - راجع المعجم للفصل ٢٩٧/١ .

(٢) البيت لأرطاة بن سبه - راجع الأغاني ٣٩/١٣ .

وإنما تكون للاعتراض فتقترن بها الجمل الاعتراضية ، إذا وقعت بين شيئين متطالين ، أو متلازمين ^(١) . وهذه الأحرف تتمثل فى :

الفاء : تتميز الجمل الاعتراضية باقترانها بالفاء ، مثل قوله تعالى : « فאלله أولى بهما » فى قوله : « إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ولا تتبعوا الهوى » ^(٢) . ومثل قوله : « ومن دونهما جنتان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، مدهامتان » ^(٣) . ومثل قول الشاعر :

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتى كل ما قدرا ^(٤)
الواو : وهى أكثر الحروف وروداً واستخداماً فى الشعر والنثر ، منها قوله تعالى : « رب إنى وضعتها أنثى - والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى - وإنى سميتها مريم » ^(٥) والرجوع إلى الشعر الذى أوردناه فى أغراض الاعتراض ومواضعه يبين لنا مدى كثرتها فى الاستخدام .

إذ : التعليلية ، مثل قوله تعالى : « ولن ينفعكم اليوم ، إذ ظلمتم ، أنكم فى العذاب مشتركون » ^(٦) . وإذ مبهمة فى جميع الزمان الماضى ، وتقع على الأزمنة الماضية كلها ، لا اختصاص لها بزمان منه دون آخر ، بل هى مبهمة فى الجميع ^(٧) .

لن : وهى من الأحرف الدالة على الاستقبال فى المعنى ، مثل قوله تعالى : « فإن لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فاتقوا النار » ^(٨) .

(١) د. فخر الدين قباوة - إعراب الجمل وأشباه الجمل ٧٣ .

(٢) الآية رقم ١٣٥ من سورة النساء .

(٣) الآيات رقم ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ من سورة الرحمن .

(٤) البيت بلا نسبة - راجع المعجم المفصل ٣١٤ / ١ - ٣١٥ .

(٥) الآية رقم ٣٦ من سورة آل عمران .

(٦) الآية رقم ٣٩ من سورة الزمر وظنر : شرح المفصل ١٨ / ٣ ، ٩٥ / ٤ .

(٧) الآية رقم ٢٤ من سورة البقرة .

سوف : حرف تنفيس يدل على الاستقبال ، مثل قول رهير :

وَمَا أَذْرِي وَسُوفَ إِخَالَ أَذْرِي أَقْسُومُ أَلْ حِصْنِ أُمِّ نِسَاءٍ^(١)
حتى : تحمل على ذلك أيضاً حتى الابتدائية ، مثل قوله تعالى : « وليست
التوبة للذين يعملون السيئات ، حتى إذا حضر أحدهم الموت ، قال : إنى
تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار »^(٢) .

اللام الموطئة : وهى توطئ لجواب القسم ، وتدخل على أداة الشرط ،
إشعاراً بأن الجواب بعدها مرتبط بقسم قبلها ، والحقت بأحرف الاعتراض ،
لكونها تنصدر الجملة الشرطية ، فتجعلها اعتراضية لا محل لها من
الإعراب ، مثل قول الشاعر :

لعمري ، لئن كنتم على النأى والغنى بكم مثل مابى ، إنكم لصديق
فيه قسم ظاهر « لعمري » والجملة الشرطية معترضة بين القسم وجوابه
« إنكم لصديق »^(٣) .

د - الاعتراض والوظيفة النحوية

لا تكون الجملة الاعتراضية إلا كلاماً تاماً ، وقد صنفها النحاة فى إطار
التحليل ضمن الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، « أى أنها لا تمثل عنصراً
إسنادياً ولا غير إسنادى فى بناء الجملة . ولكنها من جانب آخر لا تنفك عن
الجملة الأصلية ، ولا تزول عنها من حيث معناها ، لأنه تعترض بين عنصرين
متضامين متلازمين »^(٤) .

(١) البيت لزهير وقد مر فى ص ٤٠ من البحث .

(٢) الآية رقم ١٨ من سورة النساء .

(٣) راجع د . فخر الدين قباوة - إعراب الجمل وأنشاء الجمل ٧٥ والبيت فى الامالى ٢٨ / ١ .

(٤) د . محمد حماسة عبد اللطيف - فى بناء الجملة العربية ١١١ .

ولعل المقصود بالقول : لا تمثل عنصراً إسنادياً ولا غير إسنادى فى بناء الجملة هو أنها لا تقع موقع الخبر أو الفاعل أو المفعول أو الحال أو نحو ذلك ، وهو ما يتفق مع تحليل ابن هشام وتفسير لمصطلح « لا محل لها من الإعراب » الذى علله « بأنها - أى الجمل التى لا محل لها من الإعراب - لم تحمل محل المفرد ، وذلك هو الأصل فى الجمل »^(١) أى لا تقبل التأويل بمفرد « ويمتنع قيام المفرد مقامها »^(٢) حتى يحكم لها بحكم المفردات ، أو تسمى تسمية المفردات من مبتدأ وخبر ، وفاعل أو مفعول ... وهى معان نحوية ترد فى تكون الجملة العربية بنوعها .

هـ - الاعتراض والفصل

فى كتاب المسائل الحلييات لأبى على ما يوحى باستخدام مصطلح «الفصل» لنفس الشواهد التى أوردها فى حديثه عن الاعتراض ، يقول : « فإذا جاز الفصل بين الصلة والموصول بما ذكرنا من الاعتراض ... » وفى موضع آخر من الكتاب يقول : « فإن قلت إذا كان الفصل بين الفاعل وفعله قد جاء ... فهلا جاز الفصل بينهما بهذا المفعول ؟ قيل : ليس هذا الفصل كالفصل بمفعول المفعول ، لأن فى هذا الفصل تسديداً للقصة وتوكيداً لها ، فلما كان كذلك لم يكن الفصل بهذه الجملة كالفصل بمفعول المفعول الذى هو أجنبى من الفعل والفاعل ... ويستمر كلام أبى على عن جواز الفصل بين الفعل والفاعل بالظرف ، كان فيك زيد راعياً . وفى هذا ما يوحى بأن أبا على لم يفصل بين المصطلحين . ولكن ثمة إشارة وردت فى مطلع كلامه الذى أوردها ، وهى أنه اتخذ الاعتراض وسيلة من وسائل الفصل فى قوله : جاز الفصل ... بما ذكرنا من الاعتراض »^(٣) . وماورد عند ابن جنى قريب من هذا الكلام^(٤) .

(١) ابن هشام - معنى اللبيب ٣٨٢/٢ . (٢) السلسلى - شفاء العليل ٥٥١/٢ .

(٣) راجع مفصلاً : أبو على الفارسى - المسائل الحلييات ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٥٧ بتصرف يسير .

(٤) انظر : ابن جنى - الحصائص ٣٩٠/٢ - ٤١١ .

والرأى عندى أن الفصل عام ، والاعتراض خاص ، فكل اعتراض فصل ، وليس كل فصل اعتراض ، إذ الاعتراض لا يقع إلا بجملة ، بينما الفصل يقع بالحرف والكلمة والجملة ، يؤيد ذلك ما أورده ابن هشام فى قوله : « وأما الاعتراض بكان الزائدة فى نحو قوله : « أو نبى كان موسى » فالصحيح أنها لا فاعل لها ، فلا جملة ويفهم من ذلك أن الاعتراض لا يقع إلا بجملة^(١) .

و - الاعتراض والحال

يقترن الحديث عن الاعتراض والجملة الاعتراضية لدى النحاة بالحال والجملة الحالية^(٢) ، إذ يتبادر للذهن من خلال النظر إليهما أن ثمة تشابهاً بين الجملة المعترضة والجملة الحالية ، ولذا فحديث النحاة عنهما معاً حديث تميز لكل منهما ، وتبيين للفوارق التى تفرق بينهما ، ويمكننا حصر الفوارق بين كل منهما فيما يلى :

- ١ - الوظيفة النحوية .
- ٢ - الحالة .
- ٣ - الزمن .

١ - الوظيفة النحوية

سبقت الإشارة إلى أن الجملة الاعتراضية لا موضع لها من الإعراب ، بينما الجملة الحالية تشغل موضعاً من الإعراب ، ومحلها دائماً النصب ، وذلك لكون الحالية قابلة لإحلال المفرد محلها ، أما الاعتراضية فـ « يميزها عن الحالية امتناع قيام مفرد مقامها »^(٣) ، وكذا « سائر الجمل التى لا محل لها ، إنما سببه عدم حلول مفرد مقامها »^(٤) ، مما لا يجعل لها وظيفة نحوية كبقية المفردات فى الجملة ، مثل : المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ونحو ذلك .

(١) ابن هشام - مفتى اللبيب ٢/ ٢٨٧ .

(٢) راجع : شرح التسهيل ٢/ ٣٧٥ - ٣٧٨ ، ارتشاف الضرب ٢/ ٣٧١ - ٣٧٦ ، ابن هشام ٢/ ٣٩٥ .

(٣) السلبلى - شفاء الغليل ٢/ ٥٥١ .

(٤) السيوطى - جمع الهوامع ٤/ ٥٥ وانظر شرح التسهيل ٢/ ٣٧٧ .

٢ - الحالة

يقصد بالحالة ، هنا توضيح نوع الجملة الاعتراضية من حيث الأسلوب التى تنتمى إليه ، فالاعتراضية تكون غير خبرية ، أى إنشائية ، وهى تتنوع فى إنشائيتها بين الأمر ، الدعاء ، القسم ، الاستفهام ، وهو ما يستفاد منه « أن المعارضة تقع طلبية وإن الحالية لا تقع إلا خبرية ، وذلك بالإجماع »^(١) . فهى - أى المعارضة - لا تحتل صدقاً ولا كذباً .

وجملة الحال التى خلت من الطلبية والمفتوحة بدليل استقبال ، يعلم أن الجملة التى تقع حالاً جملة ابتدائية ، أو مصدرية بأن أو مصدرية بكان أو مصدرية بلا التبرئة ، أو مصدرية بما ، أو مصدرية بمضارع مثبت أو مضارع منفي بلا ، أو منفي بما أو مصدرية بلم أو مصدرية بماض تالٍ لإلا ، أو مصدرية بماض مخالف لما سبق^(٢) .

٣ - الزمن

ثالث ما تتميز به الجملة المعارضة أنه يجوز تصديرها بدليل استقبال ، مثل : السين ، أو سوف ، أو لن ، وهى التى أشرنا إليها فى أحرف الاعتراض . وتمتنع هذه الأحرف فى الجملة الحالية ، لكون المراد بها الحال لا الاستقبال . وإلى هذا أشار صاحب شرح التسهيل بقوله : « قيدت الجملة الواقعة حالاً بالخبرية احترازاً من الطلبية ، فإنها لا تقع حالاً ، وكذلك المصدرية بفعل مقرون بحرف تنفيس أو منفي بـلن ، وإلى ذلك أشار بقوله : غير مفتوحة بدليل استقبال »^(٣) .

(١) ابن هشام - معنى الليب ٢/ ٣٩٧ .

(٢) راجع بالتفصيل : ابن مالك - شرح التسهيل ٢/ ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٥٩ .

ز - الاعتراض والصفة والتوكيد

ذكر صاحب « ارتشاف الضرب » أن « جملة الاعتراض هي جملة المناسبة للمقصود بحيث يكون كالتوكيد له ، أو التنبيه على حال من أحواله »^(١) . وفي الهمع أن الاعتراضية هي التي تفيدنا تأكيداً أو تسديداً للكلام الذي اعترضت بين أجزائه ، وفي البسيط شرطها : أن تكون مناسبة للجملة المقصودة بحيث تكون كالتأكيد أو التنبيه على حال من أحوالها »^(٢) ، فالتوكيد غرض أساسي ومطلب ضروري تسعى إليه الجملة الاعتراضية ، وهو ما أشار إليه ابن هشام^(٣) .

ويذهب أبو على الفارسي إلى الربط بين الاعتراض من جانب ، والصفة والتوكيد من جانب آخر ، ووجه الربط هو أن الاعتراض لا يكون اجنبياً عن المتلازمين أو المستطالين ، يقول : « إن الاعتراض قد شاع في كلامهم واتسع وكثر ، ولم يجر ذلك عندهم مجرى الفصل بين المتصلين بما هو أجنبي ، لأن فيه تسديداً وتبيناً ، فأشبهه من أجل ذلك الصفة والتأكيد »^(٤) .

ح - الاعتراض والشرط

يقع الاعتراض في الشرط بتعاقب شرط لشرط متقدم عليه مع توحيد الجواب لهما ، أي أن يتوارد شرطان على جواب واحد في اللفظ على الأصح ، وكذا في أكثر من شرطين ، وهو ما يعرف باعتراض الشرط على الشرط^(٥) .

(١) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٣٧٢/٢ .

(٢) السيوطي - همع الهوامع ٥١/٤ .

(٣) راجع معنى اللبيب ٣٩٤/٢ .

(٤) أبو على الفارسي - المسائل الحلييات ١٤٣ .

(٥) صنف العلامة ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦٢ هـ) رسالة صغيرة قيمة في مسألة اعتراض الشرط على الشرط ، وقد حققها د. عبد الفتاح الحصور ، وتقع في ٧٦ صفحة ، جاء متن ابن هشام في الصفحات من ٣١-٥٤ . وقد صدرت الطبعة الأولى منها ١٩٨٦ من دار عمار - عمان - الأردن .

وقد أشار إلى هذه القضية غير واحد من النحاة بعد تناول ابن هشام لها وشرحه إياها^(١).

وهذا الضرب من الاعتراض يقع على نحو معين من التركيب والاستخدام، قال ابن هشام: « تأملنا ما ورد من كلام العرب من اعتراض الشرط على الشرط ، فوجدناهم لا يستعملونه إلا ولحكم معلق على مجموع الأمرين بشرط تقدم المؤخر وتأخر المقدم ، فوجب أن يحمل الكلام على ما ثبت في كلامهم ، كقول الشاعر: ^(٢)

إِنْ تُسْتَغِيثُوا بِنَا إِنْ تُذْعَرُوا تَجِدُوا مَنَا مَعَاقِلَ عِزٍّ رَأَتْهَا كَرَّمُ
فإن الذعر مقدم على الاستغاثة ، والاستغاثة مقدمة على الوجدان^(٣).

ويرى ابن هشام أنه إذا قيل: « إِنْ تُذْعَرُوا إِنْ تُسْتَغِيثُوا بِنَا تَجِدُوا ، أو : إِنْ تُتَوَضَّأُ ، إِنْ صُلِيَتْ أُثْبِتَ ، كان كلاماً باطلاً لما قررنا من أن الصحيح أن الجواب للشرط الأول ، وأن جواب الثاني محذوف ، مدلول عليه بالشرط الأول وجوابه . فيجب ألا يكون الشرط الأول وجوابه مسبب عن الشرط الثاني ، والأمر فيما ذكرنا بالعكس ، والصواب أن يقال : إِنْ صُلِيَتْ إِنْ تَوَضَّأَتْ أُثْبِتَ ، بتقدير : إِنْ تَوَضَّأَتْ فَإِنْ صُلِيَتْ أُثْبِتَ^(٤).

ويجوز الاعتراض بأكثر من شرطين ، مثل : إِنْ أُعْطِيَتْكَ إِنْ وَعَدْتُكَ إِنْ

(١) راجع في هذه المسألة مثلاً : الصبَّان - حاشيته ٣٠-٣٣ / ٤ ، الرغنى الاسترأباضى - شرح الكافية ٣٩٥/٢ ، خالد الأزهري - شرح التصريح ٢٥٤/٢ ، السيوطي - معجم الهوامع ٣٣٧/٤ ، الأشباه والنظائر ٨٣/٤ - ٩٠ ، البغدادي - خزنة الأدب ٥٤٨/٤ ، الشهاب - حاشيته على تفسير البيضاوي ٩٤/٥ ، المرادي - توضيح المقاصد ٢٦٦/٤ .

(٢) راجع ابن هشام - اعتراض الشرط - تحقيق د. عبد الفتاح الحمور ٤٠ ولم يذكر قائله لعدم الاهتداء إليه .

(٣) ابن هشام - اعتراض الشرط على الشرط ٥١-٥٢ .

(٤) المصدر السابق ٥٣ .

سألتني فعبدي حرٌ ، فإن وقع السؤال أولاً ، ثم الوعد ، ثم السعطاء ، وقعت الحرية ، وإن وقع على غير هذا الترتيب فلا حرية^(١) .

ويلاحظ أن الجواب يظل معلقاً على حصول الشرطين ، أو الأكثر منهما معاً ، سواء أوقعا على ترتيبهما في كلام أم متعاكسين أم مجتمعين .

وفى ضوء ما سبق فإن أياً من المسائل الخمسة الآتية لا يدخلها النحاة فيما يعد من اعتراض الشرط على الشرط ، وتتمثل هذه المسائل فيما يلي :

١ - أن يكون الشرط الأول مقترناً بجوابه ، ثم يأتي الشرط بعد ذلك ، مثل قوله تعالى : « يا قوم إن كنتم آمتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » .

٢ - أن يكون الثاني مقترناً بقاء الجواب لفظاً ، نحو : إن تكلم زيد فإن أجاد فأحسن إليه ، لأن الشرط الثاني وجوابه جواب الأول .

٣ - أن يكون الثاني مقترناً بها تقديرًا ، نحو : فإما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم .

٤ - أن يعطف على فعل الشرط شرط آخر ، مثل : « وإن تؤمنوا وتتسقوا يؤتكم أجوركم ولا يسالكم أموالكم ، إن يسالكموها فيحفكم تبخلوا » .

٥ - أن يكون جواب الشرطين محذوفاً ، مثل : وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي^(٢) .

وهذه المسائل أمرها مفصل في مظانها النحوية لمن أراد المزيد^(٣) .

(١) ابن هشام - اعتراض الشرط ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ٣١-٣٥ .

(٣) المصدر السابق ٣٦-٥٤ .

ط - الاعتراض والاستثناف

ساد الخلط بين الاعتراض والاستثناف فى استخدامات القدماء ، فربما يستخدم اصطلاح الاعتراض فى غير ما يراد به ؛ إذ علق الزمخشري فى الكشف على الآية الكريمة : « قالوا نعبد إلهك ، وإله آبائك : إبراهيم واسماعيل واسحاق وإلهاً واحداً ، ونحن له مسلمون » بقوله : « ونحن له مسلمون : حال من فاعل : نعبد ، أو مفعوله . ويجوز أن تكون جملة معطوفة على : نعبد وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة . أى ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مدعنون »^(١) . فكما نلاحظ أنه ذكر جملة اعتراضية مؤكدة ، وهو يريد الاستثناف ؛ لكون الاعتراض فى هذا الموضع لا يقوى قوة الاستثناف .

كما وقع الخلط أيضاً فى استخدام الرضى فى تعليقه على حديث : « اطلبوا العلم ولو بالصين » فيقول : الظاهر أن الوار الداخلية على الشرط ، فى مثله ، اعتراضية . ونعنى بالجملة الاعتراضية ما يتوسط بين أجزاء الكلام ، متعلقاً به معنى ، مستأنفاً لفظاً . وقد يجرى بعد تمام الكلام . كقوله ﷺ : أنا سيد ولد آدم ولا فخر »^(٢) فالصواب فى لاستخدام كما يبدو أن الجملة استثنائية ، ولا يجوز مثل هذا الخلط فى الإعراب .

ثامناً : الاعتراض فى شعر شوقي

تمثل الجملة لب النحو وجوهره ، لكونها تعبر عن المكونات المباشرة والعلاقات القائمة بينها فى نظام موحد . إنها تشكل صلب البحث النحوى ، ومحوره الأساسى ، فالنحو معنى بالوصف اللغوى لمختلف الجمل المفيدة .

(١) الزمخشري - الكشف ٩٦/١ والآية من سورة البقرة رقم ١٢٣ .

(٢) الرضى الاسترابادى - شرح الكافية ٢٥٧/٢ .

لقد كان السحاة - بداية بكتاب سيبويه - يهدفون فى المقام الاول الى تحليل وتفسير الجمل النحوية والاسس التى تقسوم عليها ، كما كانوا يحاولون توضيح أبواب النجى ، ووجوهه ، وتميز قوانينه فى إطار نظرية العلاقات النحوية داخل الجملة ، بتوخى المعانى النحوية ، الناتجة عن الإعراب والعامل والمعمول . وفى ثانيا هذا كله لا تهمل الكلمة ، فإعمالها غير وارد ، إذ تعد من مكونات الجملة المفيدة .

ولست الجملة نوعاً واحداً ، أو مغطاً ثابتاً ، بل منها البسيطة والمركبة ، والاسمية والفعلية ، والاستفهامية ، والدعائية ، والندائية ، والظرفية ، والاعتراضية ، وغير ذلك من التراكيب المختلفة . ولأشك أن كل نوع من هذه الجمل يعتمد على عدد من العناصر التى تتألف فيما بينها لتشكيل نسيج الجملة على نحو معين ، وهذه العناصر تتبع نظاماً معيناً فى ترتيبها داخل كل جملة ، وهذا الترتيب لا يتخذ نظاماً معيناً فى ترتيبها داخل كل جملة ، ولا يثبت على حال واحد ، بل يتعرض للتغيير من تركيب إلى تركيب ، ومن جملة إلى جملة .

إن محاولة التعرف على التقاليد الممكنة هدف من الأهداف التى تسعى إليها دراسة الجملة عموماً ، لبيان الوجوه التى يكون عليها الكلام ، ومن ثم معرفة النظام الذى تتجسم فيه أية لغة من اللغات . كما أن دراسة البنية الداخلية للجملة ، أو لصور التراكيب التى تكون عليها ، تعتمد اعتماداً أساسياً على مراقبة حركة العناصر التى يتكون منها هذا التركيب أو ذاك ، وملاحظة مظاهر الترتيب لهذه العناصر . وتتبع هذه المظاهر بالاختصار على مواطن التغيير يساعد على الكشف عن نوع التركيب والصورة التى يكون عليها .

ولا يخفى على أحد أن تغيير الترتيب قد يقتضيه التركيب النحوى ، إذ لا يتخذ صورة واحدة ، بل يتنوع إلى صور متعددة ، فتارة لجده فى صورة التقديم

والتأخير ، أو الاعتراض ، أو الحذف ، أو الزيادة وفى كل صورة تتعدد الحالات التى تأتى بها .

ومن المعلوم أن دراسة أى حالة من حالات تغيير الترتيب لعناصر الجملة لا تكون مجدية إذا درست بمعزل عن الاستخدام اللغوى ، ولا يتضح هذا الاستخدام إلا من خلال النصوص اللغوية - شعراً ونثراً - حتى يمكن حصر الظواهر ورصد الملاحظات الخاصة بكل حالة ومن ثم الخلوص إلى نتائج ملموسة .

ولدراسة ظاهرة الاعتراض من خلال النصوص اللغوية اخترنا شعر شوقى ليكون عوناً على رصد هذه الظاهرة ، وتتبعها فى المواضيع التى وردت فيها - وقد كان شعر شوقى موضع اهتمامنا واختيارنا ليكون مجالاً للتطبيق للأسباب الآتية :

- محاولة وصف هذه الظاهرة بالاعتماد على أبرز شعراء العربية فى العصر الحديث ، ليتبين الدور الذى يكون للفرد فى إجراء مظاهرها ، والأثر الذى يتركه مستخدم اللغة فيها ، لاسيما إذا كان شاعراً مثل شوقى ، ونذكر الطابع الذى تتسم به ظاهرة ما فى شعر الشاعر ، والسبيل إلى إثراء هذه الظاهرة من ناحية ، وإلى بناء التراكيب الخاصة المميزة انطلاقاً من إمكانات اللغة من ناحية أخرى .

- كثرة شعر شوقى وغزارته ووفرة مادته ، يعطى كما أكبر من العناصر التركيبية التى تساعد على إبراز الظاهرة موضع الدراسة مما يجفل الباحث يطمئن إلى النتائج التى يصل إليها ، فمما لا شك فيه أن شوقى كان دافقاً فى شعره ، كثيراً فى إنتاجه^(١) .

(١) راجع الجدول الذى أورده محمد الهادى الطرابلسى - خصائص الأسلوب فى الشوقيات ٢٥ .

- لعل هذه الدراسة تمثل جانباً من جوانب الدراسة اللغوية المختلفة لشعر شوقي ، إذ يتصل بجانب من جوانب التركيب ، والمعنى السياقي لنمط من أنماط الجمل ، فالمتتبع لشعره يجد وفرة في استخدامها ، وتنوعاً في تركيبها ، وتفاوتاً في الغرض الذي من أجله يقع الاعتراض .

وتشغل الجملة الاعتراضية حيزاً كبيراً من شعر شوقي ، إذ يبلغ مجموع المواضع التي وقع فيها الاعتراض (٥٦٣) موضعاً . وكان وقوعه متخلداً أنماطاً متنوعة ، سواء أكان على مستوى الجملة المعترضة أم الجملة المعترضة ، ودراستنا لهذه الظاهرة تأتي على مرحلتين : الأولى : تتعلق بالجانب التركيبي للاعتراض ، وتركز على مكونات الجملة المعترضة والمعتريضة . الثانية : تتعلق بالمعنى السياقي للاعتراض ، وتهتم بدراسة المعاني التي من أجلها يحدث الاعتراض . وتتناول كل حالة منهما كما يلي :

١ - العناصر التركيبية للاعتراض

الهدف هنا هو دراسة مكونات الجملتين المعترضة والمعتريضة ، لبيان أى العناصر التركيبية التي يقع فيها الاعتراض ، وتتناول في البداية العناصر التركيبية للجملة المعترضة ، وقد لوظ أن الاعتراض ربما يقع بين عناصر الجملة الفعلية ، وربما يقع بين عناصر الجملة الاسمية ، وربما يكون بين جزئين متلازمين ، مثل : الشرط وجوابه ، الصلة والموصول ، والبدل والمبدل منه ونحو ذلك مما سنوضحه في الصفحات القادمة .

وينظر إلى الجملة المعترضة على أنها الأصل ، وأن الجملة المعترضة على أنها فرع قد ريدت أو أقحمت بين المتلازمين أو المتطالين . وقد تنوعت أحوال الاعتراض بين عناصر الجملة المعترضة ، ونحاول الآن إيضاح هذه التنوعات كما يلي :

١ - الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية

يشكل الاعتراض بين عناصر الجملة بوجه عام ملمحاً من ملامح التغيير فى التركيب النحوى ، كما يعد وسيلة من الوسائل التى تسهم فى إطالة الجمل ، وعاملاً من عوامل التغيير فى نظام الترتيب الأسمى لعناصر الكلام ، وأخيراً يعد أداة تفصل بين المتلازمين أو المتطالبيين .

وقد حاولنا تتبع هذه الظاهرة فى شعر شوقى ، ولوحظ من خلال ذلك أن الاعتراض يحدث بين عناصر الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية . وكان الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية أكثر من الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية ، إذ وقع بين عناصر الأولى فى (٢٩٧) موضعاً ، ووقع بين عناصر الثانية فى (٢٦٦) موضعاً .

وفى إطار الجملة الاسمية لوحظ أن الاعتراض بين عناصرها تنوع من صورة إلى صورة ، إذ هناك اعتراض بين عناصر مرتبة ، وآخر بين عناصر غير مرتبة . ويقصد بالترتيب ما تكون عليه الجملة الاسمية فى الأصل من مبتدأ وخبر ، كل فى موضعه ، كما يقصد بغير المرتبة ما تكون عليه الجملة الاسمية حين يتقدم الخبر ويتأخر المبتدأ ، كما تنوعت الجملة الاسمية التى يقع فيها الاعتراض بين المنسوخة وغير المنسوخة ، والجمل التى يحذف فيها المبتدأ ويبقى الخبر أو العكس .

يضاف إلى ذلك ما وقع من اعتراض بين ما يسمى بعناصر المكون الاسمى ، وهذا النوع لا يشترط فيه تمام الجملة ، كان يقع الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، والصلة والموصول ، والبذل والمبدل منه ، ويوضح ذلك الجدول الآتى :

العدد	نمط التركيب المعترض
١١٣	جملة اسمية مرتبة العناصر
٥٧	جملة اسمية غير مرتبة العناصر
٣٩	جملة اسمية منسوخة بفعل ناسخ
٣٦	جملة اسمية منسوخة بحرف ناسخ
٣٢	المعطوف والمعطوف عليه
١٦	الصفة والموصوف
١	البدل والمبدل منه
٣	الصلة والموصول
٢٩٧	

١- بين عناصر الجملة الاسمية المرتبة

يمثل الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية المرتبة العناصر أكثر أنماط الجملة الاسمية المعترضة شيوعاً ، وقد فصل الاعتراض بن المبتدأ والخبر المتنوع فى أحواله ، نذكر مما ورد فى شعر شوقى ممثلاً لذلك ، قوله :

حسامك من سقراط فى الخطب أخطب وعودك من عود المنابر أصلب حـ/٣٩
وقوله :

قلمى - وإن جهل الغبى مكانه - أبقى على الأحقاب من ماضيك حـ/١٥٥
وقوله :

هذى البقية - لو حرصتم - دولة صال الرشيد بها ، وطال هشام حـ/٢٢٥
هذه نماذج للاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية المرتبة العناصر ، وفى البيت الأول اعتراضات بين المبتدأ « حسامك » والخبر « أخطب » ، وكذا بين

المبتدأ « عودك » والخبر « أصلب » . وفى البيت الثانى اعتراض بين المبتدأ « قلمى » والخبر « أبقى » وفى الثالث اعتراض بين المبتدأ « هذى البقية » والخبر « دولة » . ويلاحظ أن الخبر تنوع بين المفرد والجملة الفعلية ، ولم يقع لنا خبر جملة اسمية ، كما لوحظ أن الجملة الفعلية كانت أكثر شيوعاً من الخبر المفرد .

٢ - بين عناصر الجملة الاسمية غير المرتبة

كما وقع الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية غير المرتبة فى (٥٧) موضعاً ، وفى هذه المواضع قدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة ، وقد غلب عليه شبه الجملة الجار والمجرور ، إذ ورد فى (٥٤) موضعاً ، أما شبه الجملة الظرف فقد ورد فى (٢) موضعين جاء النوع الأول فى قول شوقي :

لى فى مديحك يارسول عرائسُ تيمَنَ فيك، وشاقهن جلاء حـ/٣٧
وقوله :

وللمستعمرين وإنَّ الأنوا قلـ سوبٌ كالحجارة، لا تَرِقُ حـ/٢٦
فالمنادى فى البيت الأول اعتراض بين الخبر الجار والمجرور والمبتدأ «عرائس» ، وأداة الشرط وفعلها اعتراض بين شبه الجملة الجار والمجرور والمبتدأ قلوب .

ومن النوع الثانى قوله :

وعندى للرجال - وإنَّ تَجَافَوْا - مَنَارُلُ فى الحفاوة لَانْفَات حـ/٤٧
الاعتراض الشرطى فصل بين شبه الجملة الظرف والمبتدأ « مَنَارُلُ » .

لعل تقديم الخبر على المبتدأ له ما يبرره من الناحية التركيبية ، وهو كون المبتدأ نكرة ، ولا يبدأ بنكرة إلا بمسوغ ، كما لا يتقدم الخبر على المبتدأ إلا

بمسوخ ، والأمر لا جدال فيه لدى النحاة ، ربما يكون هناك ما يبرر البدء على هذه الصورة من الناحية الدلالية ، وهو إبراز المعارض عليه ، والتعجيل بذكره ، وإظهاره لدى القارئ ، حتى لا يسبق إلى الخاطر أمر آخر ، وذلك إشعار بخصوصية المعارض عليه .

وثمة اعتراض حدث بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر ، وإن كان الخبر معرفة والمبتدأ معرفة ، وهو نمط لا يتكرر كثيراً ، إذ ورد فى موضعين ، منهما قوله :

فقلت : للمجد أشعارى مُسيرة وفى غوانى العلا لافى المها وطرى حـ ١٢٤/٢
فلاعتراض فى الشطر الثانى وقع بين الخبر المقدم ، وهو « فى غوانى العلا » والمجرور مضاف إلى معرف بال ، والمبتدأ المؤخر « وطرى » المعروف بإضافته إلى ضمير ، ولعل الغرض هنا بيان أمر خاص يهتم به ليجذب النظر إليه فيما قصد .

ولئن كان الاعتراض فيما مضى قد وقع بين أركان الجملة غير المرتبة ، وكان الداعى لذلك كون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة ، فإن هناك اعتراضاً وقع بين الخبر المقدم النكرة ، والمبتدأ المؤخر المعرفة ، وقد ورد هذا فى موضع واحد (١) فى قوله :

تُسمع الأرض قيصراً حين تدعو وعقيم من أهل مصر الدعاء حـ ٢٢/١
فلاعتراض فى الشطر الثانى ممثل فى الجار والمجرور المعروف بالإضافة فصل بين الخبر المقدم « عقيم » والمبتدأ المؤخر « الدعاء » ، وأغلب الظن أن الغرض هو بيان عدم الجدوى فيما يُسمى من أجله .

كما وقع الاعتراض بين الخبر شبه الجملة المقدم والمبتدأ المؤخر المؤول بالمصدر فى (٥) مواضع ، منها قوله :

من الزيادة فى البلوى وإن عظمت أن يعلم الشامتون اليوم ما علموا حـ ٢٠١/١
وقوله :

ومن المروءة وهى حائط دينتنا أن نذكر الإصلاح والإحسانا حـ ٢٦٨/١
فالاعتراض فى البيت الاول فصل بين الخبر شبه الجملة « من الزيادة »
والمبتدأ المؤول بالمصدر « أن يعلم الشامتون » وكذلك فصل فى البيت الثانى بين
شبه الجملة « من المروءة » والمبتدأ المؤول بالمصدر « أن نذكر الإصلاح » .

٣ - الجمل الاسمية المنسوخة بالفعل

ومن الاعتراض كذلك ما ورد فى الجمل الاسمية المنسوخة ، سواء أكانت
منسوخة بفعل ، أم منسوخة بحرف . وقد وقع الاعتراض بين أركان الجملة
المنسوخة بتناسخ فعلى فى (٣٩) موضعاً ، وهذا الناسخ الفعلى توزع بين : كان
وما يتصرف منها (٣٣) موضعاً ، وليس (٢) موضعان ، وما زال (١) موضع
واحد ، والمضارع من كاد التى من أفعال المقاربة (٢) موضعان .

ولوحظ أن كان متنوعة بين النفى (٣) مرات ، والإثبات (٩) مرات ،
والمضارع (١) مرة ، والماضى (١١) مرة ، وما يكون اسمها ظاهراً (٨) مرات ،
أو مقدراً (٢) مرتان ، ويتنوع الاسم الظاهر بين الضمير المتصل (٣) مرات ،
والاسم الصريح (٧) مرات .

جاء الاعتراض مع المنسوخة بـ « كان » ، فى قوله :

فلما استئلت السيف أخلب برقههم وماكنت يابرق المنية تُخلب حـ ٤٠/١
وجاء الاعتراض مع الجملة المنسوخة بالفعل الجامد « ليس » فى قوله :

والحق ليس - وإن علل - بمؤيد حتى يحوط جانبه حسام حـ ٢١٦/١
وجاء مع ما زال فى قوله :

ومازلنا إذا دهمت السرايا كأرحم ما يكون البيت آلا حـ ١٨٢/٢
ومع المضارع من كاد فى قوله :

تكاد - وإن هى لم تتصل بروج - تُحرَّك أوصالها حـ ١٨٥/٢
فكاد من الأفعال الناسخة التى لا يكون خبرها إلا جملة فعلية فعلها
مضارع ، وهى ما تسمى بأفعال الرجاء والشروع والمقاربة ، ولم يرد من هذه
المجموعة إلا ما ذكرنا ، وخبر « كاد » فى أكثر أحواله يقلل اقترانه « بأن » .

٤ - المنسوخة بالحرف

وهناك اعتراض بين أركان الجملة الاسمية المنسوخة بالحروف العاملة عمل
ليس ، مثل « لا » و « ما » ، فى مثل قوله :

لا المصائب إذ يرمى الرجالُ بها بقاتلات إذا الأخلاق لم تُصَبِّ حـ ٥٨/١
فصل الاعتراض بين اسم « المصائب » وخبرها « بقاتلات » على من
رغم أنها قد تعمل فى المعرفة ولم تعمل « ما » عمل ليس فى قوله :

وما الحياة - إذا أظمت - وإن خدعت - لإسراب على صحراء يلتمع حـ ١٤٧/١
تعدد الاعتراض الشرطى مع اختلاف أداة الشرط ، ففصل بين المبتدأ
والخبر ، لكون « ما » غير عاملة ، بسبب الفصل بين اسم « ما » وخبرها ،
ومن شروط إعمالها ألا يفصل بين اسمها وخبرها بفواصل ، لاسيما « إلا » ،
وذلك لأن « ما » حرف يعمل على التوالى وعدم الفصل ، والكلام على هذه
الصورة يفيد التوكيد ودفع الشك .

وإذا كان الاعتراض قد وقع بين أركان الجملة الاسمية المنسوخة بالفعل فإنه
قد حدث بين أركان الجملة المنسوخة بالحرف ، إذ وردت النواسخ الحرفية
المشبهة بالفعل المتمثلة فى « إن » وأخواتها فى (٣٦) موضعاً ، وقد انحصرت

هذه الأحرف في « إن » الساملة اللى وردت فى (١٩) موضعاً ، و « أن » فى (٧) مواضع ، « وكأن » فى (٦) مواضع ، ولكن فى (٤) مواضع .

فمن مواضع الاعتراض بين اسم « إن » وخبرها قوله :

وانسى - ولا من عليك بطاعة - أجل ، وأعلى فى الفروض ركائى حـ ٩٣/١
وقوله :

إن القلوب - وانت ملء صميمها - بعثت تهاניה من الأعماق حـ ٧٩/٢
فالاعتراض حدث بين جمل منسوخة مرتبة العناصر ، بين اسم الناسخ
وخبره . وهناك اعتراض بين خبر الناسخ شبه الجملة المقدم والاسم المؤخر ،
من ذلك قوله :

إن لـلوحش - والعظام منها - لـنايا أسبائهن العظام حـ ٢٣٢/١
وقوله :

أنا لا أدعو على « سين » طفى إن للسین - وإن جا - ذماما حـ ٩٠/٢
فصل الاعتراض فى البيتين بين الخبر شبه الجملة المقدم واسم « إن »
المؤخر ، وقد لوحظ أن « إن » فى كل المواضع التى تتبعناها كانت عاملة ،
باستثناء موضع واحد جاءت فيه غير عاملة ، لكونها ألحقت بـ « ما » الكافة
عن العمل ، وذلك فى قوله :

إنما الأسوة - والدنيا أسى - سبب العمران ، نظم العالمين حـ ٢٤٤/١
فكما يبدو أن الاعتراض هنا حدث بين المبتدأ والخبر ، لكون « إن » غير
عاملة من حيث الوظيفة ، ولكنها ما تزال تفيد التوكيد الذى رادته « ما »
بدخولها توكيداً أيضاً .

وأما الاعتراض بين اسم « أن » وخبرها ، ففى مثل قوله :

ولست تملك من أمر الدليل سوى أن الدليل - وإن أرداك - متبعٌ حـ ١٤٧/١

وما وقع من اعتراض بين اسم « كان » وخبرها ففى قوله :

كانها - وسلام الملك يطلبها - أمانةٌ عند ذى عهد يؤدّيها حـ ٢٧٩/١

كان الله - إذ قسم المعالى لأهل الواجب - ادخر الكمالاً حـ ١٨١/٢

الاعتراض مع هذا الحرف جاء بين عناصر الجملة الاسمية المرتبة ، فلم يقع لنا خلاف ذلك ، وقد لوظ أن اسمها جاء ضميراً فى (٣) مواضع ، وجاء اسماً صريحاً فى (٢) موضعين .

وجاء الاعتراض بين اسم « لكن » وخبرها فى قوله :

لكن مصر وإن أغضت على مِقة عَيْنٌ من الخلد بالكافور تسقيناً حـ ١٠٥/٢

فالاعتراض الشرطى لفصل بين اسمها وخبرها ، وهذا الناسخ قليل الاستخدام والورود .

٥- بين العناصر المتلازمة المتتابعة

وثمة نوع آخر من الاعتراض وقع بين المتلازمين ، مثل الصلة والموصول ، والصفة والموصوف ، والمعطوف والمعطوف عليه ، والبدل والمبدل منه . وهذا الضرب قليل إذا ما قيس بالاعتراض بين المبتدأ والخبر ، ويبدو ذلك من الجدول السابق . فما جاء بين الصلة والموصول مثل قوله :

من الذين - إذا سارت كتابهم - تصرفوا بحدود الأرض والتخم حـ ١٩٣/١

وما جاء بين الصفة والموصوف قوله :

أو كحوت - يرمنى الموج به - سابح بين ظهور وخفاء حـ ٤/٢

وقوله :

وقال : كبر - ياأخى - عظيم فقف ، فمشى كله عقيم حـ ١٧٥/٤
فلاعتراض هنا بين الموصوف والصفة المفردة ، وما جاء بين الموصوف
والصفة الجملة ، قوله :

وفكر - وإن عقلته الحياة - يظل بوادى المنايا سرود حـ ٦٨/٣
ويلاحظ أن الجملة الفعلية هي التي شاع الوصف بها ، إذ لم يقع لنا
الوصف بالاسمية .

وما جاء من اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، ففي قوله :

فابنوا - على بركات الله - واغتموا ماهياً الله من حظ وإقبال حـ ١٧٣/١
وقوله :

وعمد الصديق - إن مال دهر وشفاء المحزون من أكاره حـ ٧٤/٣
وأما الاعتراض بين البديل والمبدل منه ، ففي قوله :

ذاك - والله - الغنى كل الغنى أى صعب فى المعالى ماسلك حـ ١٧٥/٢
فالقسم اعتراض فصل بين البديل المعروف بـ (ال) والمبدل منه اسم الإشارة
ذاك . ويلاحظ أن هذه الفئة من التلازمات تتفق جميعها فى أن الجزء الثانى
منها لا يشغل وظيفة نحوية ، بل تتمثل الوظيفة فى الجزء الاول منها فقط .
كما يلاحظ أن الجزء الثانى يتفاوت من حالة إلى حالة ، فجملة الصلة لا
يستغنى عنها اسم الموصول ، بينما الجزء الثانى من التوابع يمكن للمتبوع
الاستغناء عنه .

تلك هي صورة الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية بأحوالها المختلفة ،
وقد لوحظ من خلال متابعتنا ما يلى :

- شيوع الاعتراض بين عناصر الجملة المرتبة العناصر ، يليه الجملة غير المرتبة فى عناصرها ثم كثرته فى الجملة المنسوخة بالفعل والحرف . كما لوحظ أن الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه يزيد على غيره من التوابع ، وكان الاعتراض بين البديل والمبدل منه أقل الحالات وقوعاً .
- لم يقع لنا اعتراض بين الجار والمجرور ، كما لم يقع لنا اعتراض بين الصفة والموصوف بجملة اسمية ، كما لم يقع لنا اعتراض بين المبتدأ والخبر حين يكون جملة اسمية . وقد اتفق كل من الموصوف والمبتدأ فى أن الجزء الثانى الذى يفصل بينهما قد يكون مفرداً أو جملة فعلية .
- شبه الجملة الجار والمجرور أكثر شيوعاً من شبه الجملة الظرف فى الاستخدام ، كما شاع الاعتراض بين عناصر الجملة المنسوخة بـ « كان » أكثر من النواسخ الفعلية الأخرى ، كما كانت « إن » أكثر من النواسخ الحرفية الأخرى .

ب - الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية

تنوعت مواقع الاعتراض بين مكونات الجملة الفعلية ، واختلفت العناصر التى تفصل بينها ، إذ تبين من خلال المتابعة أن الاعتراض فى إطار الجملة الفعلية قد يقع بين الفعل والفاعل ، أو الفعل ونائب الفاعل ، أى بين عنصرين أساسيين ، أو بين عنصر أساسى وآخر مكمل للجملة ، مثل الاعتراض بين الفعل والمفعول ، أو الفاعل والمفعول ، أو الفاعل والحال ، أو بين عنصرين مكملين للجملة ، مثل : الاعتراض بين المفعول الأول والثانى ونحو ذلك من المواضع التى يوضحها الجدول الآتى :

العدد	نمط التركيب المعترض
٣٦	الاعتراض بين الفعل والفاعل
١٢	الاعتراض بين الفعل ونائب الفاعل
٥٦	الاعتراض بين الفاعل والمفعول
٢٣	الاعتراض بين الفعل والمفعول
١٥	الاعتراض بين الفاعل المؤخر والمفعول المقدم
٦	الاعتراض بين الفاعل والحال
٩	الاعتراض بين المفعول الأول والثاني
١٣	الاعتراض بين الفاعل والجار والمجرور
١٤	الاعتراض بين المفعول والجار والمجرور
٨٢	الاعتراض في الجملة الإنشائية
٢٦٦	

يوضح الجدول السابق أن الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية يمثل توارداً غير قليل في شعر شوقي ، كما يبدو أن هذا الاعتراض لم يترك أى عنصريين متلازمين من عناصرها ، سواء أكانت هذان العنصران من أسسها أم من مكملاتها ، أو بمعنى آخر بين العامل ومعموله ، أو بين معمولين ، أدهما عمدة مرفوع والآخر فضلة منصوب ، أو بين معمولين منصوبين . وبيان ذلك كما يلي :

١ - الاعتراض بين الفعل والفاعل

الاعتراض الحادث بين الفعل والفاعل هو اعتراض بين عنصريين مرتبين ، ومكونين هما عماد الجملة الفعلية ، إذ لا فعل بدون فاعل ، ولا يكون فاعلاً

إلا إذا تقدمه فعل - لازم أو متعدى - تام يكتمل بمرفوعه ، ويدل على حدث مقترن بزمان ، كما يشترط فيه أن يكون بورن « فَعَلَ » ، ولذا فالفصل بينهما هو فصل بين عنصريّن متطابقين لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وقد ورد هذا النمط عند شوقي فى مواضع متعددة ، منها قوله :

تهفو إليك - وإن أدميتَ حبَّتها فى الحرب - أفئدة الأبطال والبُهم حـ ١٨٨/١
وقوله :

لم تبقَ منا - يافؤادُ - بقيةٌ لفتوةٍ أو فضلةٍ لعِراك حـ ١٧٨/٢
فالاعتراض فى البيت الأول بين الفعل « تهفو » والفاعل « أفئدة » ، وفى البيت الثانى فصل بين الفعل « تبق » والفاعل « بقية » .

٢ - الاعتراض بين الفعل ونائب الفاعل

الفعل مع نائب الفاعل يكون تاماً بورن « فَعَلَ » ، وقد وقع الاعتراض بينهما فى شعر شوقي ، وإن كان شيوعه يقل كثيراً عن الاعتراض بين الفعل والفاعل ، من ذلك قوله :

فيه فخرها المؤيدُ، مهما هزَّ بالسيد الكلیم اللواء حـ ٢٤/١
وقوله :

طُبعت من السم الحياة، طعامها وشرابها، وهواها المنتشَق حـ ١١١/٣
فالاعتراض فى البيت الأول فصّل بين الفعل « هزَّ » ونائب الفاعل « اللواء » ، كما فصل فى البيت الثانى بين الفعل « طُبعت » ونائب الفاعل « الحياة » وقد لوحظ أن الفعل جاء بصيغة الماضى ، ولم يرد بصيغة المضارع ، ولم يتجاوز صيغة الفعل الثلاثى فيما ورد من مواضع .

٣ - الاعتراض بين الفاعل والمفعول

يمثل الاعتراض بين الفاعل والمفعول زيادة بين عنصرين ، أحدهما : أساسى ، والثانى : غير أساسى ، ويشكل الاعتراض بين هذين العنصرين سمة واضحة فى إطار الجملة الفعلية ، وربما يكون الفاعل والمفعول وفق ترتيبهما فى الجملة ، وربما يكون على غير ترتيب فى موضعهما فيتأخر الأول ويتقدم الثانى ، ويمثل لذلك فى شعر شوقى قوله :

المثل هذا ذُنتَ فى الدنيا الطوى وأنشَقَّ من خَلَقَ عليك رداءُ؟ حـ١/ ٣٧
وقوله: يسأل الناسُ عندها الناسَ: هل فى الناس ذو المقلة التى لاتنام حـ١/ ٢٨٨
فى البيت الأول اعتراضان ، أحدهما بين الفاعل تاء المخاطب والمفعول « الطوى » وثانيهما بين الفعل « أنشَقَّ » والفاعل « رداء » . وفى الثانى فصل بين الفاعل « الناسُ » والمفعول « الناسَ » . ويلاحظ أن الاعتراض الحادث جاء بين فاعل ظاهر ومفعول ظاهر .

٤ - الاعتراض بين الفعل والمفعول

هذا الاعتراض ظاهره بين الفعل والمفعول ، والأصل ألا يوجد المفعول إلا بوجود الفاعل ، ولكن قد يحذف الفاعل من الجملة حذفاً ظاهرياً ، فيكون مستتراً ، مثل ذلك قوله :

مُلْكٌ نشاطُـه مِـيـاـمَنَ حـالِـهِ وترى بإذن الله حُسْنَ مآله حـ١/ ١٥٩
ومثل :

فأبـلـغُ - فـدَيَّتْكَ - كـلُّ ما لك ، فالملا ينوى ابتلاك حـ٢/ ٨٠
فالاعتراض فى البيت الأول « بإذن الله » فصل بين الفعل « ترى » والمفعول حُسْنَ والفاعل مستتر ، كما فصل الاعتراض « فديتك » بين

الفعل « أبلغ » والمفعول « كل » والاستار هنا واجب ، ويلاحظ أن المفعول ظاهر صريح ، وربما يكون مفعولاً مؤولاً من أن ومعمولها ، مثل :

ماكنت أعلم - والحوادث جمة - أن الحوادث مُقَلَّةٌ وقوام حـ ١٣٥/٢
فصل الاعتراض بين الفعل « أعلم » والمفعول المؤول بالمصدر من أن ومعمولها وكان الاعتراض في كل ما سبق واقعاً بين عناصر مرتبة في موقعها .

٥ - الاعتراض بين الفاعل المؤخر والمفعول المقدم

الأصل في الفاعل أن يتقدم على المفعول ، ولكن يجوز أن يتقدم المفعول على الفاعل ، إذا كان اللبس مأموناً في الجملة . وثمة مواضع يكون تقدم المفعول فيها واجباً ، فمن النوع الأول ، وهو تقدم المفعول جواراً ، قوله :

يتولى البحار - مهما ادلهمت - منك في كل جانب لألاء حـ ١٥/١
وقوله :

منع اللبث وإن طال المدى فلك مالعصاء مُستقر حـ ١٦١/٢

لوحظ من خلال تتبع هذه الصورة من الاعتراض بين المفعول المقدم جواراً على الفاعل أنها قليلة الورد ، إذا ما قورنت بالصورة التي يتقدم فيها المفعول على الفاعل وجوباً ، لكون المفعول المقدم ضميراً متصلاً والفاعل اسماً ظاهراً ، ويمثل ذلك من شعر شوقي قوله :

ويجمعنا إذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق حـ ٧٦/٢
وقوله :

لقد لامنى ياهند في الحب لائم مُحِبُّ إذا عدَّ الصَّحَابُ حبيبُ حـ ١١٤/٢
فهذه الصورة لا يجوز فيها تقديم الفاعل على الضمير المتصل .

٦ - الاعتراض بين المفعول الأول والثاني

وفى إطار الحديث عن المفعول يحسن أن نشير إلى أن الاعتراض قد يقع بين المفعول الأول والثانى فى الجملة التى تشتمل على فعل ناصب لمفعولين ، والاعتراض بينهما هو اعتراض بين جزئين مكملين ، مثل قوله :

وهبتك غير هباب يَراعاً أشدُّ على العدو من الحسام حـ/١٩٩ .
وقوله :

فحسبتها - والحساب يُجدى - ساحرة من ساحرات الهند حـ/ ١٣٠
فلاعتراض فى البيت الأول فصل بين المفعول الأول « كاف المخاطب »
والمفعول الثانى « يَراعاً » وفى البيت الثانى فصل بين المفعول الأول « هاء الغائبة » والمفعول الثانى « ساحرة » .

٧ - الاعتراض بين الفاعل والحال

الحال من المكملات فى الجملة ، شأنه شأن المفاعيل بأحوالها المختلفة ، وقد وقع الاعتراض بين الفاعل والحال ، وهو قليل الورد ، قال شوقي :

طلعنا - وهى مقبلةً - أسوداً ورحنا - وهى مدبرةً - نعاما حـ/ ٢١٠
فلاعتراض هنا بين الفاعل والحال المفرد ، وقد وقع فى البيت مرتين .

٨ - الاعتراض بين الفاعل وشبه الجملة المتعلق به

ثمة اعتراض بين الفاعل والجار والمجرور ، من ذلك قول شوقي :

فأدبروا - ووجوه الأرض تلفهم - كباطل من جلال الحق منهزم حـ/ ١٨٨
وهذا الضرب قليل الورد فى الاستخدام .

٩- الاعتراض بين المفعول والجار والمجرور فى قوله :

يطأطئ العلماء الهامَ إن نَبَسوا من هية العلم لامن هية الحكم ح١/١٩٣
وتشبه هذه الصورة سابقتها فى قلة شيوعها واستخدامها ، وفى كلتا
الحالتين فالجار والمجرور متعلق بما يسبقه ، لكونه يوضح مبهماً ، أو يزيل
غموضاً علق به .

١٠- الاعتراض فى الجملة الإنشائية

شغل الاعتراض فى إطار الجملة الإنشائية مواضع متعددة بين عناصرها
المختلفة بأحوالها المتعددة ، فالإنشاء ليس شكلاً واحداً ، بل أشكال تتنوع بين
الأمر والنهى ، والنفى ، والنداء ، والقسم ، والشرط ، والاستفهام .

فمن نماذج الاعتراض بين الطلب وجوابه ، قول شوقى :

وسل القبور - ولا أقول سل القرى - هل من ربيعة حاضرٌ أو بady ح١/١٠٨
وقوله :

ودعوا التفاخر بالتراث - وإن غلا - فاللجد كسبٌ والزمان عصام ح١/٢٢٤
فالطلب هنا وقع بفعل الأمر الصريح ، وقد ورد فى (١١) موضعاً ، وهو
نمط يزيد عن الطلب باسم فعل الأمر الذى ورد فى (٥) مواضع ، مثل قوله :

إيه - فروق - الحسن نجوى هائم يسمو إليك بجده وبخاله ح١/١٦٠
ومثل :

إيه - عبد الحميد - جلّ زمان أنت فيه خليفة وإمام ح١/٢٢٨
فروق : الأستاذة . ويلاحظ أنه لم يرد من أسماء أفعال الأمر غير هذا

الاسم الذى يدل على طلب الاستزادة مما يليه .

ووقع الاعتراض بين النداء ومطلوب النداء فى (١٢) موضعاً ، من ذلك قوله :

ياقلب أحمد - والسهامُ شديدةٌ ماذا لقيت من الغزال الرامى ؟ حـ ١٣٨/٢

ووقع الاعتراض بين القسم والمقسم عليه ، فى (٩) مواضع ، منها قوله :

والله ما أدرى - وأنت وحيد - أعليه يُنكى ، أم عليك يُنَاح حـ ٥١/٣

وجاء الاعتراض بين الشرط وجوابه فى (١١) موضعاً ، من ذلك قوله :

لولا امتنان العين - ياطيف الرضا - ماسامحت أيامها فيما جرى حـ ٣٣/٢

وقوله :

كلما رنّ فى المسارج - إن كنت - اتنى بالهتاف والتهليل حـ ١٣٨/٣

وأخيراً وقع الاعتراض فى تركيب الاستفهام فى (٢٥) موضعاً ، من ذلك

قوله :

أين - ياواحد مروان - عَلمَ من دعاك الصقر سمّاه العقاب ؟ حـ ١٧٧/٢

وقوله :

ياربُّ، قل: سَيُفْكَ أم سَيُفْه ؟ أيهما - ياربُّ - ماضٍ ثَقِيل ؟ حـ ٤٨/٤

فلاعتراض وقع بين الاستفهام فى البيت الاول والمستفهم عنه ، وفى

الحالتين فقد فصل بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر ، وهناك اعتراض وقع فى

تركيب الاستفهام فصل فيه بين الفاعل والمفعول فى قوله :

هل ترحمون - لعل الله يرحمكم - باليد أملاً ، وبالصحراء جيراناً ؟ حـ ٢٣٣/١

كما جاء الاعتراض فى تركيب الاستفهام ليفصل بين المفعول الاول والثانى

فى قوله :

هل تراهم - وانت موف عليهم - غير بُيَّانِ أَلْفَةٍ وانحداد؟ حـ ٥٧/٣

وهو استفهام حرفى ، تمثل فى « هل » وهو حرف غير مختص ، يدخل على الاسم والفعل على السواء .

على هذا الحال كانت صورة الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية ، وقد لوحظ ما يلى :

- شيوع الاعتراض بين الفعل والفاعل ، ثم بين الفاعل والمفعول ، ثم الفعل والمفعول ، يلى ذلك الاعتراض بين الفاعل المؤخر والمفعول المقدم ، ثم الفعل ونائب الفاعل ، وأخيراً بين المفعول الاول والثانى ثم الفاعل والحال .

- لوحظ أن أنماط الجملة الإنشائية تمثل مجتمعة نسبة شيوع واضحة فى الاستخدام ، وقد مثل الاعتراض فى تركيب الاستفهام نسبة عالية فى الاستخدام ، يليه ما ورد بين النداء ومطلوبه ، ثم الطلب وجوابه ، ثم الشرط وجوابه ، وأخيراً بين القسم والمقسم عليه .

ج - أنماط الجملة المعترضة

تعدد الاعتراض بين الجزئين المتلازمين ، واختلفت عناصره المكونة له . لقد تنوعت التراكيب المعترضة تنوعاً ملحوظاً ، فربما تكون جملة تامة ، أو شبه جملة ، أو كلمة واحدة ، ولم يكن كل نوع من هذه الأنواع نمطاً واحداً ، والجدول الآتى يوضح بصورة مجملة مجموع ما رد فى كل شكل .

العدد	نمط التركيب المعترض
١٧٧	جملة اسمية تامة
٢٩٤	جملة فعلية تامة
٨٦	شبه جملة
٦	كلمة واحدة
٥٦٣	

كما يبدو من الجدول السابق فقد تفاوت كل نمط عن الآخر تفاوتاً واضحاً ، وهذا التفاوت لم يكن حاداً بين نمط ونمط فقط ، بل كان النمط الواحد يسوده التباين بين أحواله المختلفة .

لقد تنوعت الجملة الاسمية بين الجملة غير المنسوخة ، والجملة المنسوخة ، وكان النوع الأول أكثر أشكال الجملة الاسمية وروداً ، إذ وردت في (١٥٣) موضعاً ، بينما وردت المنسوخة في (٢٤) موضعاً ، وقد لوحظ أن الخبر في أكثر الجمل جاء مفرداً (١٦٢) موضعاً ، وفي (١٥) موضعاً جاء جملة فعلية .

١ - الاعتراض بالجملة الاسمية

فمن الجمل الاسمية المعترضة التي جاء فيها الخبر مفرداً ، قوله :
ومن المروءة - وهي حائضٌ ديننا - أن نذكر الإصلاح والإحسانا حـ/٢٦٨
ومن الجمل الاسمية المعترضة التي جاء فيها الخبر فعلاً ، قوله :
عهد الفرنج - وأنت تعلم عهدهم - لا يبخسون المحسنين فتيلاً حـ/١٦٤
وثمة جمل اعتراضية اسمية تامة كان الخبر فيها جملة فعلية ، جاءت على طريقة التعجب القياسية ، في قوله :
من ضحاياء - وما أكثرها ! - ذلك الكاره في غضُّ العمر حـ/١١٨

وهذا الضرب من الجمل الاعتراضية قليل الورد ، فلم يقع لنا إلا فى موضعين خلال تتبعنا لها .

فأما الاعتراض بالجملة الاسمية المنسوخة فلم يكن شائعاً شيوع النوع الأول، قال شوقي :

يا نغم سوريا - ولست بأول - ماذا نمت من نير وقاد ؟ حـ ١٨/١
وقال :

ولدت - فكنت المهد - ثم ترعرعت فأظلمها منك الحفي المشفق حـ ٢٧/٢
(يقصد فى البيت الثانى باليلاد ميلا الحضارة فى مصر، والنيل هو المهد لها)
وثمة جمل اسمية معترضة منسوخة بالحرف ، مثل :

هل ترحمون - لعل الله يرحمكم بالبيد أهلاً، وبالصحراء جيراناً ؟ حـ ٢٣٣/١
٢ - الاعتراض بالجملة الفعلية

أما الاعتراض بالجملة الفعلية التامة فقد كان متنوعاً بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية المتنوعة بين النداء والشرط والنفى والنهى ونحو ذلك من الصور التى تأتى بها .

وقد ورد الاعتراض بالجملة الفعلية الخبرية فى (٥٩) موضعاً ، ورعت هذه المواضع بين (٣٨) موضعاً ، كان الفعل فى هذه المواضع متعدياً ، و (٢١) كان الفعل فيها لازماً ، من ذلك قول شوقي :

لم يكن ذاك من عمى ، كل عين - حجب الليل ضوءها - عمياء حـ ١٨/١
وقوله :

كانت لنا كبد - فحاق بها الهوى - قُهرت، وقد كانت من الأطواد حـ ٢١/٢

وكان الفعل فى الجمل المعترضه منوعاً بين الماضى كما مر ، والمضارع والامر والنفى والنهى . فالمضارع فى مثل قوله :

يا وَاَصِفَ الدَّمَّ - يَجْرَى ههنا وههنا قُمْ أَنْظِرِ الدَّمَ فهو اليومَ دَأْمَاءُ حـ ٨/٢
والامر فى مثل قوله :

النيل - فاسمع ، وافهم الحديث - يُعْطَى ، ولكنْ يَأْخُذُ الحَبِيثَ حـ ١٢٩/٤
والنفى فى مثل قوله :

ومن عبث الدنيا - وما عبثت سدى - شَبَّيْنَا وَشَبَّيْنَا والزمان وليد حـ ١٢٠/٢
والنهى جاء فى مثل قوله :

يوم كنا - ولا تسل : كيف كنا ؟ - تنهأدى من الهوى ما نشأ حـ ١١٢/٢
ويلاحظ أن الامر والنفى والنهى مما يدخل فى إطار الجملة الإنشائية .
ومن الاعتراض بالجملة الإنشائية الشرط والنداء والقسم ، ويان ذلك كما يلى :

٣ - الاعتراض بالشرط

تعد الجملة الشرطية أكثر ضروب الاعتراض شيوعاً واستخدماً فى شعر شوقى ، إذ وردت فى (١٣٩) موضعاً ، وكانت أداة الشرط غير موحدة ، إذ تنوعت بين الحرفية والاسمية ، وكانت الحرفية أكثر شيوعاً من الاسمية ، كما تباينت الحرفية بين الجازمة وغير الجازمة ، فقد لوحظ أن الجازمة أكثر وروداً من الحرفية غير الجازمة ، والجدول الآتى يوضح أحوال الشرط من حيث الاسمية والحرفية ونوع الاداة من حيث جزمها وعدده .

التمط الشرطى	العدد	نوع الأداة من حيث الوظيفة	حرفية	اسمية
الشرط الاسمى	٢	جازمة	٨٥	٣
الشرط الحرفى	١٣٧	غير جازمة	٥١	
	١٣٩			١٣٩

انحصرت أداة الشرط الاسمية فى اثنتين فقط ، هما : مهما ، كلما ، وقد وردت الاولى فى موضعين ، ووردت الثانية فى موضع واحد ، من ذلك قول شوقى :

يتولى البحارَ - مهما ادلهمت - منك فى كل جانب لالاءُ حـ/١٥
وقوله :

أقول لا يام الصبا - كلما نأت - أمالك يا عهدَ الشباب مُعيد حـ/٢٠/١٢٠
ولم يقع لنا خلال تتبعنا أسماء الشرط وجودها متبوعة بفعل مضارع ، سوى ما ورد من أفعال ماضية .

وأما أداة الشرط الحرفية الجازمة فقد انحصرت فى أداة واحدة هى « إن » التى ترددت فى كل المواضع التى أشرنا إليها ، من ذلك قوله :

كلُّ حَىٍّ - وإنْ تراخَتْ منايَا هـ - قضاء عن الحياة انقطاعه حـ/٣/١٠٣
وقد لوحظ أن الأفعال التى أعقبت « إن » فى كل المواضع جاءت بصيغة الماضى باستثناء (٥) مواضع جاءت فيها « إن » متبوعة بفعل مضارع ، جاءت فى (١) موضع واحد متبوعة بالمضارع مباشرة ، هو قوله :

ففيها الذى - إنْ يُقمَ - لا يُعَدَّ من الناس - أو يمض - لا يُحَسَّبُ حـ/٢/١٤٨
وجاءت فى (٤) مواضع متبوعة بـ « لم » ثم الفعل المضارع من ذلك قوله :

وذكرى وإن لم نَس عهدهك ساعة وشوق وإن لم نفتكر بإياب حـ ٣١/٣

فالعَمَل ليس لـ « إن » بل للحرَف « لم » الذى يتبعه الفعل مباشرة .

وفيما يخص جملة الشرط المعترضة التى تقدمها أداة شرط حرفية غير جازمة فقد تنوعت بين « إذا » التى وردت فى (٣٤) موضعاً ، و « لو » التى جاءت فى (١٤) موضعاً ، و « لولا » التى وردت فى (٣) مواضع ، ويلاحظ أن « إذا » أكثر وروداً من الأدوات الأخرى ، قال شوقى :

كم فى التراب-إذا فتشت عن رجل- من مات بالعهد،أو من مات بالقسم حـ ١٩١/١
وقال :

إن الشرور - إذا تملك أمة - كالزهر يخفى الموت وهو رؤام حـ ٢٢٤/١
أما الاعتراض المصدر بـ « لو » ففى مثل قوله :

قاتل النفس - ولو كانت له - أسخط الله، ولم يُرض البشر حـ ١٢٠/١
وأما الاعتراض المصدر بـ « لولا » ففى مثل قوله :

يا طسير - لولا أن يفو لوا: جنٌ، قلت : تعقّل - حـ ١٦٧/١
اسمع قرب مُفصّل لك، لم يفدك كمُجمل حـ ١٦٧/١

ويلاحظ أن أداة الشرط الحرفية الجازمة انحصرت فى أداة واحدة فقط ، بينما غير الجازمة شملت الأدوات الثلاثة ، وإن تفاوتت نسبة الشيوع من أداة لأخرى .

٤ - الاعتراض بالنداء

وكان الاعتراض بالنداء مما شاع فى شعر شوقى أيضاً ، إذ ورد فى (٩٠) موضعاً ، وقد لوحظ تنوع المناذى بين المعرفة والنكرة المقصودة ، وتنوع المناذى

المعرفة بين العَلَم (١٩) موضعاً ، والمنادى المعروف بالإضافة (٣٠) موضعاً ، وهو يتوزع بين المعروف بالإضافة إلى معرف (بال) الوارد في (١٧) موضعاً ، والمضاف إلى علم (٥) مواضع ، والمضاف إلى ضمير المتكلم (٧) مواضع ، وإلى ضمير المخاطب (١) موضع واحد . ومن المعرفة أيضاً المعروف (بال) في (٢) موضعين ، وجاء المنادى النكرة المقصودة في (٩) مواضع .

كما لوحظ أن المنادى تنوع من حيث أداة النداء المستخدمة بين « أَيْ » التي تستخدم لنداء مافيه (أَل) و « يا » التي تستخدم لنداء ما ليس فيه (ال) البعيد . وقد تفاوتت « يا » بين الذكر والحذف ، إذ ورد ذكرها مع المنادى في (٥٩) موضعاً ، وجاءت محذوفة في (٣١) موضعاً ، وتمثل لكل أحوال الاعتراض بالنداء في شعر شوقي بما يلي :

جاء الاعتراض بالمنادى العَلَم في مثل قوله :

- زمان الفرد - يافرعون - ولّى ودالت دولةُ المُتَجَبِّرِينَا حـ / ٢٦٢

وجاء الاعتراض بالمنادى المعروف بإضافته إلى العلم في مثل قوله :

- قفى - ياأختَ يوشَعَ - خَبْرِينَا أحاديثُ القرونِ الغابِرِينَا حـ / ٢٥٤

ومن الاعتراض بالمنادى المعروف بالإضافة إلى المعروف (بال) قوله :

- عش لـلعلا والمجد - يا خَيْرَ البَنيْنِ - وللفخار حـ / ٧٠

ومن الاعتراض بالمنادى المضاف إلى لضمير ، قوله :

- فإن أَقْرَبَتْ - يامولاي - شِعْرى فإنَّ أبَاكَ تَعْرِفُهُ وَيَذْرى حـ / ٣٧

الإضافة هنا لضمير المتكلم ، وجاءت لضمير المخاطب ، في قوله :

- فجاءها يقول : - يابشراك - إن الذى دعوتِ قد لباكِ ا حـ / ١٨٣

فالتداء هنا مجازى ، إذ البشرى لا تنادى حقيقة ، فالمنادى محذوف تقديره « يا هذه » بشارك ، أو البشرى لك ، وربما فعل الشاعر ذلك لإبراز شدة الفرح لما يفرح ويستبشر به ، أو الأسى والحسرة لما يتفجع عليه لمن يقول « يا حسرتى » أو « يا لهفى » فالأصل : يا قوم حسرتى ، يا هذا لهفى على كذا .

وجاء الاعتراض بالمنادى النكرة المقصودة فى مثل قوله :

- إن يكن غير ما أُنسوه فخارٌ فأننا منك - يا فخر - براءُ حـ ١٧/١
وحكم النكرة المقصودة حكم العلم المفرد فى النداء ، لأن النكرة إذا قصدت كانت محددة ، وصارت كالعلم المقصود فى الوظيفة النحوية والإعراب والدلالة .

فى كل ما سبق كان المنادى مسبوقاً بأداة النداء ، وربما يأتى المنادى غير مسبوق بالأداة ، وقد لوحظ من استعراض ما ورد محذوفاً أداة ندائه ، أنه تنوع بين العلم المفرد ، والمضاف إلى معرفة ، وتمثل للأول بقول شوقي :

- ألسن - دَمَشَقُ - للإسلام ظنراً ومرضعة الأبوة لا تُعقُّ ؟ حـ ٧٥/٢
وقوله :

- إليك نموت - مصرٌ - كما حِينَا ويبقى وجهك المُدَيِّ حياً حـ ١٩٨/٤
وتمثل للنوع الثانى بقوله :

- فعفواً - أمير المؤمنين - لامةٍ دعتُ قادراً ، مازال فى العفو يرغب حـ ٥٣/١
فالإضافة فيما سبق لاسم ظاهر ، وجاءت الإضافة إلى ضمير ، كما فى قوله :

- أدرك كنانتك الكريم مة - ربنا - وتقبَّل حـ ١٦٨/١

وقد يحذف المضاف إليه ، كما فى قوله :

- عبادك - ربّ - قد جاعوا بمصرٍ أنيلاً سقت فيهم ، أم سراباً حـ ٦٢/١

المنادى فى كل ما سبق كانت أداة النداء « يا » لكونه يعرّى من « ال » ، ولم يأت الاعتراض بالنداء المعروف (بال) إلا فى موضعين ، منهما قوله :

- تحية - أيها الغارى - وتهتة بأية الفتح تبقى آية الحقب حـ ٥٨/١

تلك هى ضروب الاعتراض بالنداء ، وقد تبين أنه انحصر فى المنادى العلم المفرد ، والنكرة المقصودة ، والمنادى المضاف ، ولم يقع اعتراض بالمنادى الشبيه بالمضاف ، ولا النكرة غير المقصودة ، كما أن المنادى المعروف (بال) لم يقع إلا قليلاً جداً .

٥ - الاعتراض بالقسم

شكل الاعتراض بالقسم ضرباً من ضروب الفصل بين المتلازمين . وقد جاء الاعتراض بالقسم بالفاظ متنوعة بين اللفظ الصريح بالقسم أو ما فى معناه من الالفاظ الأخرى ، قال شوقى :

- ذاك - والله - الغنى كل الغنى أى صعب فى المعالى ماسلك حـ ١٧٥/٢

ومن ألفاظ القسم فى الاعتراض « لعمر » مضافة إلى لفظ « الله » ، فى قوله :

- هزوا القرى من كهفها ورميمها أنتم - لعمر الله - أعصاب القرى حـ ١٤٣/١

وقد تضاف إلى اسم ظاهر غير الله ، فى قوله :

- وكل أخى عيش وإن طال عيشه تُراب - لعمر الموت - وابن تراب حـ ٣٢/٣

وربما تضاف إلى الضمير ، فى مثل قوله :

- يونان لو بيعت بهرميرلما خَصَرَتْ - لَعَمْرُكَ - صفقة المتاع حـ ٩٤/٣
وقد يكون القسم بغير ذلك من الألفاظ ، كقوله :

- إلى البيت الحرام بك اتجهنا ومصر - وحققها - البيت الحرام حـ ٧٢/٤
ومن المعروف أن القسم لا يكون إلا بأسماء الله الحسنى أو بالمعبود ، أو
بما يقُدس ، أو بما هو غالٍ وعزيز عند المرء ، وهو من التراكيب الحرة ، التي
تقع في أول الكلام أو وسطه أو آخره .

٦ - الاعتراض بشبه الجملة

وقع الاعتراض بشبه الجملة ، كما وقع بالجملة الاسمية والفعلية ، وهي
إما أن تكون ظرفاً ، أو جاراً ومجروراً ، فهما صورتان لها ، وكان الاعتراض
بالجار والمجرور أكثر شيوعاً في الاستخدام من الظرف ، إذ ورد الأول في
(٥٨) موضعاً ، وورد الثاني في (٢٨) موضعاً ويمثل النوع الأول قوله :

- أَلَاكَيْتَ البلادَ لها قلوبٌ - كما للناسِ - تنفطرُ أُنْياعا حـ ١٤٤/١

وقوله :

- وهل آن - من أهل الكتاب - تسامحٌ خَلِيقٌ بأَدَابِ الكتابِ جديرٌ حـ ٨٢/٣
وقد تعددت حروف الجر الواردة في الاعتراض وتنوعت بين الياء (٨)
مرات ، وعلى (١٠) مرات ، وفي (١١) مرة ، والكاف (٩) مرات ، واللام
(٧) مرات ، ومن (١٣) مرة .

ومن الاعتراض بالظرف ، قوله :

- ايزيسُ ذاتُ المُلْكِ - حين توحَّدت - أَخَذَتْ قِوَامَ أمورها الأشياءُ حـ ٣٤/١
ومن المعلوم أن الظرف يتنوع بين ظرف الزمان والمكان ، وقد تعددت
الكلمات الدالة على الظرف ، وتباينت في ورودها معترضة ، إذ جاءت كلمة

« الأمس » (٣) مرات ، وإذ (٢) مرتين ، وبعد في (٤) مواضع ، وحين في (٣) مواضع ، وأحياناً في (١) موضع واحد ، ودون في (٣) مواضع ، وعند في (٢) منوضعين ، وكل من : « غداً » و « قبل » و « لما » و « مذ » مرة واحدة ، ومذ في (٣) مواضع ، ومنذ في (٣) مواضع . ومن المعلوم أيضاً أن من الظروف ما ما يختص بالزمان ، مثل : أمس ، غداً ، حين ، أحياناً ، إذ ، لما ، مذ ، منذ ، ومنها ما يختص بالمكان مثل : دون ، عند ، ومنها ما يشترك بين الزمان والمكان ، مثل : بعد ، قبل .

٧- الاعتراض بكلمة واحدة

فيما سبق من ذكر لأحوال الاعتراض تبين لنا أنه يقوم على عملية إسنادية تامة ، أى يتمثل في جمل تامة ، وهو يختلف عن هذا النوع الذى يقع بغير إسناد . وهذا النمط من الاعتراض قليل الشيوع ، إذ ورد في (٦) مواضع ، وقد تنوع بين ما يدل على التنزيه أو التعجب ، أو الإغراء ، أو ضمير الفصل ، وتوضيح ذلك كما يلي :

فما يدل على التنزيه قوله :

- العبقرية من ضائنه التى يحبو بها- سبحانه- من شاء حـ/ ٤٠/ ٥٠
فكلمة سبحانه فى البيت اسم لعنى البراءة والتنزيه لله من الصاحبة والولد ، وعن كل ما لا ينهى له أن يوصف به (اللسان حـ/ ٦٤٤) .

وما يدل على التعجب والدهشة قوله :

- رباعُ الخلدِ - ويحك - مادهاها؟ أحقُّ أنها درستُ؟ أحقُّ؟ حـ/ ٢٠/ ٧٥
فكلمة « ويحك » اسم فعل مضارع بمعنى أعجب . وما يدل على الإغراء قوله :

- ياقلبُ - شانك - لا أمدُّكَ فى الهوى أبداً ، ولا أدعوك للإقصار حـ ١٢٦/٢
فكلمة « شانك » مفعول به لفعل محذوف تقديره « الزم » .

وجاء الاعتراض بالفعل فقط فى قوله :

- آمالُ مصرَ إليها - طالما - طمحتُ هل تبخلون على مصر بآمال؟ حـ ١٧٣/١
فلاعتراض هنا بالفعل « طال » الذى دخلت عليه « ما » ، و « ما » إذا
ريدت بعد الحرف كفته عن العمل ، وإذا الحقت بالفعل فإنها تكفه عن رفع
الفاعل ، ويحتاج إلى فعل آخر بعدها ليرفع الفاعل ، و « ما » لا تلحق بكل
الأفعال ، بل تلحق بثلاثة أفعال ، هى : طال ، قل ، كثر .

وأخيراً وقع الاعتراض باستخدام الضمير « هو » فقط وهو لا يشيع فى
الاستخدام ، إذ ورد فى (٢) موضعين ، منهما قوله :

- أبا الفاروق ، أقبلنا صفوفاً وأنت من الصفوف - هو - الإمام حـ ٧٢/٤
فهذا الضمير يسمى ضمير الفصل ، يقع بين المتلازمين ، والاستخدام هنا
فيه التفتات من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب ، للإثارة ولفت الانتباه .
وأخيراً من خلال متابعة أحوال ما جاء اعتراضاً بن المتلازمين يمكن
استخلاص ما يلى :

- شيوخ الجملة الفعلية التامة بأحوالها المختلفة ، أكثر من الجمل الاسمية .
وقد لوحظ أن أكثر أنماط الجملة الفعلية وروداً ما كانت شرطية ، يليها
النداء ، وأن أكثر أنماط الجملة الاسمية وروداً ما كانت غير منسوخة ،
ويلى هذين النوعين فى الاستخدام ما كان شبه جملة .

- قلة الاعتراض الوارد بكلمة واحدة بشكل ملحوظ ، مما يعنى غلبة
الاعتراض الإسنادى على غير المسند .

المتطابقين المعارض بينهما . فقيمة الاعتراض أنه يكون بمثابة رخصة في يد المتكلم أو الكاتب لإضافة ما يراه من معان تخدم الغرض الذي تسعى إليه الجملة الأساسية ، وهي التي اعترض بين جزئيهما .

ولم يقف أمر هذا المعنى عند حد الجملة الاسمية والفعلية التامة ، بل ظهر في أشباه الجملة المتعلقة بالجار والمجرور . وهو يرتبط بالفاعل أو المفعول ، أو المبتدأ أو الخبر ، أى أن هذا المعنى يأتي لخدمة الوظائف النحوية التي تشتمل عليها الجملة المعارضة . فمن الاعتراض بالجملة الاسمية التي تعلق معناها بالفاعل ، قوله :

- سهرتَ ، ولدَّ النومُ - وهوَ منيةٌ - رعايا تولأها الهوى ورُعاةُ حـ ١/ ٨٨
ومن الاعتراض بالجملة الفعلية التي تعلق معناها بالمنادى الذي حذف أداؤه ، قوله :

- قَوْمِي - وجَلَّتْ وجوهُ القومِ - مصرُّبكم أَلقت على كرماء الدهر نسيانا حـ ١/ ٢٣٤
والجملة الفعلية التي توضح معنى يتعلق بالموصوف في قوله :

- أو كحوت - يرغمى الموج به - سابح بين ظهور وخفاء حـ ٢/ ٤
ومن الاعتراض بشبه الجملة للتوضيح والتبيين المتعلق باسم كان ، قوله :

- أعلنت أمرها الذئاب وكانوا - في ثياب الرعاة من قبل - جاءوا حـ ١/ ١٧
وكذلك ما جاء من شبه الجملة لتوضيح معنى يرتبط بالفاعل ، في قوله :

- وأعيدَ المجدُ القديمُ ، وقامت في معالي آبائِها الأبناء حـ ١/ ١٨
فلا اعتراض فيما ذكرنا من مواضع ، ومالم نذكر جاء موضحاً ومبيناً لمعنى متصل إما بركن أساسي أو لمتنم من متممات الجملة ، وهو يوضح وصفاً لفاعل أو مفعول ، أو لمكان وقع فيه حدث وما يصحب هذا الحدث .

٢ - التقرير

من المعانى التى أفادها الاعتراض فى شعر شوقى معنى التقرير ، وهو جعل الشئ أو الأمر يثبت أو يستقر ، وهذا المعنى يتمثل فى نمط من الجمل التى تبدو فى تركيبها جملاً وصفية ، ولكنها من صنف التراكيب المعبرة عن نتيجة عمل متعلق بحدوث حدث سابق عليه . فالتركيب التقريرى فى السواقع ذكر لشرط من شروط العمل ، ووصف لنتيجة هذا العمل ، فهو ليس من صنف الجمل الوصفية العادية . ويعرف هذا النمط عند النحاة العرب بالجمل الشرطية ، وهى تصنف فى إطار الجمل المتلازمة ، لتلارم جواب الشرط بفعل الشرط ، وليس بخاف أن معنى الشرط يتحقق فى الجملة المركبة بحروف وأسماء . وقد شاع التركيب الشرطى الاعتراضى فى شعر شوقى شيوعاً ملحوظاً ، كما أشرنا فى (١٣٩) موضعاً ، مورعاً فى استخدامه بين أداة حرفية واسمية ، جازمة وغير جازمة . ولوحظ أن أكثر الحروف الجازمة « إن » ، ولسم يرد من الأسماء الجازمة سوى « مهما » ، ومن غير الجازمة « إذا » و « لو » من ذلك قوله :

- والحق ليس - وإن علا - بمؤيد حتى يحوط جانبيه حسام حـ/١٦٦
وقوله :

- قاتل النفس - ولو كانت له - أسخط الله ولم يرض البشر حـ/١٢٠
ومثل

- والحاملين - إذا دُعوا ليعلموا - عبء الأمانة فادحاً مستولاً حـ/١٧٠
ومثل لـ « مهما » التى لم ترد متبوعة بفعل مضارع كما هو الشائع مع بقية أدوات الشرط ، بقوله :

- يتولى البحار - مهما ادلهمت - منك فى كل جانب لالاء حـ/١٥

وهذه الجمل تختص بإيقاعها وتلارم مركباتها النحوية والاهتمام بالمعنى
الوارد فى صدرها ، وتمثل مكوناتها ونبرتها سمة مميزة نحوياً ودلالياً ، فهى تدل
على الإمكان والافتراض . وقد لوحظ أن الشرط الوارد فى معظمه مركب
حرفى ، ولم يكن اسماً إلا فى ثلاثة مواضع ، موضعين لـ « مهما » وموضع
لـ « كلما » . وسواء أكانت اسمية أم حرفية ، فإنها تربط بين مكونين أو
مركبين ، يقعان فى عملية إسناد واحدة ، وقد لاحظ النحاة تلارم المركبين
فعدّوهما كلاماً واحداً . كما رأوا أن المركب الشرطى القائم على الحرفين
« إن » و « لو » عبارة عن مركب موصولى حرفى يفيد معنى الشرط والزمن
والحالة ، وله دلالة إخبارية ومنطقية واضحة السمات^(١) .

٣ - التنبيه ومعان أخرى

شاع هذا المعنى بشيوع المنادى فى شعر شوقى ، كما أشرنا إلى ذلك من
قبل . وقد تكون أداة النداء محذوفة أو مذكورة . « والنداء ليس بإخبار ، إنما
هو نفس التصويت بالمنادى ليقبل ، ثم يقع الإخبار عنه فيما بعد . وهو حال
خطاب الحاضر ، فالمنادى مخاطب . وتؤدى حروف النداء دوراً هاماً فى تنبيه
المخاطب للمخاطب ، أو تنبيه المدعو والبيان له »^(٢) .

وتتعدد المعانى السياقية التى يأتى لها النداء ، إذ قد يكون للتنبيه والإفهام ؛
وقد تردد هذا المعنى فى (٣١) موضعاً ، من ذلك قوله :

- زمان الفرد - يافرعون - ولى ودالت دوله المتجبرينا حـ/ ٢٦٢
ومثل - وكيف تنام - ياعبد الحميد - وتفقل عن دماء العالمينا حـ/ ٢٦٩
فالنداء هنا لم يقف عند حد التنبيه بل تعداه إلى إثارة الانتباه ، وجذب

(١) راجع مفصلاً : الجرجاني - المقتصد حـ/ ٢٧٣ - ٢٨٨ ، الاسترأبى - الكافية حـ/ ٤٥٠ - ٤٦٥ .

(٢) راجع مفصلاً : ابن يعيش - شرح المفصل حـ/ ١٢٧ - ١٢٩ ، حـ/ ٩ ، حـ/ ١١٤ بتصرف .

الافهام إلى المتعلق بمطلوب النداء ومضمونه . وقد يكون التنبيه متعلق بالطلب والحث على فعل أمر ما ، وتحقيق مطلب من المطالب ، مثل :

- قفى - ياأخت يوشع - خبرينا أحاديث القرون الغابرينا حـ ٢٥٤/١
وربما يكون النداء للدعاء والرجاء ، وهذا المعنى تردد فى (١٦) موضعاً ،
من ذلك قوله :

- عبادك - رَبِّ - قد جاعوا بمصر أنيلاً سقت فيهم أم سرايا حـ ٦٢/١
ومثل :

- إنْ صدقت - يارب - أحلامه فإن خطب المسلمين الجليل حـ ٤٨/٤
فى مثل قولنا : « ياالله أو يامالك أو يارب لا يجوز أن يقال إنه تنبيه
للمدعو كما تقدم ، ولكنه أخرج مخرج التنبيه ، ومعناه الدعاء لله عز وجل ،
ليقبل عليك الخبر الذى تطلبه منه ، والذى حسن إخراجه مخرج التنبيه البيان
عن حاجة الداعى إلى إقبال المدعو عليه بما يطلبه^(١) .
وربما يكون الرجاء بغير النداء ، كقوله :

- هل ترحمون- لعل السله يرحمكم- باليبدأهلاً ، وبالصحراء جيرانا حـ ٢٣٣/١
ولا يقف معنى النداء عند ما سبق من معان ؛ فقد يكون للمدح أو الذم ،
وقد تردد هذا المعنى فى (٢٥) موضعاً ، فالمدح فى مثل قوله :

- إذا ررت - يامولاي - قبر محمد وقبلت مثوى الأعظم العطرات حـ ٩٤/١
ومثل :

- فغفوا - أمير المؤمنين - لامة دعت قادراً ، مازال فى العفو يرغب حـ ٥٣/١
والذم مثل :

- وَحَذَارٍ مِنْ دَمِهَا السَّزِجَى تَرْيَقُهُ يَكْفِيكَ - يَاقَاسَى - دُمُ الْعِشَاقِ حـ ٧٨/٢
وقد يكون النداء للفخر والإشادة ، وقد تردد هذا المعنى فى (١٠) مواضع
، منها قوله :

- عِشْ لِلْعَلَا وَالْمَجْدِ - يَا خَيْرَ الْبَنِينَ - وَلِلْفَخَارِ حـ ٧٠/٣

ومثل :

- لَعَلَّنِي إِنْ ثَبَتَتْ أَقْدَامِي وَنَلْتُ - يَأْكُلُ الْمَنَى - مَرَامِي حـ ١٣٣/٤
وربما يكون النداء لإظهار الفرح والسرور ، وهذا المعنى تردد فى (٨)
مواضع ، منها قوله :

- لَعَلَّنِي إِنْ ثَبَتَتْ أَقْدَامِي إِنَّ الَّذِي دَعَوْتُ قَدْ لَبَّأَكَ حـ ١٨٣/٤
ويلاحظ أنه فى قوله « يَأْكُلُ الْمَنَى » و « يَابْشِرَاكَ » حذف المنادى ، فالنداء
هنا على سبيل المجاز ، إذ « الْمَنَى » لا تنادى ، و « الْبَشْرَى » لا تنادى ،
ومثله قوله فى مواضع أخرى « يَاطْلِفُ الرِّضَا » حـ ٣٣/٢ و « يَافَجْرُ السَّلَامِ »
حـ ٣٩/١ . والأصل « يَاقَوْمُ » أو « يَا هَذَا » ، والحذف هنا لإبراز
مدى سعادته وفرحه بما تم وحدث من أحداث .

ونخلص من هذا كله إلى أنه إذا كان الغرض الأساسى من النداء هو
التنبية، فإن الذى نؤكد أنه كل تنبيه يكون لغرض معين ، وهدف مقصود ،
يوضحه معنى محدد من خلال السياق الذى يرد فيه .

٤- التوكيد

ورد معنى التوكيد فى التراكيب الاعتراضية فى (٣٥) موضعاً ، وهو معنى
يهدف المتكلم من ورائه إلى الإثبات ورفع الالتباس لدى القارئ أو المستمع ،
ودفع إمكانيات الشك عن مضمون الجملة المعترض بين أجزائها . وقد اتخذ

معنى التوكيد صورياً متعددة ، منه ما يتصل بالقسم ، أو استخدام النفي الحرفي أو الفعلى ، أو الحروف المشبهة بالفعل ، وهى المعروفة بـ « إِنَّ » وأخواتها ، أو قد كون التوكيد لفظياً ، وهو يقع فى الجمل الاسمية والفعلية . ومن أمثلة التوكيد بالاعتراض قول شوقى :

- علمت أن وراء الضعف مقدرة وأن للحق - لا للقوة- الغلبا حـ ١/ ٧٤ وقوله :

تكون - وانت أنت رياض مصر - عرابى اليوم فى نظر الأنام؟ حـ ١/ ١٩٩ وجاء التوكيد اعتراضياً بالقسم فى مثل قوله :

هزوا القرى من كهفها ورقيمها أنتم-لعمركم-أعصاب القرى حـ ١/ ١٤٣ فالاعتراض هنا يهدف إلى إبراز دلالة الجملة المعارضة والتأكيد على مضمونها باستخدام جمل غايتها إبلاغية تنبيهية إلى أهمية ما قبل الاعتراض وما بعده ، نفيًا أو إثباتًا ، إيجاباً أو سلباً ، مدحاً أو ذمًا ، ومثل هذه المعانى لا تخفى على الدارس .

٥- التحديد والتعيين

يرتبط هذا المعنى بالمفعول فيه ، أو ما يعرف بالظرف الذى ربما يكون فى شكل كلمة دالة على الظرف ، غير مسندة إلى شئ آخر ، وربما يكون الظرف فسى جملة ومسنداً إلى غيره من الكلام . وقد ورد هذا المعنى فى (٢٨) موضعاً ، موزعاً بين الظروف: أمس ، إذ ، بعد ، حين ، أحياناً ، دون ، عند ، غداً ، قبل ، كلما ، لما ، مذ ، منذ . وقد لوحظ أن معظمها جاء مرة واحدة ، باستثناء بعضها ، مثل : أمس ، إذ ، بعد ، دون ، مذ ، منذ ، فقد وردت مرتين ، كما لوحظ أن غالبيتها جاءت مسندة باستثناء أظرف ، مثل : أمس ، أحياناً ، غداً ، فقد جاءت غير مسندة ، قال شوقى :

وقال :

- أفراحه - لما رآك طليقة أفراح يوسف يوم حلَّ عقاله حـ ١٦١ / ١
فالجملـة الظرفية فى تركيبها تشبه تركيب الجملة المكونة من قسمين متلازمين . وتحتوى على مفعول فيه له الصدارة ، وهذا موقع له أهميته الدلالية والنحوية ، إذ يتضمن التحديد والتعيين مع التنبيه والإيضاح ، أى تنبيه السامع للمعنى المقصود ، وإيضاح المفعول فيه الزمانى والمكانى ، وفى ذلك ضرب من الإخبار والإفهام ، لكون الظرف وما يليه مباشرة بمثابة الابتداء أو المبتدأ ، وتتمـة الكلام لما يليه مباشرة بمثابة الإخبار .

٦- الحكمة

لوحظ أن التركيب الاعتراضى قد ينزل منزلة الحكمة بهدف إسباغ الموعظة على السامع ، لإثارة انتباهه ، ولفت نظره إلى أهمية أحد الجزئين من المتطالبين أو المتلازمين ، فهى بمثابة تعقيب يأخذ بعقل السامع أو القارئ ، وينزل منه منزلاً ليس هيناً ، لما يشتمل من دلالات لا تغيب عن سامعها . وهذا المعنى لم يشع فى التراكيب الاعتراضية شيوخاً لافتاً فقد ورد فى (١٠) مواضع منها قوله:

ياقوم عثمان - والدنيا مداولة- تعاونوا بينكم ياقوم عثمان حـ ٢٣٣ / ١
وقوله :

ياأخى - والذخر فى الدنيا أخ - حاضر الخير على الخير أعاناه حـ ١٩٠ / ٢
ومثل :

ينبيك مصرعه - وكل رائل - أن الحياة كغدوة ورواح حـ ٢٣ / ٢

لوحظ أن هذا المعنى لم يقع من كلمة مفردة ، بل اعتمد على جمل تامة ،
وهى جمل اسمية ، وقد أعدت النظر فى أنماطها فلم أحظ بوجود للجمل
الفعلية فيما ورد ، وهى جمل بسيطة التركيب ، سهلة المأخذ ، واضحة
المعنى ، مرتبة العناصر باستثناء ما ورد من تقديم للخبر شبه الجملة على المبتدا
النكرة ، فى مثل قوله :

- لها حق - ولأحباب حق - رشفْتُ وصالهم فيها جباباً حـ/ ٥٩
وقوله :

- قُلْتُ لِّلِيل - وللَّيل عواد - مَنْ أَخُو الْبَيْتِ؟ فقال: ابنُ فِرَاقٍ حـ/ ١٧٢
فهذا التركيب فى نهاية الأمر لم يخرج عن نمط الجملة الاسمية ، وهو
يتعلق تعلقاً شديداً بما يتقدمه ، وتأتى أهمية هذا المعنى من ناحيتين نحوية
ودلالية ، فمن الناحية النحوية نجد أن المبتدا فى كل تركيب اعتراضى بمثابة
تأكيد لما قبله ، وهذا المبتدا الإخبار عنه تبليغ وإفاضة وإحياء بأهمية المعنى
المقصود بالاعتراض ، وتلك قيمة دلالية .

٧ - التقديس

كان معنى التقديس والتتزيه للمعبود من المعانى السياقية التى يأتى لها
الاعتراض ، وهذا المعنى يتعلق بالتركييب التى تتعلق بالمعبود سبحانه ، وقد
يكون المعنى مرتبطاً بجملة تامة ، أو بكلمة غير مسندة ، وهو معنى جاء تقوية
للمبتدا ، وليس للخبر ، مثل قوله :

- ترجى لهم ، والله - جل جلاله - مناومتك بهم أبرُّ وأرفقُ حـ/ ٧٤
وقد يقع الاعتراض من هذا الضرب ، بين ركنى الجملة الفعلية ، مثل
قوله :

- ونودى: اقرأ - تعالى الله قائلها- لم تتصل قبل من قيلت له بفم حـ/ ١٨٤

ففى كل هذه المواضع لوحظ أن التركيب الاعتراضى هنا جملة فعلية كاملة أركانها وهذا هو الشائع لمثل هذا المعنى الذى ربما يرد فى كلمة واحدة ، مثل قوله :

- العبقرية من ضنائه التى يحوبها - سبحانه - من شاء حـ/ ٥٠
مثل هذا الاعتراض ومعناه خاص ، إذ لا يكون لغير الله ، فلا يوصف به أحد من العباد ، وفى إطار الجملة الفعلية يكون إبراز الشأن الفاعل ، وفى المصادر المسموعة إبراز لشأن المضاف إليه .

٨ - الدعاء بالخير أو الشر

ثمة نمط من التراكيب الاعتراضية تحمل معنى الدعاء الذى ربما يكون بالشر أو الخير ، وقد ورد هذا المعنى فى (٨) مواضع موزعة بين تراكيب مثبتة وأخرى منفية ، فمن المثبتة قوله :

- فأنظر - رعاك الله - فى حاجهم فنظرة منك تنيل المراد حـ/ ١١١
ويلاحظ أن الدعاء هنا خير جاء بصورة الجملة الفعلية التامة . وجاء الدعاء بصورة شبه الجملة فى قوله :

فارحل - بحفظ الله جل صنيعه - متعفياً إن شئت أو معزولاً حـ/ ١٦٤
فالاعتراض ليس واحداً ، بل اثنان ، دعاء وتقديس للمدعو به . وجاء مقصوراً على الدعاء فقط فى قوله :

فابنوا - على بركات الله - واغتنموا ماهاى الله من حظ وإقبال حـ/ ١٧٣
فالدعاء فى كل ما سبق بالخير ، يقصد توفيق الله ورعايته للمدعو له : وقد يكون الدعاء بقصد التضحية والفداء وطول البقاء ، للمقصود بالخطاب ، كما فى قوله :

- فابْلَغْ - فِدَيْتَكَ - كُلَّ مَا ثَك ، فاملا ينوى ابتلاعك حـ ٨٠/٢
وقوله :

فقال : سل - فداك أمى وأبى - عسى تنالُ بى جليلَ المطلب حـ ١٧٥/٤
فى كل ما تقدم من شواهد كان الاعتراض بالإثبات ، وجاء بالنفى فى
قوله :

ياناعس الطرف- لا ذقت الهوى أبداً - أسهرت مضناك فى حفظ الهوى ، فتم حـ ١٧٩/١
وقوله :

تلك الوجوه - لاشكونا فقدما - بَيَّضَتْ أَقْرَبَى لَنَا مُسَوِّدَهَا حـ ١٥٨/٢
وهو دعاء اعتراضى بالخير . ويلاحظ أن هذا النمط من التراكيب
الاعتراضية ، يقوم على العلاقات الإسنادية ، وكل تركيب متناسق العناصر ،
والعلاقات التركيبية جميعها نحويًا ودلاليًا . كما يلاحظ أن المركب الفعلى يلعب
دورًا حيويًا فى إبراز المعنى ، معتمداً على أهمية الفعل المسند . كما أن أدوات
المعانى تلعب دوراً هاماً فى الدلالة على المعنى المنوط بالتركيب وموقعه ، لاحظ
قوله : « لا ذقت » وقوله : « لاشكونا » .

٩ - الإرشاد والتوجيه

يعتمد هذا المعنى على الطلب والإنشاء ، ولا يحسن فى جوابه صدق أو
كذب ، ويعتمد على الإسناد والتركيب التام ، لإسداء نصيح أو تقديم إرشاد
وتوجيه للمخاطب ، الذى يسبق الاعتراض ، أى الجزء الأول من المتلازمين ،
ومن ذلك قوله :

- ياكثير الصيِّد للصيِّد العُلا - قُمْ تَأْمَلْ -: كيف صادتك المنون؟ حـ ٢٤٧/١
وقوله :

- أيها الشرق - انتبه من غفلة - مات من فى طرقات السَّيلَ ناما حـ ٩١/٢

لاشك أن هذا المعنى يقتضى حضوراً من المخاطب والمخاطَّب ، فالغائب ونحوه لا يوجه إليه نصيح أو إرشاد ، لكونه طلباً ، والطلب يستلزم وجوداً شخصياً لاعتماده على المشافهة ، فهذا النمط من الاعتراض إنشائي التركيب ، فله شكله وبنائه ومعناه ووظيفته الدلالية التى تهدف إلى الإفهام والتنبيه ، وتسم بسمه بعيدة عن احتمال للصدق أو الكذب .

١٠ - التعجب

التعجب إنما يكون فيما جاوز الحد المعروف ، وخرج عن العادة ، وصار كأنه لا يبلغ وصفه ، ولا يوقف على كنهه . وهو باب مبالغة مدح أو ذم ، ولا يكون إلا فيما ثبت واستقر حتى فاق أشكاله وخرج عن العادة . والتعجب خبر محض ، يحسن فى جوابه صدق أو كذب ، ويأتى للتعظيم والتفخيم أو الذم والتحقير ^(١) .

وهذا المعنى لم يكن شائعاً فى التراكيب الاعتراضية ، إذ لم يرد إلا فى موضعين هما قوله :

لامه الناس - وما أظلمهم ! - وقليل من تغاضى أو عذر حـ ١١٨/١ وقوله :

من ضحاياء - وما أكثرها ! - ذلك الكاره فى غَضِّ العُمر حـ ١١٨/١
فالتعجب كما نرى تركيب يصنف فى الجملة الاسمية المركبة ، وله أهمية فى الدلالة على الوظيفة التنبيهية فى الظاهرة اللغوية . وذلك قد يعود إلى النغم المصاحب للنطق الصوتى بجملة التعجب ، وهو دال صوتى تركيبى له درجة من الموقع السمعى عند التكلم والسمع . وقد ينزع إليه التكلم للإيجار

(١) شرح الفصل ١٢٩/٨ .

والاختصار والتعبير عن أبعاد معنوية مكثفة مركبة . فالنطق والانفعال المصاحبان للجملة يؤكدان الإيقاع الصوتي وعلاقته النحوية التركيبية (مبتداً + خبر مكون من جملة فعلية) ويزيدان المعنى تقوية وإخباراً .

وأخيراً بمتابعة دراسة معانى الاعتراض من خلال السياق فقط لوحظ مايلى :

- الاعتراض لا يقع فى الجملة من باب الشرف فى التركيب النحوى ، ولكن يقصد إليه الكاتب أو المتحدث لغرض محدد ، ومعنى معين يقصد إليه لتقوية المعنى وتأكيدہ وتوضيحه مما يعنى أنه لا اعتراض بلا دلالة .
- تبين أن معنى التوضيح والبيان أكثر المعانى وروداً ، ثم التقرير ، ثم التنبيه ، ثم التوكيد ، يليه التحديد والتعين ، ثم ما يدل على معنى الحكمة ، يليه ما يدل على التقديس ، ثم الدعاء بالخير أو الشر ، ثم الإرشاد ، ثم التعجب ، وكلها معان ودلالات يحملها الاعتراض بوقوعه فى السياق الذى يرد فيه .

تاسعاً : خاتمة البحث

- أظهرت دراسة الاعتراض من الناحية التركيبية والدلالية ما يلى :
- الاعتراض فى شعر العربية ومثورها كثير حسن ، ودال على فصاحة المتكلم ، وقوة نفسه ، وامتداد نفسه ، كما أشار إلى ذلك ابن جنى ، وهو يجرى مجرى التأكيد عند العرب .
 - لم يرد لهذا الموضوع ذكر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، وتمثل جهود أبى على الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) فى القرن الرابع الهجرى بداية اهتمام وعناية بدراسته .

وفى القرن السادس لم يتعرض له الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فى كتاب
المفصل ، على حين كان يتناوله تناولاً مختصراً متائراً فى « الكشف »
وهو يعالج آيات القرآن بالشرح والتفسير ، ولكون ابن يعيش (ت ٦٣٨
هـ) شارحاً كتاب المفصل فلم نظفر بشئ ذى بال يتعلق بهذا الموضوع .

- يمكن القول بأن القرن الثامن الهجرى شهد عناية ملحوظة بقضية الجملة
الاعتراضية ضمن دراسة مفصلة للجملة بأحوالها المختلفة ، ويتمثل ذلك
فى جهود ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) التى أودعها كتابه المعروف بـ « مغنى
اللبيب » ، إذ خص هذا الموضوع بعناية فائقة ، فجمع مادة ضخمة ،
فتحت باباً لم يكن له مثيل ، وقد تبعه النحاة الذين جاءوا بعده ، فأخذوا
يدورون فى فلكه ، يفسرون عباراته ، ويلحقون بها الشواهد والأمثلة
دون إضافة أو تغيير على ما أسس وشاد .

- الاعتراض معنى قائم بذاته لا يلتقى فيه ومعنى آخر لمصطلحات :
الالتفات ، الإطناب ، الحشو ، فليس صحيحاً ما قيل بوجود ترادف بين
الاعتراض وهذه المصطلحات ، فلكل معناه اللغوى ، ودلالته
الاصطلاحية ، وصورته التركيبية التى يكون عليها ، والغرض الذى
يستخدم له .

- يربط الغربيون بين الاعتراض والتنغيم ، ويصنفونه إلى اعتراض صوتى
يتصل بالتنغيم والوقف ، وآخر يتعلق بالكتابة ، ويكون مصحوباً بعلامات
يدركها المرء بعقله ويراها بعينه ، وهى من أبسط وسائل الاعتراض على
المستوى الشفهي أو الصوتى الذى يجد صعوبة حتى عند أبناء اللغة
الأصليين الذين لا يراعون ولا يطبقون ولا يدركون هذه الوسائل .

- ثمة تفسيرات اصطلاحية تستخدم وصف الاعتراض ، مثل : الإرداف ،

عبارات الربط ، الإضافات الاعتراضية ، عبارات التعليق ، وكلها تشير إلى أن هذا الضرب من التراكيب يأتي ضمن تراكيب أخرى أساسية .

- الاعتراض ضرب من ضروب التوسعة ، ووسيلة من وسائل إطالة عناصر الجملة ، ويأتي لأغراض مختلفة ، مثل : التوكيد ، والتبيين وكشف حقيقة ما تليه الجملة ، التحسين والتزيين ، والتنزيه والتقديس ، والدعاء واستدراار العطف ، والتنبية ، والترغيب في فعل أمر أو التنفير منه ، التخصيص ، التحسر ، التعظيم والتفخيم ، ودفع الإيهام ، وحسن الإفادة .

- لوحظ أن جهود القدماء اتجهت إلى دراسة مكونات الجملة المعترضة ، ولم يعالج أى منهم مكونات الجملة المعترضة وأحوالها .

- لا يقف الاعتراض عند حد الجملة الواحدة ، بل قد يتعدى الجملة الواحدة إلى جملتين أو أكثر ، وقد أجاز الزمخشري الاعتراض بسبع جمل ، وهو ما يعرف بـ « اعتراض في اعتراض » . ونسوه إلى أن الاعتراض بين المتلازمين يكون مقبولا إذا كان محدود العدد ، فإذا زاد إلى الحد الذي جوره الزمخشري ، فإني أراه غير مرغوب ، لكونه يطيل الفصل بين المتطالبين ، ويفقد هما صفة الترابط ، وقد يتفرع المعنى إلى معان أخرى ، فيدفع بالقارئ أو القائل إلى عدم إصابة المراد من معنى المتلازمين ، ثم من معانى الجمل الاعتراضية التي كثرت ويصعب عليه إقامة العلاقة بين المعاني كلها .

- تتمثل حروف الاعتراض فى الواو ، الفاء وإذ ، لن ، سوف ، حتى ، اللام الموطئة ، وهى فى الأصل حروف استئناف وعطف ، وإنما تكون للاعتراض فتقرن بها الجملة الاعتراضية ، إذا وقعت بين شيئين متطالبين

أو متلازمين ، وأكثر هذه الحروف شيوعاً واستخدماً في الشعر والنثر
الروا .

- لا تمثل الجملة الاعتراضية عنصراً إسنادياً ولا غير إسنادي ، لكونها لا تقع
موقع الخبر أو الفاعل أو المفعول أو الحال ، فلا تحمل محل المفرد ، ولذا
فهى لا محل لها من الإعراب ، ولا تمثل وظيفة نحوية .

- لم يسجر الاعتراض مجرى الفصل بين المتصلين بما هو أجنبي ، فهما
مختلفان ، لكون الاعتراض خاصاً والفصل عاماً ، فكل اعتراض فصل ،
وليس كل فصل اعتراضاً ، إذ الاعتراض لا يكون إلا كلاماً تاماً ،
والفصل يقع بالحرف أو الكلمة أو الجملة .

- يتفاوت الاعتراض عن الحال ، فالأول لا وظيفة نحوية له ، والثاني له
وظيفة نحوية ، والجملة الاعتراضية إنشائية ، والجملة الحالية تقع خبرية ،
كما يجوز أن تصدر الاعتراضية بدليل استقبال ، مثل : السين ، سوف ،
لن .

- قد يعترض شرط على شرط ، وذلك بتعاقب شرط لشرط متقدم عليه مع
توحد الجواب لهما . وهذا الضرب من الاعتراض يقع على نحو معين من
التركيب والاستخدام .

- يشغل الاعتراض في شعر شوقي حيزاً كبيراً ، إذ هو شائع في استخدامه ،
وقد ورد في (٥٦٣) موضعاً ، وكان وروده متنوعاً سواء أكان على
مستوى الجملة المعترضة أم الجملة المعترضة .

- وقع الاعتراض في شعر شوقي بين عناصر الجملة الاسمية ، وعناصر
الجملة الفعلية ، وكان بين عناصر الاسمية أكثر من وقوعه بين عنصر
الفعلية ، إذ كان وروده مع الأولى في (٢٩٧) موضعاً ، ومع الثانية في
(٢٦٦) موضعاً .

- تنوع الاعتراض فى شيوعه بين عناصر الجملة الاسمية ، إذ ورد بين المرتبة العناصر فى (١١٣) موضعاً ، وبين غير المرتبة عناصرها فى (٥٧) موضعاً . والمنسوخة بفعل ناسخ فى (٣٩) موضعاً ، والمنسوخة بحرف ناسخ (٣٦) موضعاً ، والمعطوف والمعطوف عليه (٣٢) موضعاً ، والصفة والموصوف (١٦) موضعاً ، والبدل والمبدل منه (١) موضع واحد ، والصلة والموصول (٣) مواضع ، ولم يقع لنا بين الجار والمجرور ، أو الصفة والموصوف بجملة اسمية ، أو المبتدأ أو الخبر حين يكون جملة اسمية .

- كان شبه الجملة الجار والمجرور أكثر شيوعاً من شبه الجملة الظرف ، كما شاع الاعتراض بين عناصر الجملة المنسوخة بـ « كان » أكثر من النواسخ الفعلية الأخرى ، كما شاع الاعتراض بين عناصر الجملة المنسوخة بـ « إن » أكثر من بقية النواسخ الحرفية .

- تنوعت مواضع الاعتراض بين مكونات الجملة الفعلية ، واختلفت العناصر التى فصل بينها ، إذ تبين أن أكثر العناصر التى وقع بينها الاعتراض تتمثل فى الاعتراض الواقع بين الفاعل والمفعول (٥٦) موضعاً ، يليه ما بين الفعل والفاعل (٣٦) موضعاً ، ثم بين الفعل والمفعول (٢٣) موضعاً ، ثم بين الفاعل المؤخر والمفعول المقدم (١٥) موضعاً ، ثم بين المفعول والجار والمجرور (١٤) موضعاً ، يليه ما بين الفاعل والجار والمجرور (١٣) موضعاً ، ثم الفعل ونائب الفاعل (١٢) موضعاً ، ثم بين المفعول الأول والثانى (٩) مواضع ، وبين الفاعل والحال (٦) مواضع .

- فى إطار الجملة الإنشائية شغل الاعتراض مواضع متعددة بين عناصرها ، واختلفت حالاته من حيث الشيوع ، إذ يمثل الاعتراض فى تركيب

الاستفهام (٢٥) موضعاً ، ثم بين النداء ومطلوبه (٢١) موضعاً ، ثم بين الطلب وجوابه (١٦) موضعاً ، ثم بين الشرط وجوابه (١١) موضعاً وبين القسم والمقسم عليه (٩) مواضع ، ويفهم من مجموع هذه المواضع أن أنماط الجملة الإنشائية تمثل مجتمعة نسبة شيوع واضحة بالنسبة لأحوال الجملة الأخرى .

- كانت التراكيب المعترضة متنوعة بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، وشبه الجملة ، والكلمة الواحدة غير المسندة . ولوحظ أن الجملة الفعلية المعترضة أكثر من الجملة الاسمية ، إذ بلغ مجموعها (٢٩٤) والاسمية (١٧٧) وشبه الجملة (٨٦) والكلمة الواحدة (٦) . وقد ورعت الفعلية بين الشرط (١٣٩) موضعاً ، والنداء (٩٠) موضعاً ، والفعلية الخبرية (٥٩) موضعاً ، والقسم - وهو مشترك بين الفعلية والاسمية - (٢٦) موضعاً . كما ورعت الجملة الاسمية بين المنسوخة وغير المنسوخة ، فغير المنسوخة جاءت في (١٥٣) موضعاً ، والمنسوخة في (٢٤) موضعاً ، ولوط أن (١٦٢) موضعاً كان الخبر في الجملة الاسمية مفرداً ، وأن (١٥) موضعاً كان جملة فعلية .

- في إطار شبه الجملة المعترضة كان الجار والمجرور في (٥٨) موضعاً ، والظرف في (٢٨) موضعاً ، والاعتراض بكلمة واحدة أقل أنواع ما اعترض بين المتلازمين ، إذ ورد في (٦) مواضع ، وفي هذا دليل على أن الاعتراض بالجملة التامة أكثر استخداماً وشيوعاً .

- لا اعتراض بلا دلالة ولا معنى ، فالاعتراض بين المتلازمين ليس من باب المصادفة أو زخرفة الجملة ، وتحميلها معنى أكثر مما تستحق ، فكل كاتب أو متكلم يلسجأ إليه لغرض معين ، وحاجة ملحة توجبها طبيعة التركيب

اللغوية من جانب ، وإيصال معنى معين إلى القارئ من جانب آخر .
وتتعدد الدلالات والمعاني التي تأتي لها بتعدد تراكيب الاعتراض وتنوعها .

- في شعر شوقي ظهرت معان عدة للتراكيب المعترضة ، وهى معان سياقية يفسرها السياق الذى يرد فيه التركيب المعترض ، وقد اختلفت هذه المعاني فى نسبة شيوعها ، فالمعنى الدال على التوضيح والتبيين ورد فى (٢٣٥) موضعاً ، والدال على التقرير فى (١٣٩) موضعاً ، والدال على التنبيه ومعان أخرى فى (٩٠) موضعاً ، والدال على التوكيد فى (٣٥) موضعاً ، والدال على التحديد والتعيين فى (٢٨) موضعاً ، والدال على الحكمة فى (١٠) مواضع ، والدال على التقديس والتنزيه فى (٩) مواضع ، والدعاء بالشر أو الخير فى (٨) مواضع ، والإرشاد والتوجيه فى (٧) مواضع ، والتعجب فى (٢) موضعين .

- وأخيراً يمكن القول بأن الاعتراض فى شعر شوقي لم يكن على درجة واحدة من الشيوع والاستخدام فى أغراض الشعر المختلفة ، إذ لوحظ أن الاعتراض يشيع فى شعر الوصف والنسيب ، ويكثر فى شعر السياسة وما يتصل بالأحداث التاريخية والمناسبات الاجتماعية .

- يقل الاعتراض فى الشعر الغنائى وأحياناً يصل إلى حد الندرة ، وما يغنى من أشعار يتجنب ما فيه من اعتراض بقدر الإمكان . ولا يختلف شعر الرثاء كثيراً عن شعر الغناء فى قلة وقوع الاعتراض وعدم شيوعه فى قصائده ، وربما يكون ذلك راجعاً إلى أن الاعتراض زيادة وتفصيل وإطالة للجملة ، مما لا يتفق كثيراً وهدف هذين الغرضين .

المصادر والمراجع^(١)

أولاً: المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير (ضياء الدين^٢ ت ٦٣٧ هـ)

- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - تحقيق د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانه - ط ١ / ١٩٦٠ - نهضة مصر .

أحمد شوقى

- الشوقيات - ديوانه - ٤ أجزاء فى مجلدين ١٩٩٣ - مكتبة مصر - القاهرة .

أميل يعقوب

- المعجم المفصل فى شواهد النحو الشعرية - ط ١ / ١٩٩٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

د. بدوى طبانه

- علم البيان - ط ٣ / ١٩٧٧ - الأنجلو المصرية - القاهرة .

البغدادى (عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣ هـ)

- خزانة الأدب - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - ط ٢ / ١٩٧٩ - الهيئة المصرية العامة .

التهانوى (محمد أعلى بن على التهانوى ت ١١٥٨)

- كشاف إصطلاحات الفنون - مكتبة خيَّاط - بيروت - لبنان (د. ت) .

(١) اكتفينا هنا بإيراد المصادر والمراجع التى تردد ذكرها أكثر من مرة ، وما استخدم بشكل محدود فقد اكتفينا بإيراد بياناته كاملة فى كل هامش ورد فيه .

د. التيجانى بوريثة

- الالتفات - بحث منشور بمجلة جامعة الزيتونة بتونس - من ص ١٢١ إلى ص ١٣٢ - العدد الثانى ١٩٩٣ ، ومن ص ٤٧ إلى ص ٥٤ العدد الثالث ١٩٩٤ .

الجرجانى (عبد القاهر ت ٤٧١ هـ)

- المقتصد فى شرح الإيضاح - تحقيق د. كاظم بحر المرجان ١٩٨٢ - وزارة الثقافة والإعلام - بغداد .

د. جليل رشيد فالح

- فن الالتفات فى مباحث البلاغين - بحث منشور بمجلة آداب المستنصرية بالجامعة المستنصرية - العراق - من ص ٦٣ إلى ص ٩٧ العدد التاسع ١٩٨٤ .

ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ)

- الخصائص - تحقيق محمد على النجار - ط ٣/١٩٨٦ - الهيئة المصرية - القاهرة .

أبو حيان (محمد بن يوسف على بن يوسف ت ٧٤٥ هـ)

- ارتشاف الضرب من لسان العرب - تحقيق د. مصطفى النماس - ح ١ - ح ٣/١٩٨٤ - ١٩٨٩ - مكتبة الخانجي - القاهرة .

الشيخ / خالد بن عبد الله الأزهرى

- شرح التصريح على التوضيح - عيسى البابى الحلبي بالقاهرة (د.ت).

الرضى الاستراباذى (رضى الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦ هـ)

- شرح الكافية - ١٩٨٥ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ٤٦٧ هـ - ٥٣٨ هـ)
- الكشف - الطبعة الأخيرة ١٩٧٢ - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي - القاهرة .

السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ت ٦١٧ هـ)
- مفتاح العلوم - ط ١٩٣٧ - مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي -
القاهرة .

السلسلي (أبو عبد الله محمد بن عيسى ٧١٥ - ٧٧٠ هـ)
- شفاء العليل في إيضاح التسهيل - تحقيق د. الشريف عبد الله علي
الحسيني البركاتي - ط ١٩٨٦ / المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة -
السعودية .

السيوطي (أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين ت ٩١١ هـ)
- الأشباه والنظائر - تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات
الأهرية - القاهرة (د.ت) .

- جمع الهوامع - تحقيق وشرح / د. عبد العال سالم مكرم - دار
البحوث العلمية - الكويت - ١٩٧٥ م .

الشنواني (أبو بكر بن اسماعيل ١٠١٩ هـ - ١٦١١ م)
- حاشيته على شرح مقدمة الإعراب لابن هشام - بعناية محمد شمام -
ط ١٩٥٣ / منشورات دار الكتب الشرقية ، تونس .

الصبيان (محمد بن علي ١٢٠٦ - ١٧٩٢ م)
- حاشيته على شرح الأشموني، عيسى البابي الحلبي - القاهرة (د.ت) .

د. عبد العزيز عتيق
- علم المعاني ١٩٨٥ - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان .

العطار (الشيخ / حسن محمد ت ١٢٥٠ هـ)

- حاشية العطار على شرح الأهرية فى علم النحو - مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي - القاهرة (د.ت) .

العلوى (يحيى بن حمزة ت ٧٤٥ هـ)

- الطرار المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - بعناية سيد بن على المرصفي ١٩١٤ - مطبعة المقتطف - مصر .

أبو على الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)

- المسائل الحلبيات - تحقيق د. حسن هندأوى - ط١/ ١٩٨٧ - دار القلم - دمشق .

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ)

- الصحاحي - تحقيق السيد أحمد صقر ١٩٧٧ عيسى البابى الحلبي - القاهرة .

د. فخر الدين قباوة

- إعراب الجمل وأشباه الجمل - ط٤/ ١٩٨٣ - دار الأفاق الجديدة - بيروت - لبنان .

القالى (أبو على إسماعيل بن القاسم ت ٣٥٦ هـ)

- الامالى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (د.ت)

قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ

- نقد الشعر - تحقيق كمال مصطفى ١٩٦٣ - القاهرة .

ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله ت ٦٨٢ هـ)

- شرح التسهيل - تحقيق د. عبد الرحمن السيد ، د. محمد بدوى المختون - ط١/ ١٩٩٠ - دار هجر - القاهرة .

ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين ت ٧٦١ هـ)

- اعتراض الشرط على الشرط - تحقيق د. عبد الفتاح الحموز - ط١/١٩٨٦ - دار عمّار - عمان - الأردن .
- مغنى اللبيب - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

أبو تلال المسكرى (ت ٣٩٥ هـ)

- الصناعتين : الكتابة والشعر - تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم - ط١/١٩٥٢ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

ابن يعيش (موفق الدين ت ٦٤٣ هـ)

- شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت - لبنان (د. ت) .

ثانياً: المراجع الأجنبية :

- Bloomfield, Language, London, Fourteenth impression, 1979.
- Dwight Badinger, Meaning and Form. Longman Group, London and New York, 1977.
- H. A. Gleason, Linguistics and English Grammer, U. S. A. 2d edition, 1965.
- Sideny Greenbaum and Randolph Quirk, A student's Grammer of the English Language, Longman Group, England, 1990.
- WinFred P. Lehman. Descriptive Linguistics, An introduction. Random House New Yourk, 2nd edition, 1976.

رقم الإيداع ٦٨١٥



